



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليكم يا صبا  
الربا

www.ghaemiyeh.com  
www.ghaemiyeh.org  
www.ghaemiyeh.net  
www.ghaemiyeh.ir

مع الأئمة الهداة

في شرح

الزيارة الجامعة الكبرى

تأليف

السيد عبد الحسين البزازي

جزء الثاني

دار الكتب العلمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مع الاثمه الهداه فى شرح الزياره الجامعه الكبيره

كاتب:

آيت الله على حسينى ميلانى

نشرت فى الطباعة:

مركز الحقايق الاسلاميه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
١٦	مع الاثمه الهداه فى شرح الزياره الجامعه الكبيره المجلد ٢
١٦	اشاره
١٦	اشاره
٢٠	كلمه المركز
٢٢	كلمه المؤلف
٢٤	القسم الأول:الإمامه ومعرفة الإمام
٢٤	اشاره
٢٨	وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَةُ الرَّاشِدُونَ الْمُهْدِيُّونَ الْمُعْصُومُونَ الْمَكْرُمُونَ الْمُقَرَّبُونَ
٢٨	فى الشهادته الثالثه
٣٤	أَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَةُ الرَّاشِدُونَ
٣٤	اشاره
٣٥	الأئمه هم الخلفاء الراشدون
٣٨	أَلْمُهْدِيُّونَ
٣٩	أَلْمُعْصُومُونَ
٣٩	أَلْمَكْرُمُونَ
٤١	أَلْمُقَرَّبُونَ
٤١	اشاره
٤٢	الأئمه هم «لسابقون»
٤٢	أَلْمَتَّقُونَ
٤٢	اشاره
٤٣	ما معنى الضرر؟
٤٥	ما هى التقوى؟
٤٥	مراتب التقوى

- ٤٦ ..... وأما الذى «صدق به» فمن هو؟
- ٤٧ ..... كون الآيه بصيغه الجمع يضمر بالاستدلال؟
- ٤٨ ..... عبادته الامام تعادل عبادات الثقلين ..
- ٥٠ ..... الضادِفُونَ ..
- ٥٠ ..... اشاره ..
- ٥١ ..... على المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين ..
- ٥٢ ..... أمور قيّمه مستفاده من آيه الكون مع الصادقين ..
- ٥٢ ..... اشاره ..
- ٥٣ ..... الأمر الأول: العصمه ..
- ٥٣ ..... الأمر الثانى: وجود الصادقين دائماً ..
- ٥٤ ..... الأمر الثالث: الغرض من وجود المعصوم ..
- ٥٥ ..... الأمر الرابع: كلام مع الفخر الرازى ..
- ٥٩ ..... الضمَطَفُونَ ..
- ٥٩ ..... اشاره ..
- ٥٩ ..... آيات الإصطفاء وما جاء بتفسيرها ..
- ٦٥ ..... «لاصطفاء» لغة ..
- ٦٦ ..... من دلالات الإصطفاء ..
- ٦٨ ..... كلّ ذلك ببركه الطاعة لله ..
- ٦٩ ..... الضمَطِيعُونَ لله ..
- ٦٩ ..... اشاره ..
- ٧١ ..... طاعه على طاعه رسول الله صلى الله عليه وآله ..
- ٧١ ..... المطيعون هم الفائزون ..
- ٧٣ ..... ومن آثار الطاعة ..
- ٧٤ ..... الضمَطَائِمُونَ بأمره ..
- ٧٤ ..... اشاره ..
- ٧٥ ..... دلالة هذه الجملة على الولاية ..

- ٨٠ ..... أَلْعَالِمُونَ بِإِرَادَتِهِ
- ٨١ ..... أَلْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ
- ٨٦ ..... اصطفاكم بعلمه
- ٨٦ ..... اشاره
- ٨٧ ..... كلمه «الإصطفاء»
- ٨٧ ..... لأهل البيت مقام لم يبلغه أحد
- ٩١ ..... شرح الجملة بناءً على نسخه «لعلمه»
- ٩١ ..... الأئمة أوعيه علم الله
- ٩٢ ..... علومهم من الله ورسوله
- ٩٤ ..... وَإِرْتِضَاكُمْ لِعَيْبِهِ
- ٩٤ ..... اشاره
- ٩٥ ..... «الارتضاء» لغه
- ٩٦ ..... من هو المرتضى؟
- ٩٧ ..... وَإِخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ
- ٩٧ ..... اشاره
- ٩٨ ..... المعاني المتعدده لكلمه «السّر»
- ٩٨ ..... اشاره
- ١٠٠ ..... المعنى الأول: أصحاب السّر
- ١٠٣ ..... المعنى الثانى: سرّ الله
- ١٠٤ ..... المعنى الثالث: مستقرّ الله
- ١٠٧ ..... وَاجْتِبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ
- ١٠٧ ..... اشاره
- ١٠٧ ..... الإجتباء لغه
- ١٠٩ ..... نكات قيمه
- ١١٠ ..... الإجتباء فى القرآن
- ١١٤ ..... ماورد عن الأئمة فى الموضوع

- ١١٥ ..... كلام مع الألوسى
- ١١٧ ..... ما معنى بقدرته ؟
- ١١٩ ..... وَأَعَزَّكُمْ بِهَدَاةٍ .....
- ١١٩ ..... العزّه المطلقه .....
- ١١٩ ..... اشاره .....
- ١٢٠ ..... ولماذا قلنا العزّه الحقيقيه ؟
- ١٢١ ..... الأئمه والعزّه الحقيقيه .....
- ١٢٢ ..... خصائص العزّه الحقيقيه .....
- ١٢٤ ..... بين العزّه والهدايه .....
- ١٢٥ ..... بين الإجتباء والهدايه .....
- ١٢٨ ..... المغفره لمن اهتدى .....
- ١٣٠ ..... ما هى الهدايه ؟
- ١٣١ ..... وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ .....
- ١٣١ ..... اشاره .....
- ١٣١ ..... ما معنى البرهان ؟
- ١٣٢ ..... ما معنى الربّ ؟
- ١٣٣ ..... «البرهان» مصداقاً .....
- ١٣٤ ..... وما معنى هذا الإختصاص ؟
- ١٣٥ ..... وَأَنْتَجِبُكُمْ لِنُورِهِ .....
- ١٣٥ ..... اشاره .....
- ١٣٧ ..... النور، مصداقاً .....
- ١٣٨ ..... بين القرآن والعتره .....
- ١٤١ ..... وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ .....
- ١٤١ ..... «التأييد» فى اللغه .....
- ١٤٢ ..... أنحاء التأييد الإلهى .....
- ١٤٨ ..... وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ .....



- ١٤٨ ..... اشاره
- ١٤٨ ..... الخلافه فى القرآن واللغه
- ١٤٩ ..... معنى خلافه الله
- ١٥٥ ..... ما هو الرضا؟
- ١٥٦ ..... وَحَجَجًا عَلَى بَرِّيَّتِهِ
- ١٥٦ ..... ما معنى الحجّه ؟
- ١٥٦ ..... معنى البريّه
- ١٥٨ ..... الكمال المطلوب
- ١٦٢ ..... من لم يصل فهو المقصر
- ١٦٤ ..... نقاط مهمه
- ١٦٥ ..... وَأَنْصَارًا لِدِينِهِ
- ١٦٦ ..... وَحَفَظَتْهُ لِسِرِّهِ
- ١٦٧ ..... وَخَزَنَتْهُ لِعَلِمِهِ
- ١٦٧ ..... وَمُسْتَوْدَعًا لِحِكْمَتِهِ
- ١٦٧ ..... وَتَرَاخُمَهُ لَوْحِيهِ
- ١٦٩ ..... وَأُرْكَانًا لِتَوْحِيدِهِ
- ١٦٩ ..... اشاره
- ١٦٩ ..... من الروايات التي تعتبر الأئمه أركاناً
- ١٧٠ ..... الإقرار بوحدانيه الله بالإقرار بولايه الأئمه
- ١٧٢ ..... لولا الأئمه لم يعرف الله ولم يعبد
- ١٧٢ ..... وَشُهِدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ
- ١٧٥ ..... وَأَعْلَامًا لِعِبَادِهِ
- ١٧٦ ..... وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ
- ١٧٧ ..... وَأَدْلَاءَ عَلَى صِرَاطِهِ
- ١٧٧ ..... عَضَمُكُمُ اللَّهُ مِنَ الرَّزْلِ وَأَمْنُكُم مِّنَ الْفِتَنِ
- ١٧٧ ..... وَطَهَّرَكُمْ مِّنَ الدَّنَسِ وَأَذْهَبَ عَنكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ

- ١٧٧ ..... البَيْتِ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً
- ١٧٧ ..... عصمه الأئمة
- ١٧٩ ..... العصمة لغة
- ١٨٢ ..... العصمة اصطلاحاً
- ١٨٤ ..... دراسته حقيقه العصمه
- ١٨٤ ..... اشاره
- ١٨٤ ..... المطلوب الأول: العصمة عن ماذا؟
- ١٨٧ ..... المطلوب الثاني: الاعتقاد بأن النبي والإمام معصومان منذ الولادة.
- ١٨٨ ..... المطلوب الثالث: هل إن العصمة إكتساب أم إعطاء؟
- ١٩٠ ..... القول بالعصمة لا يستلزم القول بالجبر
- ١٩٠ ..... المطلوب الخامس: هل للعصمة مراتب أم لا؟
- ١٩١ ..... حول آية التطهير
- ١٩٣ ..... هل إن الإرادة تكوينية أم تشريعية؟
- ١٩٤ ..... كيفيه دلالة الآية على العصمة
- ١٩٤ ..... من هم أهل البيت؟
- ٢٠٥ ..... حديث الكساء عن فاطمة الزهراء
- ٢١٣ ..... حال الأئمة عليهم السلام في قبال المقامات الموهوبه
- ٢١٣ ..... اشاره
- ٢١٦ ..... المقدمه
- ٢١٦ ..... ما تفيداه فقره من حيث المجموع
- ٢٢٠ ..... فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ
- ٢٢١ ..... وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ
- ٢٢٢ ..... وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ
- ٢٢٢ ..... وَأَدَمْتُمْ ذِكْرَهُ
- ٢٢٢ ..... اشاره
- ٢٢٢ ..... معنى الذكر

- ٢٢٣ ..... بيان دوام الذكر
- ٢٢٥ ..... آثار دوام الذكر
- ٢٢٨ ..... طرق الوصول إلى الله
- ٢٢٩ ..... ووَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ
- ٢٢٩ ..... اشاره
- ٢٣٠ ..... ١ - مرحلة الميثاق الإلهي
- ٢٣٠ ..... اشاره
- ٢٣٢ ..... في روايات عالم الدر
- ٢٣٤ ..... ٢ - مرحلة الدعوه والعمل بالميثاق
- ٢٣٤ ..... اشاره
- ٢٣٥ ..... من لوازم الدعوه
- ٢٣٦ ..... الفرق بين «العهد» و«العقد»
- ٢٣٧ ..... الناصحون في السرّ والعلن
- ٢٣٨ ..... وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
- ٢٣٨ ..... اشاره
- ٢٣٩ ..... تنوع الدعوه بحسب اختلاف الموارد
- ٢٤١ ..... والبذل: الإعطاء بطيب نفس ورضا وقناعه.
- ٢٤١ ..... ومن هنا يقول عليه السلام في الزياره:
- ٢٤٢ ..... وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنِبِهِ
- ٢٤٢ ..... اشاره
- ٢٤٣ ..... كلام حول الصبر
- ٢٤٥ ..... إشارة إلى علم الأئمه بما سيقع عليهم
- ٢٥١ ..... وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ ، وَأَتَيْتُمُ الرِّكَاهَ ، وَأَمَرْتُمْ
- ٢٥١ ..... بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَيْتُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَجَاهَدْتُمْ
- ٢٥١ ..... فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ
- ٢٥٢ ..... وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ

- ٢٥٢ ..... اشاره
- ٢٥٤ ..... وكم كان التزامهم بالنوافل ؟
- ٢٥٦ ..... الصلاه فى القرآن
- ٢٥٨ ..... المراد من إقامه الصلاه ؟
- ٢٦٠ ..... الأئمه والصلاه
- ٢٦٣ ..... إشاره إلى البحث عن الصلاه
- ٢٦٨ ..... وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
- ٢٦٨ ..... اشاره
- ٢٦٩ ..... المراد من إيتاء الزكاه
- ٢٧٢ ..... وَأَمَرْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُم عَنِ الْمُنْكَرِ
- ٢٧٢ ..... اشاره
- ٢٧٣ ..... ما معنى التفقه فى الدين ؟
- ٢٧٥ ..... لماذا الأبعاد الثلاث ؟
- ٢٧٨ ..... وَجَاهِدْتُم فى الله حَقَّ جِهَادِهِ
- ٢٧٨ ..... اشاره
- ٢٧٨ ..... الجهاد فى القرآن والروايات
- ٢٧٩ ..... معنى الجهاد فى الله
- ٢٨٥ ..... معنى «حقّ الجهاد»
- ٢٩٢ ..... فَالزَّاعِبِ عَنْكُم مَّارِقٌ ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ ،
- ٢٩٢ ..... وَالْمَقْصَرُ فى حَقِّكُمْ زَاهِقٌ
- ٢٩٢ ..... الأئمه بشأن الأئمه على طوائف
- ٢٩٣ ..... المعرضون عن الأئمه
- ٢٩٤ ..... المروق لغه
- ٢٩٧ ..... وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ
- ٢٩٧ ..... اشاره
- ٢٩٨ ..... المعنيه والملازمه تنتهى إلى الخلطه

- وَالْمَقْصَرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ ..... ٣٠٣
- اشاره ..... ٣٠٣
- جهل الناس بأهل البيت عليهم السلام ..... ٣٠٥
- الأئمة هم الطريق لمعرفةهم ..... ٣٠٨
- ولماذا يكون المقصر في حقهم زهوقاً؟ ..... ٣٠٩
- وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ ..... ٣١١
- اشاره ..... ٣١١
- ما هو الحق؟ ..... ٣١٢
- الحق في القرآن ..... ٣١٣
- الحق مع علي ..... ٣١٩
- وَمِنْكُمْ وَالْيَكِيم ..... ٣٢٢
- اشاره ..... ٣٢٢
- نظره إلى علم أمير المؤمنين عليه السلام ..... ٣٢٣
- وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعِدَّتُهُ ..... ٣٢٤
- وَمِيرَاثُ النَّبَوِّ عِنْدَكُمْ ..... ٣٢٤
- اشاره ..... ٣٢٤
- أهل البيت وحساب الناس يوم القيامة ..... ٣٢٧
- شبهه حول فقره ..... ٣٢٧
- اشاره ..... ٣٢٧
- الجواب عن الشبهه ..... ٣٢٨
- نقاط مهمه ..... ٣٢٩
- بحث قرآني ..... ٣٣٢
- حالات الأئمة المميّزه ..... ٣٤٢
- المقام الخاص في يوم القيامة ..... ٣٤٤
- وَفَصَّلَ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ ..... ٣٤٨
- اشاره ..... ٣٤٨

- ٣٤٩ ..... فصل الخطاب في القرآن والأحاديث
- ٣٥٠ ..... على الفاروق والميزان
- ٣٥٦ ..... وآيات الله نذيركم
- ٣٥٦ ..... اشاره
- ٣٥٨ ..... مصاديق الآيات الإلهية
- ٣٥٨ ..... القرآن المجيد
- ٣٥٨ ..... المعاجز
- ٣٥٨ ..... الكتب السماوية
- ٣٦٠ ..... وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ
- ٣٦١ ..... وَتُورَةُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ
- ٣٦٤ ..... وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ
- ٣٦٤ ..... اشاره
- ٣٦٥ ..... الأئمة والولاية في الأحكام
- ٣٦٦ ..... من هو الشارع ؟
- ٣٧١ ..... آراء العلماء
- ٣٧٤ ..... أتباع أهل البيت أتباع الله تعالى
- ٣٧٤ ..... معنى الولاية
- ٣٧٥ ..... نكته مهمته
- ٣٧٧ ..... طريقان أساسيان
- ٣٧٧ ..... طريق الله
- ٣٧٧ ..... طريق الشيطان
- ٣٨٠ ..... ولاية الأئمة على الأموال والأنفس
- ٣٨٠ ..... اشاره
- ٣٨٢ ..... الدليل الأول:
- ٣٨٢ ..... اشاره
- ٣٨٢ ..... أقوال مفسري العامة

٣٨٥ ..... الدليل الثاني:

٣٨٨ ..... الدليل الثالث:

٣٨٨ ..... اشاره

٣٩٤ ..... الولاية التشريعيته في حديث الولاية

٣٩٤ ..... حديث الولاية بروايه أحمد

٣٩٥ ..... حديث الولاية بروايه الترمذى

٣٩٦ ..... حديث الولاية بروايه الطبرى

٣٩٧ ..... حديث الولاية بروايه الطبرانى

٣٩٩ ..... الولاية التشريعيته في حديث وهب

٤٠٠ ..... الولاية التشريعيه في حديث آخر

٤٠١ ..... حبّ أئمه أهل البيت حبّ الله وبغضهم بغضه

٤٠٢ ..... المعتصمون بالأئمه عليهم السلام

٤٠٤ ..... تعريف مركز

عنوان و نام پديدآور: مع الأئمة الهداه فى شرح الزياره الجامعه الكبيره / تاليف السيدعلى الحسينى الميلانى.

مشخصات نشر: قم: مركز الحقائق الاسلاميه، ١٤٣٢ ق. = ١٣٩٠ -

مشخصات ظاهري: ٤ ج.

يادداشت: عربى.

شابك: دوره ٩٧٨-٦٠٠-٥٣٤٨-٤٦-٠ : ؛ ٧٠٠٠٠٠ ريال : ج. ١ ٩٧٨-٦٠٠-٥٣٤٨-٤٧-٧ : ؛ ١٢٠٠٠٠٠ ريال : ج. ٢ ٩٧٨-٦٠٠-

٥٣٤٨-٧٩-٨ : ؛ ١٢٠٠٠٠٠ ريال : ج. ٣ ٩٧٨-٦٠٠-٥٣٤٨-٨٠-٤ : ؛ ج. ٤: ٩٧٨-٦٠٠-٥٣٤٨-٩٤-١

يادداشت: ج. ٢ (چاپ اول: ١٤٣٤ ق. = ١٣٩٢) (فيا).

يادداشت: ج. ٣ (چاپ اول: ١٤٣٥ ق. = ١٣٩٣).

يادداشت: ج. ٤ (چاپ اول: ١٤٣٧ ق. = ١٣٩٤) (فيا).

يادداشت: كتابنامه.

عنوان قراردادى: زيارتنامه جامعه كبيره. شرح

موضوع: زيارتنامه جامعه كبيره -- نقد و تفسير

رده بندى ديويى: ٢٩٧/٧٧٧

رده بندى كنگره: BP٢٧١/٢٠٢: ح ٥٦ / ١٣٩٠

سرشناسه: حسينى ميلانى، سيدعلى، ١٣٢٦ -

شناسه افزوده: مركز الحقائق الاسلاميه

شماره كتابشناسى ملي: ٢٥٩٣٧٢٩



مع الأئمة الهداه فى شرح الزياره الجامعه الكبيره

تاليف السيد على الحسينى الميلانى

ص: ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣



يسرّ مركز (الحقائق الإسلاميّه) أنّ يقدّم إلى المكتبه الإسلاميّه كتاب (مع الأئمه الهداه في شرح الزياره الجامعه)، الذي أتحف به سيّدنا الفقيه المحقّق آيه الله الحاج السيّد على الحسيني الميلاني - دامت بركاته - أهل الولاء للنبيّ وأهل بيته الأطهار عليهم الصّلاه والسّلام، في محاضراتٍ متواصله ألقاها في الحوزه العلميّه بقم باللّغه الفارسيّه، فقام المركز بترجمتها إلى اللغه العربيّه، كما سيبادر إلى ترجمتها إلى اللّغات الأخرى أيضاً، ليعمّ نفعها المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها إن شاء الله.

لقد شرح سيّدنا الزياره الجامعه على ضوء آيات الكتاب الكريم والروايات المعتمده، وعلى أساس الأصول الثابته في مباحث الإمامه في علم الكلام، بما لم يسبقه أحدٌ في هذا الباب فيما نعلم.

ولقد بذل الإخوه المحقّقون في المركز جهداً كبيراً في تصحيح الكتاب وإرجاع المطالب إلى المصادر الأصليّه وإخراجه منقّحاً بقدر الإمكان، وسيقع في أربعة أجزاءٍ مع الفهارس التفصيليّه في الجزء الأخير.

فإليكم الجزء الثاني من هذا الكتاب، ومن الله التوفيق.

مركز الحقائق الإسلاميّه



## كلمه المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصّلاه والسّلام على سيّدنا محمد وآله الطّاهرين المعصومين، ولعنه الله على أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخريين.

وبعد:

فهذا هو الجزء الثاني من كتابنا (مع الأئمة الهداه في شرح الزياره الجامعه) تقدّمه لأهل الولاء لأهل البيت المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، راجياً منهم الدعاء، ومن الله القبول. بمحمد وآله الطاهرين.

على الحسينيّ الميلائيّ

١٤٣٥

ص: ٧



## القسم الأول: الإمامه ومعرفة الإمام

أشاره

ص: ٩





وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكْرَمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُصِطَفُونَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ الْقَوَّامُونَ  
بِأَمْرِهِ الْعَامِلُونَ بِإِزَادَتِهِ الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ

ص: ١١



## فِي الشَّهَادَةِ الثَّلَاثَةِ

بدايةً نقول:

إنَّ الشَّهَادَةَ الثَّلَاثَةَ، أَى الشَّهَادَةَ وَالْإِقْرَارَ بِإِمَامِهِ وَوَلَايَةِ وَخِلَافَةِ الْأَتْمَةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، تَعُدُّ مِنْ أَهْمِ الْأَصُولِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ بَعْدَ الشَّهَادَةِ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَرِسَالَةِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَلْ هِيَ وَعَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ أَعْظَمِنَا، مَكْمَلَةٌ لِلشَّهَادَتَيْنِ فِي دِينِنَا، وَكَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» ١.

وبعبارة ثانية؛ ليس للشهادتين الأثر المطلوب، بدون الإقرار بالشهادة الثالثة، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ:

«وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا»

وبطبيعته الحال، فَإِنَّ مَخَاطَبَنَا فِي هَذِهِ الْبَحْثِ هُمْ غَيْرُ الَّذِينَ - كَمَا

وصفتهم الآية الكريمة - : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ »، ١ وأما أولئك فلا كلام لنا معهم.

وهنا لابد من بيان عدّه مطالب:

المطلب الأول: لا شك في أنّ آية الولاية قد نزلت في حقّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام، ألا وهي قوله تعالى :

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ٢

وقد وردت في هذا الشأن أحاديث كثيرة بطرق الشيعة والسنة، فدلاله الآية على ولاية أمير المؤمنين عليه السّلام بعد ولاية الله والرسول، قطعته ومسلّمه، فكما أنّه يجب الإقرار والشهادة بولاية الله ورسوله، كذلك يجب الإقرار والشهادة بولاية أمير المؤمنين عليه السّلام.

المطلب الثاني: وردت روايات كثيرة جاء فيها إنّ إسم أمير المؤمنين عليه السّلام قد ذكر مقروناً لاسم الله تعالى وإسم رسوله في عالم ما قبل عالمنا، وكذا في غيب عالمنا هذا.

وبعبارة أخرى، في كلّ مرتبه من مراتب الوجود وأينما كتب «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» كتب «على ولي الله، على حجّه الله» وأوصاف مختلفة أخرى، وهذه الأحاديث منقولة في كتب الشيعة والسنة بنحو مستفيض. (١)

ص: ١٤

---

١- (٣) ترجمه الامام الحسين عليه السّلام، ابن عساكر: ١٨٦، وقد جاء في هذا المصدر: قال رسول الله: ليلى عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، على حبّ الله، والحسن والحسين صفوه الله، فاطمه أمه الله، على باغضهم لعنه الله؛ وراجع كتاب نفحات الازهار في خلاصه عبقات الانوار ٥ / ٢٣٦.

المطلب الثالث: وردت روايات في خصوص الشهادة بالولاية بعد الشهادتين، وفي هذه الروايات إطلاق وعموم يشمل الأذان أيضاً.

المطلب الرابع: حتى لو قبلنا عدم إمكان الإستدلال بهذه الروايات المطلقة، لعدم تماميتها من جهة السند مثلاً، يمكننا الإستدلال بروايات «مَنْ بَلَغَ»، (١) وهذا الإستدلال كافٍ للإفتاء بالشهادة الثالثة في الأذان.

المطلب الخامس: إذا صارت الشهادة الثالثة في الأذان من شعائر المذهب - كما قال بذلك بعض الفقهاء الأجلاء وأفتوا به ومنهم آية الله العظمى السيد محسن الحكيم الّذى نصّ على ذلك في كتاب المستمسك - كانت الشهادة الثالثة في الأذان واجبه. (٢)

وعلى هذا، فإنّ الشهادة الثالثة ليست أمراً مبتدعاً من قبلنا أو ناشئاً عن هوى النفس أو بداعي حبّ أهل البيت عليهم السّلام، بل هو واقع قام الدليل عليه، وإن كنّا نتحرى المواطن للتعبير عن ودنا وإخلاصنا لأهل البيت عليهم السّلام بشتى الأنحاء المتاحة.

وفي شرح هذه الفقرة من الزيارة، نكاتٌ وتأمّلات مفيدة، فقد أفادت أنّ كلّ ما وصل إليه الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، فإنّما هو منحه من الله سبحانه و تعالى لهم، فلذا نقول: «اضْيَطَّفَاكُمْ بِعِلْمِهِ وَازْتَصَّأكُمْ لِعَيْبِهِ وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَأَعَزَّكُمْ بِبُهْدَاهِ...» حيث أنّ جميع هذه الأفعال مسنده إلى الله تعالى ومنسوبة اليه، وإنّه هو الذى أقرّ هذه الذوات الطاهرة في هذه المقامات ورفعهم إلى هذه الدرجات.

ص: ١٥

١- (١) وسائل الشيعه ١ / الباب ١٨ من أبواب مقدّمات العبادات.

٢- (٢) مستمسك العروه الوثقى ٥ / ٥٤٥.

إِنَّ هَؤُلَاءِ السَّيِّدَةَ الْأَطْهَارَ قَدْ حَازُوا لِيَاقِهِ وَأَهْلِيَّهِ وَشَأْنِيهِ الْفَوْزَ بِهَذَا الْعَطَاءِ الْإِلَهِيِّ، فَجَادَ الْبَارِي جَلًّا وَعِلًّا عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْمَقَامَاتِ.  
وَالسُّؤَالُ هُوَ: مَاذَا فَعَلَ الْأَتَمَّةُ الْأَبْرَارَ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى هَذَا الْمَقَامِ؟

وبعد هذه الفقرة تأتي العبارة اللاحقة مصدره ب «فاء» التفریع: «فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهٗ وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهٗ» أى كَلَّمَا رَفَعْتُمْ اللَّهَ وَقَرَّبْتُمْ إِلَيْهِ،  
تَوَاضَعْتُمْ وَخَشَعْتُمْ لَهُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ.

ومن الضروري هنا بيان مطلبين:

الأول: إِنَّ مَنْ يَقُولُونَ: «قَدْ يَصِلُ الْإِنْسَانُ إِلَى مَقَامٍ تَسْقُطُ عِنْدَهُ عَنْهُ الصَّلَاةُ وَالْعِبَادَةُ وَالْخُضُوعُ وَالْخُشُوعُ»،<sup>(١)</sup> هم متوهمون  
الوصول إلى مقام ما، ويحاولون التهرب من التكاليف الشرعيّة بهذه الذريعة الواهية، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ:

«وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» ٢

أى حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ.

المطلب الثاني: وطائفه اخرى من المنحرفين يقولون: إِنَّ الزياره الجامعه فيها غلو!

فَإِنَّ كَانَ هَؤُلَاءِ مِنْ مَصَادِيقِ الْآيَةِ: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»<sup>٣</sup> فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ هَذَا الصَّنْفِ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَلْتَفِتُوا إِلَى  
إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ

ص: ١٤

---

١- (١) نهج الحق وكشف الصدق: ٥٨. وينبغي التنبيه إلى أن أكثر هؤلاء الأفراد هم من الصوفية الذين يقولون بأن الله تعالى  
يحلّ في أبدان العرفاء. وبعضهم يقول بالاتحاد، وأن العارف إذا اتّحد بالله سقطت عنه العبادة.

الذى منح هذه المقامات والمنازل للأئمة الأطهار عليهم السلام حيث تقول الزيارة:

«اضْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ وَارْتَضَاكُمْ لِعَيْنِهِ وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاهِ»

ثم نقول:

«فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ ... وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ»

فأين الغلو فى هذا؟

إننا - ومن خلال آيات القرآن الكريم - عرفنا إن فى تاريخ الإسلام بل ومن إبتداء الخلقه يوجد قسمان من الأئمة:

١ - أئمه ضلال.

٢ - أئمه هدى.

وهذا موضوع يحتاج إلى بحث مستقل، ولكن إجمالاً نقول:

إن حكمه الله تعالى وسنته فى خلقه قد إقتضت ذلك، وقد بدأت هذه الحقيقه منذ أن تمرد إبليس على الأمر الإلهى بالسجود لآدم عليه السلام.

ص: ١٧





إشاره

أول وصف من أوصاف الأئمة عليهم السلام نشهد عليه ونقرُّ به، هو إنهم «راشدون»، وإتصافهم بهذا الوصف واقعٌ وحقيقهٌ، شهد بها حتى أعداؤهم ولم ينكره أحدٌ.

ما معنى «رشد»، «رشيد»، «راشد» والذي يجمع على «راشدون»؟

جاء في كتاب المفردات في غريب القرآن:

الرَّشَدُ والرُّشْدُ: خلاف الغي، يستعمل إستعمال الهدايه.

... قال تعالى: «فَإِنْ أَنْسَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا» ١ و «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ» ٢ وبين الرشدين، أعنى الرشد المؤمنس من اليتيم والرشد الذي أُوتى إبراهيم عليه السلام بؤن بعيد...

وقال بعضهم: الرَّشْدُ أخص من الرُّشْدِ، فَإِنَّ الرُّشْدَ يقال في الأمور الدنيويّه والأخرويّه، والرَّشْدُ يقال في الأمور الأخرويّه لا غير. والرَّاشِدُ والرَّشِيدُ يقال فيهما

جميعاً، قال تعالى: «أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» ١.٢

بناءً على قول الراغب، فإنَّ الرشد مقابل الغي، وهكذا جاء في القرآن المجيد:

«قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» ٣.

ويأتي الرشد بمعنى الهدايه أيضاً.

وأما في القاموس المحيط، فقد ذكرت خصوصيته اخرى لهذا المصطلح، قال:

«الرشد: الإستقامه على طريق الحقّ مع تصلّب فيه...» (١)

ويبدو أنّ هذا المعنى هو المناسب لحال نبي الله إبراهيم عليه السّلام في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ...» ٥ وهو المناسب لحال الأئمة الأطهار عليهم السّلام.

### الأئمة هم الخلفاء الراشدون

وقد وردت كلمه «الراشدون» مرّه واحده فقط في القرآن المجيد حيث قال تعالى:

«وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ \* فَضَلَّ مَنْ  
اللَّهُ وَنِعْمَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» ٦

ص: ٢٠

يقول الفضيل بن يسار: سألت الإمام الصادق عليه السلام: هل الحبُّ والبغض من الإيمان؟

فقال عليه السلام:

وهل الإيمان إلا الحبُّ والبغض؟ ثم تلا هذه الآية... (١)

ولقد كان الأئمة عليهم السلام المصداق الأعلى لمفهوم كلمة «الرشد»، أي إنهم كانوا على هدى وأنهم إستقاموا عليه، ولكن ومع ذلك كانوا بذواتهم الطاهرة أنوار هدايه وهداه إلى طريق خالٍ عن شائبه الغي، ولذا فهم أحق بالاتباع والقياده، قال تعالى:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى» ٢

وعجبي من اولئك الذين نصبوا أعلاماً لهم في مقابل أهل البيت عليهم السلام ووصفهم بالخلفاء الراشدين، بل إنهم تمادوا في الغي ورؤوا في بعض كتبهم الحديثيه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إنه قال:

«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي» (٢)

ولكن - وطبقاً للتحقيق في متن وسند هذا الحديث - إتضح إن هذا الحديث وحتي على مباني أهل السنه وإستناداً إلى أقوال علمائهم في الجرح والتعديل - غير صحيح، وإن بعض علماء أهل السنه صرح بعدم إعتباره، ولكن، وعلى فرض التغاضي عن البحث السندي وقبول صحه الحديث، فإنه لا مناص من القول بأن

ص: ٢١

١- (١) الكافي ٢ / ١٢٥، الحديث ٥.

٢- (٣) المعجم الكبير ١٨ / ٢٤٧، المستصفي، الغزالي: ١٦٩، الإحكام في اصول الأحكام، الآمدى ١ / ٢٤١.

الأئمة المعصومين عليهم السّلام هم الخلفاء الرّاشدون لا زيد وبكر وخالد، إذ بقطع النظر عن الروايات والأدلة الاخرى، فإنّ حياه هؤلاء الأطهار حاكيه عن رشدهم، وإنّ مطالعه سيرتهم وأحوالهم - حتى فى كتب المخالفين لهم - خير شاهد ودليل على هذا المعنى.

فإذا ما كان أكثر الناس قد تركوا طريق الرشد وإختاروا طريق الغى والتمسوا اناساً سمّوهم - خطأ - الخلفاء الراشدين، فهذا تقصير منهم...

يقول تعالى :

«وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» ١

فمن البديهي عندنا إنّ هذا اللقب من ألقاب الأئمة عليهم السّلام، كما أن «الصدّيق» و «الفاروق» من ألقاب أمير المؤمنين على عليه السّلام. (١)

وطبقاً للتحقيق، فإنّ كبار علماء أهل السنه يقولون: ليس عندنا حديث يُثبت لقب «الفاروق» لعمر بن الخطاب «وإنما لقبه بذلك أهل الكتاب، أى اليهود».

فاليهود هم الذين أطلقوا هذا اللقب على عمر. (٢)

نعم، أئمتنا هم الأئمة الراشدون، ولذا، فإنّ الله تعالى نصبهم لهدايه الناس وجعلهم قاده لهم.

ص: ٢٢

---

١- (٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ١ / ٩، أمالى الشيخ الصدوق: ٢٨٥.

٢- (٣) راجع: البدايه والنهايه ٧ / ١٥٠.

فى أصول الكافى بابٌ تحت عنوان «الأئمه هم الهداه» (١) وإنه - وكما فى هذا العنوان - فإن الهدايه والهادويه كليهما منحصران فى الذوات المقدسه للأئمه عليهم السلام، يقول تعالى :

«إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» ٢

وكما جاء فى أحاديث الفريقين، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أفاد:

إن علياً هو الهادى لهذه الامه من بعده. (٢)

وعلى هذا، أيمكن أن يكون الهادى غير مهتدٍ؟ وأن يكون غير المهدى هادياً؟

فكلُّ واحد من أئمتنا عليهم السلام مهدى، فمن هو الهادى لهم؟

إن هاديهم هو الله تعالى ، فما ظنكم بمن كان الله تعالى هاديه؟

وأما تلقيب ولى العصر والزمان أرواحنا فده ب «المهدى»، فإنما ذلك لوجود خصوصيات فيه وفى كيفية هدايته، ولعل من أهم هذه الخصوصيات هو تحقق الوعد الإلهى على يديه، وهو قوله: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» ٤

كما إن تحقق وعد رسول الله صلى الله عليه وآله «يَمْلؤها قسطاً وعدلاً بعدما

ص: ٢٣

١- (١) راجع: الكافى ١ / ١٩١.

٢- (٣) راجع: ج ١. الصفحه ٢٣٦ من هذا الكتاب.

مُلِّتْ ظُلماً وَجُوراً» (١) يكون على يدى الإمام المهدي أرواحنا فداء وعَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره وأعوانه.

## الْمَعْصُومُونَ

ذُكِرَتْ عصمه الأئمة عليهم السَّلام فى عدّه مواضع من الزياره الجامعه، وسوف نبين الأدلّه على هذا المقام العظيم فى قسم الاعتقادات، (٢) حيث تتناول فيه بحث العصمه، الشفاعه، الرجعه، و بعض المسائل الاعتقاديّه الاخرى التى يطرحها الزائر فى مقام زياره الأئمة عليهم السلام.

## الْمُكْرَمُونَ

بين «المُكْرَمُونَ» و «المُكْرَمُونَ» فرقٌ، مع اشتراكهما فى أصل المعنى وهو الكرامه، فهذا التشديد وطبقاً لقانون «كثرة المباني تدلّ على كثره المعانى» لا بدّ أن يكون له هنا دلالة زائده ومعنى إضافى.

فلأئمة عليهم السلام كرامه خاصه عند الله تعالى وهم مقدّمون على غيرهم.

ومصطلح «مكْرَمُونَ» مأخوذ من قوله تعالى :

«وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» ٣

والإنسان أساساً، أفضل من كثير من المخلوقات، ولكن لبّ تكريم بنى آدم

ص: ٢٤

١- (١) راجع: بحار الأنوار ٩ / ٥١.

٢- (٢) للمؤلف رساله فى العصمه، وهى مطبوعه.

منصبً على وجود محمد وآل محمد عليهم الصّلاه والسلام، والذين هم مقدّمون على الآخرين في جميع الجهات.

فالأنبياء السابقون مكرّمون أيضاً، وكذا الملائكة، ولكن ثبت في محله وقد أشرنا إلى ذلك أيضاً فيما سبق، أن الأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء ماعدا رسول الله محمد صلّى الله عليه وآله، وهم مقدّمون حتّى على اولى العزم من الأنبياء عليهم السلام، وإن كان قبول هذا المعنى يصعب على بعض الأفهام، ولعلنا نوفّق إن شاء الله إلى زياده توضيح لهذا المطلب لاحقاً.

وقد أشرنا في شرح فقره «وعباد المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» المأخوذه من الآيه المباركه، (١) إلى جهات من التكريم المعنوي الإلهي للأئمة عليهم السّلام من قبيل العصمه، العلم، والشفاعه، (٢) ولكن التكريمات المعنويه لا تنحصر في هذه الأمور، فإنّ حضرات الأئمة عليهم السّلام، هم مظاهر أسماء الله الحسنی وصفاته العلیا.

فإذا ما قلنا: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السّلام مقدّمون على جميع المخلوقات ومن كلّ الجهات، فإنّ مقصودنا هو بيان إمتيازهم في أصل الخلقه وفي الصفات والكمالات الظاهريه والباطنيه معاً.

وهذا ما سنقرؤه لاحقاً أيضاً في قوله عليه السّلام:

«فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرمين».

ص: ٢٥

---

١- (١) سورة الأنبياء (٢١): الآيه ٢٦ و ٢٧.

٢- (٢) راجع: ج ١، الصفحه ٣٧٢ من هذا الكتاب.



الأئمة عليهم السّلام مقربون من ساحه القدس الإلهيّة، وكلّ الأنبياء، الأولياء، وعباد الله الصالحين، لهم قرب معنوى، وقد ذُكرت في القرآن الكريم امتيازات خاصّه لهؤلاء.

يقول عزّوجلّ :

«عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» ١

ولكنّ الاستفادة من الآيات والروايات هو أن مراتبهم متفاوتة، لذا جاء في الذكر المجيد:

«وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ» ٢

فمثلاً جاء في حق عيسى عليه السّلام:

«وَجِئْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» ٣

وأيضاً، فإنّ الملائكة وإن كانوا بأجمعهم في عالم الملكوت، ولكنهم ليسوا في مرتبه ودرجه واحده، لذا قال تعالى :

«وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ» ٤

ولاحظوا هذا التعبير القرآني:

«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» ٥

وانظروا كيف إنه في هذه الآيه الشريفه، وضمن الإشاره إلى اختلاف مراتب المقربين، خصَّ السابقين منهم بمقام كمال القرب الإلهي. و«المقربون» في الزياره الجامعه إشاره إلى هذه الآيه المباركه.

### الأئمه هم «السابقون»

لأنهم هم السابقون في أصل الخلقه، كما جاء في أحاديث خلقهم من النور، وسيأتينا في شرح فقره «خلقكم الله أنواراً» أيضاً.

و هم السابقون في المعرفه حيث قالوا: «بنا عرف الله»(١).

والسابقون في الميثاق، كما سيأتي في قوله: «ووكدتم ميثاقه».

والسابقون في العباده، حيث قال عليه السلام: «بنا عبد الله»(٢).

وفي حديث آخر، قال عليه السلام: «سبّحنا فسبّحت الملائكه بتسييحنا»(٣).

أمّا في هذا العالم، فالسابق إلى الإسلام هو أمير المؤمنين عليه السلام، وهو ما روى متواتراً عند الفريقين.(٤)

### المتنقون

#### إشاره

إنّ مصطلح «التقوى» مأخوذ من الوقايه، يقول الراغب الإصفهاني:

ص: ٢٧

١- (١) راجع بحار الانوار ٢٦ / ٢٦٠.

٢- (٢) راجع بحار الأنوار ٢٦ / ٢٦٠.

٣- (٣) راجع نفحات الازهار في خلاصه عبقات الانوار ٥ / ١٥١.

٤- (٤) نفس المصدر السابق ٢٠ / ٤٠٩.

«وقى: الوقايه حفظ الشئ مما يؤذيه ويضرّه، يقال: وقيت الشئ، أقيه وقايه ...

والتقوى جعل النفس فى وقايه مما يخاف...»(١)

إنّ الوقايه من أى ضرر إنّما تكون بحسبه، فمثلاً الوقايه من الطقس البارد إنّما تكون بإرتداء الإنسان ملابس الشتاء كى لا يمرض، فيقال فى حقه: وقى نفسه من البرد؛ أو يقال: توقى البرد.

### ما معنى الضرر؟

والضرر من «الضرّ» وهو سوء الحال، أو النقصان عمّا هو المطلوب فى الحال أو الشئ.

فمثلاً، المسير الصحيح والوضع المطلوب للتاجر، هو أن يربح ويترقى فى تجارته، فإن انحرف عن هذا المسير قيل فى حقه: لقد تضرّر.

مثال آخر، إنّ صحّه الإنسان مرهونه بعمل أعضائه بدنه بشكل صحيح، فإذا ما قام كلّ عضو من أعضائه بعمله على ما هو المطلوب منه والمخلوق من أجله، فسيبقى بدنه سليماً، ومزاجه مستقيماً، ولكن لو إعترض بعض الأعضاء عارض صحى وإنحرف عن خطّ عمله ووظيفته، قيل فى حقّ هذا الشخص: إنّ صحته غير معتدله، وحاله سيئ.

والكلام هو الكلام فى الامور المعنويه، فالضرر يعنى الانحراف عن المسير الصحيح والحال المستقيم والوضع المقبول شرعاً وعقلاً.

فالمسیر الصحيح فى البعد الإعتقادى، هو أن يصحّ الإنسان معتقداته

ص: ٢٨

بأخذها من القرآن والسنة والمصادر المعتمده، وأن يحافظ ويستقيم على هذه المعتقدات، وأن تكون عقائده صلبه لا تتزلزل أمام الشبهات، ولا تنحرف عند المزلات. فإذا ما خرج الشخص عن خط سير معتقداته الصحيحه، قيل في حقّه:

إِنَّ فُلَانًا سَاءَ حَالُهُ وَانْحَرَفَ فِي عَقِيدَتِهِ.

إِنَّ الْإِنْسَانَ مَوْظَفٌ بِأَدَاءِ التَّكْلِيفِ، بِالِاجْتِنَابِ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ وَالْعَمَلِ بِالْوَاجِبَاتِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَابِعِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي عَيَّنْتَهَا الشَّرِيعَةُ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ إِمَّا مُجْتَهِدٌ وَإِمَّا مُقَلِّدٌ أَوْ مُحْتَاطٌ، فَلَوْ إِنَّ الْإِنْسَانَ التَّزَمَ بِذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ الصَّحِيحِ، كَانَ عَمَلُهُ صَاحِبًا وَسَلِيمًا مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ. وَأَمَّا إِذَا وَجَدَ خَلَلَ أَوْ نَقْصًا فِي عَمَلِهِ، أَوْ أَنَّهُ أَخَذَ تَكْلِيفَهُ مِنْ مَصْدَرٍ غَيْرِ مُعْتَمَدٍ، يُقَالُ فِي حَقِّهِ: إِنَّهُ سَيِّئُ الْعَمَلِ وَمُنْحَرَفٌ عَنِ الشَّرِيعَةِ.

وكذا الكلام في البعد الأخلاقي، فمراقبه النفس الإنسانيه أمر لازم، وطبقاً لما ورد في الكتاب والسنة، فإنّ النفس الإنسانيه تحتاج إلى التزكيه والتهديب، وأن تُزَان بالصفات الحسنه، وتطهّر من الصفات السيئه.

فعلى الإنسان أن يخطو خطوات في هذا الطريق، وأن يواظب على طهاره نفسه، وأن يسعى إلى تركيز هذه الطهاره في نفسه أكثر فأكثر.

وفي هذا المجال، عليه أن يجتنب عن قراءه الكتب المضلّله، والحضور في المحيط الملوّث، ومراوده أصدقاء السيّء، وأن لا يُصغى لكلّ ما يقال هنا وهناك، وأن لا يجالس إلاّ الصّالحين، فإنّ كلّ ذلك له غايه الأثر والتأثير عليه، وفي عكس هذه الحاله سيفسد وسيقال: إِنَّ فُلَانًا سَيِّئُ الْأَخْلَاقِ وَمُنْحَرَفٌ أَخْلَاقًا.

وبناءً على ما مرّ، فإنّ التقوى هي السّلامه من كلّ أنواع وأقسام الانحرافات،

وعلى الإنسان المكلف الذى يريد طى طريق الكمال أن يكون حذراً فى الأبعاد الثلاثة، العقائديه، العمليه، والأخلاقية، فأى خللٍ وغفله ستؤدى إلى الإنحراف عن المسير الصحيح، وإلى الإبتعاد عن الوضع السليم.

### ما هى التقوى؟

بالبیان الآنف، المستفاد من الروايات، وكلمات الأعظم، ومراجعته كتب الأخلاق، لا بد أن نقول: إنَّ «التقوى»، تعنى المواظبه على تجنّب الوقوع فى المضمرات، والحذر من الإنحرافات، فإذا ما قيل: فلان متّقٍ ؛ يعنى إنَّ فيه ملكه المواظبه على نفسه بالنحو المذكور.

هذا، وقد وردت تأكيدات كثيره فى الكتب الأخلاقية على «المراقبه»، فالمراقبه وكذا المحاسبه بالمعنى المذكور فى الكتب المعنّيه لهذين المصطلحين، هى نوع وقايه، ومن أوضح مصاديقها، فهى على أقلّ التقادير وسيله للثبات والمحافظة على ما حصل عليه الإنسان من الفضائل، ومن ثمّ ترشيدها للترقى والوصول إلى الحدّ المطلوب من الكمال.

### مراتب التقوى

وللتقوى مراتب، ولقد كان أئمتنا عليهم السّلام المصداق التام للكلمه وفى أعلى مراتب «المتقين».

يقول تعالى فى القرآن المجيد:

ص: ٣٠

«وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» ١

فالذى لاريب فيه: أنّ «والذى جاء بالصّدق» هو النبي الأكرم محمد صلّى الله عليه وآله، وهو ما ورد في التفسير والحديث أيضاً.

### وأما الذى «صدّق به» فمن هو؟

فى رواياتنا، عن أئمتنا عليهم السّلام إنّ المراد من «صدّق به» هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام. (١)

والملفت هنا هو، أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد احتجّ بهذه الآية الكريمة كما ورد فى بعض الروايات. (٢)

هذا، وقد ورد هذا المعنى فى كتب أهل السنّه، أيضاً، فقد رووا بأسانيدهم أنّ المراد من «صدّق به» هو أمير المؤمنين عليه السّلام، وإنّ كان بعضهم يذهب إلى أنّ المراد هو أبوبكر، ولكن التفسير الذى ورد فى غير واحدٍ من تفاسيرهم مثل «الدر المنثور» و«البحر المحيط» وفى كتب اخرى، هو أنّ المراد من «صدّق به» هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام. (٣)

وبناءً على هذا، فإنّ المنظور من قوله تعالى «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» هو أمير المؤمنين عليه السّلام.

ص: ٣١

١- (٢) تفسير القمى ٢ / ٢٤٩؛ تفسير مجمع البيان ٨ / ٤٠٠؛ تفسير نور الثقلين ٤ / ٤٨٦، الحديث ٥٠ و ٥١، تفسير الصافى ٤ /

٣٢٢، الحديث ٣٣؛ بحار الأنوار ٣٥ / ٤١٦، الحديث ١٥ و ١٦.

٢- (٣) شواهد التنزيل ٢ / ١٨١، الحديث ٨١٥؛ مختصر البصائر: ١٦٣، الحديث ١٢؛ بحار الأنوار ٥٣ / ٦٩، الحديث ٦٦.

٣- (٤) تفسير الدر المنثور ٥ / ٣٢٨؛ البحر المحيط ٧ / ٤١٢؛ تفسير القرطبي ١٥ / ٢٦٥؛ تفسير معانى القرآن، النحاس ٦ / ١٧٥ و

١٧٦؛ شواهد التنزيل ٢ / ١٧٨؛ الحديث ٨١٠.

تُرى ، ما المراد من وصف أمير المؤمنين عليه السّلام بالتقوى فى هذه الآيه ؟ وأيّ مرتبه من التقوى هذه ؟

### كون الآيه بصيغه الجمع يضرّ بالاستدلال ؟

فإن قيل: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام مفرد و «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» جمع، والمطابقه بين الضمير ومرجعته، وبين الصفه والموصوف، شرط، فكيف يكون المراد من «والذى صدق به» أمير المؤمنين عليه السّلام ؟

لقد حضر هذا المعنى فى أذهان بعض المفسرين فقالوا: إنّ «الذى» فى هذه الآيه بمعنى «الذين»، كما إنّ هذا الإشكال يرد أيضاً على أصحاب الرأى القائل بأن المراد من «وصدق به» هو أبوبكر، لأنّه مفرد.

ولكن أعلام المفسرين من الفريقين يقولون إنّ المراد فى الآيه الكريمه هو شخص أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام.

ولا يخفى، أنّ لهذه القضيّه نظائر فى خصوص أمير المؤمنين عليه السّلام، و من ذلك آيه الولاية، حيث يقول جلّ وعلا:

«إِنَّمَا وَكَّلْتُكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ١.

ففى هذه الآيه المباركه جاءت عبارات «وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» بصيغه الجمع، ومع ذلك إتفقت الشيعة والسنة على أنّ المراد هنا، أمير المؤمنين على عليه السّلام.

نعم، إنّ عبادات أمير المؤمنين عليه السلام تعادل عبادات كلّ «الذين يقيمون الصّلاه ويؤتون الزكاة».

فما قام به أمير المؤمنين عليه السّلام من تصديق لرسول الله صلّى الله عليه وآله، والذي كان تصديقاً قولياً وفعلياً في جميع المواقف إلى درجه ميّته على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله «ليله الهجره»، وتعرض نفسه للخطر، كلّ ذلك تصديق عملي ليس فوّقه تصديق، فمن الذي صدّق رسول الله صلّى الله عليه وآله بهذا النحو؟

وأكثر من ذلك، فليس عمل أمير المؤمنين عليه السّلام معادلاً لأعمال الصّحابه الآخرين فحسب، وإنما عمله أفضل من أعمال الإنس والجنّ جميعاً.

ألم يقل رسول الله صلّى الله عليه وآله في قضيه قتل عمرو بن ود على يد أمير المؤمنين عليه السلام:

«لضربه على يوم الخندق أفضل من عباده الثقلين»<sup>(١)</sup>

وفي التفاسير التي تهتم بالجانب الأدبي واللغوي للآيات القرآنيه الشريفه، كالكشاف للزمخشري بحث حول السّبب في مجيء الأفعال في آيه الولايه بصيغه الجمع مع إنّ المراد هو شخص أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام؟

ص: ٣٣

---

١- (١) ورد هذا الحديث الشريف في مصادر أهل السنه بعدّه صياغات. راجع: ينابيع الموده ١ / ٤١٢، الحديث ٥؛ السيره الحلبيه ٢ / ٦٤٣؛ المواقف: للقاضي الايجي ٣ / ٣٢؛ تاريخ بغداد ١٣ / ١٩؛ شواهد التنزيل ٢ / ١٤، الحديث ٦٣٦؛ كنز العمال ١١ / ٦٢٣، الحديث ٣٣٠٣٥.



ثم ذكر المفسرون هناك عدة وجوه، نقلناها عنهم في كتاب «تشييد المراجعات» في ذيل آية الولاية الشريفه (١).  
وبناءً على ما مرَّ، فإن كلمة «المتقون» الواردة في الزيارة الجامعه، يمكن أن تكون إشاره إلى هذه الآية المباركه.

وقد نقل الطبري في تفسيره قضيه واعتمدها ابن تيميه في منهاجه لابأس بذكرها هنا، وهي:

نُقِلَ أَنَّ أَحَدَهُمْ طَرَحَ سُؤَالَ فِي مَجْلِسِ أَحَدِ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ عَنِ الْمُرَادِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

«وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ» ٢

فقال ذلك العالم: المراد هو أبو بكر.

وكان في المجلس رجلٌ شيعي، فقال: بل المراد هو أمير المؤمنين علي عليه السلام. فقال العالم السنّي في ردّه: أنت تعتقد بعصمه علي بن أبي طالب، وهذه الآية لا تنسجم مع العصمه، فإنّه وإن ورد في ذيلها «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» ، ولكن قد جاء بعدها:

«لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» ٣

فعلى مبنى الشيعة القائلين بعصمه علي عليه السلام، لا يمكن أن يكون المراد من الآية هو علي عليه السلام، لأنها تنافي العصمه.

ص: ٣٤

أقول: إنّ هذا العالم السنّي كان جاهلاً أو متجاهلاً أو متعصباً، لأن الله تعالى خاطب رسوله الأكرم محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي سورته الفتح فقال:

«لِيَعْرِفَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ» ١

فما هو هذا الذنب الذي صدر قُدماً عن رسول الله الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟

وما هو ذلك الذنب الذي صدر مؤخراً عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟

فما أجابوا به عمّا في هذه الآية هنا، فهو نفس الجواب الذي يجاب به حول ما في الآية هناك.

إنّ هذه الآيات الكريمة لا تنافي العصمه أبداً، فلا هذه منافيه لعصمه النبي الأكرم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ولا تلك منافيه لعصمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وللوقوف على وجه عدم التنافي بين الآية والعصمه، لابد من الرجوع إلى التفاسير المعتمده.

## الصّادِقُونَ

### إشاره

إنّ أئمتنا عليهم السلام هم «الصّادِقُونَ»، وهذه الكلمه إشاره إلى آيه اخرى في القرآن المجيد، وهي قوله تعالى :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ» ٢

فأئمتنا، هم الذين أمرنا الله تعالى أن نكون بمعيتهم، ونلازمهم، ونقتدى بهم،

حصراً، وهذا ما نُقِرُّ به في الشهادة الثالثة في الزياره الجامعه، فنخاطبهم بأننا نشهد بأنكم أنتم «الصادقون» الذين أمرنا الله تعالى بأن نكون معهم.

### على المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين

ومن جهه اخرى، فإن الروايات المعتره الوارده عن أهل بيت العصمه والطهاره عليهم السلام، تؤكد بأن المراد من «الصادقين» في الآيه هو: الأئمه عليهم السلام.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«إيانا عنى»(١)

وعن أحمد بن محمد: سألت الإمام الرضا عليه السلام عن قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»

فقال عليه السلام:

«الصادقون: الأئمه، الصديقون بطاعتهم»(٢)

فهم الصادقون الذين أمرنا بالكون معهم وهم الصديقون بطاعه الله.

قد يدعى أحد بأنه صديق أيضاً، أو قد يدعى الصديقيّه لشخص آخر، ولكن هذا الإدعاء بحاجه إلى إقامه الدليل.

فأئمتنا عليهم السلام كانوا صديقين في طاعتهم، إيمانهم، تقواهم، محبتهم لله سبحانه وتعالى، وفي دفاعهم عن نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومبادئ الدين الحنيف.

ص: ٣٦

١- (١) الكافي ١ / ٢٠٨.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ٥١، الحديث ١٤؛ بحار الأنوار ٢٤ / ٣١، الحديث ٥.

فَاللّٰهُ سَبِحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ، وَالكُونُ مَعَ الصّٰدِقِينَ وَمَلَازِمَتُهُمْ يَحْتَاجُ إِلَى مَقْدَمَاتٍ، فَمَا كَلَّ أَحَدٌ يَوْفُقُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَلَازِمَةِ وَالْمَعِيَّةِ وَالكُونِ مَعَ الصّٰدِقِينَ، بَلْ لَا يَبْدُ مِنْ تَحَقُّقِ تَقْوَى اللّٰهِ فِي مَرْتَبَةٍ سَابِقَةٍ.

فَغَيْرِ الْمُتَّقِينَ لَيْسُوا مُؤَهَّلِينَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَعِيَّةِ، وَلَا هُمْ لَا تَقُونَ لِهَذِهِ الْكَيْنُونَةِ.

هَذَا، وَقَدْ نُقِلَتْ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي مَصَادِرِ أَهْلِ السَّنَةِ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ «الصّٰدِقِينَ» فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ، هُمُ الْأَتْمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فَلَقَدْ رَوَى مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ الْجَعَابِيِّ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ الْإِصْفَهَانِيُّ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ، وَأَبُو نَعِيمٍ الْإِصْفَهَانِيُّ، وَالْحَاكِمُ الْحَسْكَانِيُّ، وَالْخَطِيبُ الْخَوَارِزْمِيُّ، وَابْنُ عَسَاكِرِ الدَّمَشْقِيِّ، وَسَبِطُ بْنُ الْجَوْزِيِّ، وَأَبُو الْحَجَّاجِ الْمَزِّيُّ، وَجَلَالُ الدِّينِ السِّيَوَطِيُّ، وَجَمَالُ الدِّينِ الزَّرَنْدِيُّ، وَابْنُ حَجْرٍ الْمَكِّيُّ، وَقَاضِي الْقَضَاةِ الشُّوْكَانِيُّ، وَشَهَابُ الدِّينِ الْأَلُوسِيُّ، وَهَمُّ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ أَزْمَنْتِهِمْ، رَوَوْا عَنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ «الصّٰدِقِينَ» فِي هَذِهِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ هُوَ: أَتْمَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَالْعَجِيبُ، أَنَّ هَؤُلَاءِ، مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِهَذِهِ الْحَقَائِقِ وَنَقْلِهَا فِي كِتَابِهِمْ، يَعْرَضُونَ عَنِ الْأَتْمَةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَيُؤَالُونَ غَيْرَهُمْ، قَالَ تَعَالَى:

«وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ» ١

**أُمُورٌ قِيَمَةٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنْ آيَةِ الْكُونِ مَعَ الصّٰدِقِينَ**

**إِشَارَةٌ**

وَبِالتَّأَمُّلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، نَسْتَخْلِصُ عَدَّةَ أُمُورٍ مَهْمَةٍ:

ص: ٣٧

## الأمر الأول: العصمه

إنّ هذه الآيه الشريفه تدلّ على عصمه أهل البيت عليهم السّلام، وذلك، لأنّ هذه الآيه متى ما قرئت على أهل اللغه العربيه، أو قرئت ترجمتها على أهل أى لغه بلغتهم، فهم منها أن المراد من «الكون» مع الصادقين ليس المعنيّه الجسمانيه، وإنما المتابعه فى العقيدته والفكر والعمل.

وكذلك المراد فى المحاورات العرفيه، فعندما يقول قائل: أنا مع فلان، فإنه من الواضح أنّ مراده، كونه معه فى فكره وعقيدته ورأيه، وأنّه متابع له.

إذن، «كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ» تعنى المتابعه والاقتراء، وعليه، لا بدّ أن يكون هؤلاء الصادقون معصومين، وإلا لزم التناقض.

وتوضيحه: لو لم يكن هؤلاء معصومين عن الخطأ والذنب، أمكن إرتكابهم للمخالفه، ومعه يكون الأمر بمتابعتهم والاقتراء بهم تغريراً وإيقاعاً فى المخالفه، وهو غير جائز، بل غير متصور من الحكيم جلّ وعلا، ضروره أنّ الأمر بالمعيه والكون معهم وتبعيتهم، مطلق، يدلّ على إنّ كلّ ما يقولونه أو يفعلونه، حقّ .

والنتيجه، هى أن نكون معهم ونتابعهم فى أفعالهم، وأن لا نكون معهم ولا نتابعهم فى أفعالهم، وهذا هو التناقض المحال.

إذن، لا بدّ من أن يكون الصّادقون فى الآيه، معصومين.

## الأمر الثانى: وجود الصّادقين دائماً

ثمّ إنّ هذه الآيه الشريفه تدلّ على ضروره وجود الصّادقين، بالمعنى المذكور، فى كلّ زمان.

وذلك لأن هذه الآيه الشريفه، جاءت لكلّ المسلمين، من كان ومن يكون، إلى يوم القيامه، فهى تقول: أئها المسلمون كونوا مع الصادقين من الآن إلى يوم القيامه.

وهذا يعنى ضروره وجود الصادقين فى كلّ زمان لتتحقق المعينه والمتابعه من قبل الناس، وإلا- لم يكن للأمر بالكون معهم والافتداء بهم ومتابعتهم أى معنى وفائده.

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه: من هو الصادق فى كلّ زمن من الأزمنه ؟

هو الإمام من الأئمه الاثنى عشر من عتره النبى صلى الله عليه و آله، كما دلّ عليه حديث الثقلين المتواتر، و العدى نصّ كبار علماء أهل السنّه على أنه وصيه رسول الله، و أنه يدلّ على أن الأرض لا تخلو منهم إلى يوم القيامه. (1)

وبملاحظه الآيه الشريفه، يمكننا أن نفهم ضروره وجود المعصوم من أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله كلّ زمن من الأزمان.

### الأمر الثالث: الغرض من وجود المعصوم

وقد تقرّر منّا، أن المعصوم فى كلّ زمان قدوه، أسوه وهاذٍ للبشر، وعلى الأمه أن تطيعه وتقتدى به، ولهذا وذاك، فإنّ الإمام عليه السلام مكلف بوظائف معينه فى هذا العالم، كما إنّ الناس مكلفون بوظائف معينه فى قبال إمامهم.

ومن جهه اخرى، فإنّ تحقق الهدايه فى هذا العالم - بالمعنى التام للهدايه - إنّما يكون فيما لو كان للإمام قدره ونفوذ كلمه ، وأن يسمع المجتمع كلامه ويطيعوه حقيقه ، ويتبعوه اتباعاً عملياً.

ص: ٣٩

---

١- (١) انظر: حديث الثقلين، تواتره - فقهه. للمؤلف.

ولذا، فإنَّ سؤالاً يطرح نفسه وهو: كيف يمكن أن يتحقق هذا المعنى في هذا العصر مع غيبه إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

وبعبارة أخرى، كيف يطيع الناس إماماً غائباً ويتبعونه؟

وفي مقام الإجابة عن هذا السؤال نقول: إنَّ الله سبحانه وتعالى قد نصب الإمام وعزَّفه، وإنَّ وظيفه الإمام قبول هذه المسئولته، وقد قبلها عليه السلام، فهل عمل الناس بوظيفتهم؟

إذن، إنَّ الناس هم المقصِّرون في أداء وظيفتهم التي هي الإطاعة، مما أدى إلى حرمانهم من حضور إمامهم، فمتى ما غيروا ما بأنفسهم إنتهى عصر الغيبة.

### الأمر الرابع: كلام مع الفخر الرازي

ثم إنَّ الفخر الرازي، وفي تفسيره لهذه الآية الشريفة، يقرّ بدلالاتها على العصمة، فهو لم يجد بداً من الاعتراف بهذه الحقيقة، لأنَّ هذا الأمر مبرهنٌ عليه عقلاً. كما أسلفنا، وإلاّ- لزم التناقض، إذ لا- يمكن أن يأمر البارئ عزَّوجلَّ بالكون مع الصادقين بنحو الإطلاق، إلاّ إذا كانوا معصومين.

ومن هنا، فإنَّ غير المعصوم، ليس له حقّ الطاعة والولاية المطلقة، وهذه واقعيه مسلّمه لا يمكن إنكارها بحال من الأحوال.

يقول الفخر الرازي في هذا المجال:

إنه تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصّادقين، ومتى وجب الكون مع الصّادقين فلا بدّ من وجود الصّادقين في كلّ وقت، وذلك يمنع من إطباق الكلّ على الباطل، ومتى إمتنع إطباق الكلّ على الباطل، وجب إذا أطبقوا على شئ أن

يكونوا محققين. فهذا يدل على إن إجماع الأمه حجه. (١)

ونحن نقول، إنه متى ما فرض الطاعة المطلقة لأحد من الناس، وجب توفر العصمة فيه، وإلا لم تكن الإطاعة مطلقة.

فمثلاً يقول عزوجل في كتابه:

«وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» ٢

ويقول في موضع آخر:

«قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» ٣

ويقول في آية أخرى:

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا\* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» ٤

فطاعة وإحترام الوالدين مهمه إلى هذه الدرجة، ولكن مع ذلك يقول عزوجل :

«وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» ٥

وهذا يعني إن طاعة الوالدين ليست مطلقة، لأن حق الطاعة المطلقة مقرون دائماً بالعصمة، فما لم تكن العصمة موجوده لم يكن الإطلاق موجوداً.

ص: ٤١



ومن هنا، فإنَّ الفخر الرازي يضطرُّ إلى قبول البرهان، إذ لا مفرَّ له من الإذعان له، وهو عاجز عن إنكاره.

ثمَّ إنَّ الفخر الرازي، وفي موضع آخر من تفسيره، يقرُّ بالأمر الثاني أيضاً ويقول: نعم، لابدَّ من وجود الصادقين في كلِّ زمن من الأزمنة، وإنَّ خطاب «يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» عامٌّ لكلِّ المسلمين إلى يوم القيامة، فلو لم يكن المصداق للعنوان موجوداً في زمن من الأزمنة، استحالت معيَّة الصادقين.

وبعد الإذعان بهذين الأمرين من قبل الفخر الرازي، يقول:

لكن هذا الصادق، ليس هو الذي تقول به الشيعة، وإن ذلك المعصوم، ليس هو الذي تقول به الشيعة، لماذا؟ لأنَّ هذا الصادق المعصوم عندهم لا يستطيع الناس الوصول إليه ليكونوا معه، فلا يتحقق «كونوا مع الصادقين»<sup>(١)</sup>.

نقول:

من السبب في عدم استطاعه عموم الناس من الوصول إلى الإمام الصادق من أهل البيت الذي تقول به الشيعة في هذا الزمان؟ من الواضح إنَّ كلَّ الأئمَّة من أهل البيت عليهم السَّلام كانوا بين الناس، وكان بإمكان عموم الناس مراجعتهم والأخذ عنهم ومتابعتهم. فماذا فعل الناس؟ وكيف تعاملوا معهم؟

فإذا ما كان الإمام المهدي عليه السَّلام غائباً اليوم، وليس بإمكان الناس الوصول إليه، والإلتقاء معه، فما هو عذر اولئك المعاصرين للأئمَّة الأحد عشر السابقين على الإمام المهدي عليهم السَّلام أجمعين؟

ص: ٤٢

وهل أنّ مثل هذه الأعذار، كافيّة لإنكار الواقع وتغيير الحقائق؟

إنّ الله سبحانه وتعالى قضى بأن يكون تحقق العدل وإقامته على يد الإمام الحجّة المنتظر المهدي عليه السّلام، والإمام مستعد لأداء هذه المهمّة، فلماذا لم يتحقق العدل ولم ينتشر القسط على وجه الأرض؟

أليس ذلك ناشئاً عن تقصير الناس؟

إنّ هذه الأعذار لا تكفيّ لصرف مصداقيّة الأئمّة عليهم السّلام للآية المباركة، فإنّ مصداقها الوحيد هم الأئمّة الإثنا عشر من أهل البيت، لا غيرهم.

يقول الفخر الرازي: إنّ المقصود من «الصادقين» هو مجموع الأئمّة، وإنّ الأئمّة من حيث المجموع، معصومه، فيكون معنى الآية «يا أيها الذين آمنوا كونوا مع الذين آمنوا»!!

أقول:

إنّ كان المراد من الأئمّة، ما سوى أهل البيت عليهم السّلام، فإنّ الناس بدون أهل البيت ليست بأئمّة رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وإنّ كان مقصوده، كلّ أفراد الأئمّة بما فيهم أهل البيت عليهم السّلام، كان الحديث الذي يروونه عن النبي من أنّه لا تجتمع امتي على خطأ باعتبار وجود المعصوم فيها، وهذا ما نقوله نحن أيضاً، فيعود الأمر مره أخرى إلى الأئمّة عليهم السّلام.

فالحق، هو أنّ هذا المورد من الموارد التي لم يجد الفخر الرازي منفذاً للتشكيك فيها، لكنه أراد التهزّب من الإقرار بالحقيقه.

هذا ما يرتبط بالأمور التي نستخلصها من خلال التأمل في الآية المباركة، والحقائق العظيمة التي تنطوي عليها كلمه «الصادقون» التي نخاطب بها الإمام عليه السّلام في عداد سائر أوصافهم العاليه.

ص: ٤٣

وعندما يأمرنا الإمام عليه السّلام بأن نقرأ الزيارة الجامعه في المشاهد الشريفه للأئمّه عليهم السّلام ونخاطبهم بهذه الحقائق، فما ذلك إلا لانطوائها على معانٍ جليله. فعلينا أن نلتفت إلى هذه المعانى حين قراءه الزيارة الشريفه، وأن نستشعرها ونُقَرَّ بها لهم.

## المُصْطَفُونَ

### أشاره

الأئمّه عليهم السّلام، اصطفوا، انتخبوا، اجتبوا، واختيروا من قبل الله تعالى .

وهذه الألفاظ، مترادفه إلى درجه مّا، لعدم وجود الترادف التام في ألفاظ اللغه العربيه، ولذا كان علينا بيان وجه الفرق والتمايز بين هذه المفاهيم، ولو قلنا بالترادف، فيعود المعنى إلى الإختيار، فالأئمّه عليهم السّلام هم الذين اختارهم الله من بين ساير خلقه.

### آيات الإصطفاء وما جاء بتفسيرها

وقد وردت في القرآن الكريم آيات عديده في الإصطفاء، ونقلت أحاديث كثيره، وقد ذكرنا فيما سبق بعض الأحاديث الصحيحه منها عن كتب أهل السنّه والصحيحين (١).

ففي آيه من آيات القرآن نقرأ:

«قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ» ٢

ص: ٤٤

---

١- (١) راجع الجزء الاول من هذا الكتاب، الصفحه: ٢٢٤.

تُرى، من هم المقصودون بقوله تعالى «عباده الَّذِينَ اصْطَفَى»؟

ونظير هذا، ما ورد في قوله تعالى :

«بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ» ١

فمن هم العباد المكرمون؟

ويقول عزّ من قائل في آية اخرى:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ٢

وعن سدير: قال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى :

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ٣

نحن منهم ونحن بقيه تلك العتره. (١)

ولكنّ ظاهر بعض الأخبار وجود «آل محمد» بصراحه في لفظ الآية في القرآن الكريم.

فعن هشام بن سالم، قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ».

ص: ٤٥

فقال عليه السلام: هو آل إبراهيم وآل محمد على العالمين، فوضعوا اسماً مكان اسم (١).

وفى روايه اخرى، يقول أيوب:

«سمعتني أبو عبد الله عليه السلام وأنا أقرأ «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ».

فقال لي: «وآل محمد» كانت فمحوها وتركوا آل إبراهيم وآل عمران» (٢).

كما روى الحافظ أبو إسحاق الثعلبي - وهو من كبار مفسري أهل السنّة في القرن الرابع - في تفسيره المعروف، بسنده عن الأعمش عن أبي وائل، قال: قرأت في مصحف عبد الله بن مسعود:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ مُحَمَّدٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» ٣

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله في الأمالي بسند عمّن قال أنّه سمع الإمام الصادق عليه السلام يقرأ:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ وَآلَ مُحَمَّدٍ عَلَى الْعَالَمِينَ»

قال: هكذا نزلت. (٣).

ويقول الشيخ الطبرسي رحمه الله عليه في «مجمع البيان»:

ص: ٤٦

- 
- ١- (١) تفسير العياشي ١ / ١٦٨، الحديث ٣٠؛ بحار الأنوار ٢٣ / ٢٢٥، الحديث ٤٥.
  - ٢- (٢) تفسير العياشي ١ / ١٦٩، الحديث ٣٤؛ بحار الأنوار ٢٣ / ٢٢٧، الحديث ٤٨.
  - ٣- (٤) الامالي، الشيخ الطوسي: ٣٣٠، الحديث ٥٩٢؛ بحار الأنوار ٢٣ / ٢٢٢، الحديث ٢٦.

وفى قراءه أهل البيت عليهم السّلام: «وآل محمد على العالمين»<sup>(١)</sup>

وإنَّ أحد توجيهات مثل هذه الروايات، هو الحمل على اختلاف القراءات، كما يمكن حملها على شأن النزول، كغيرها ممّا ورد فيه وجود «آل محمد» أو «أهل البيت» أو اسم أمير المؤمنين، وهى - كما عرفت - مروية من طرق العامّة أيضاً.

وإنما يجب حملها على بعض المحامل قول علمائنا قديماً وحديثاً بعدم وقوع التحريف فى ألفاظ القرآن زيادةً ونقصاً، كما بحثنا عن ذلك فى موضعه<sup>(٢)</sup> فلا بدّ من حمل تلك الأخبار ونحوها بما لا ينافى صيانه القرآن عن الزيادة والنقصان.

والملفت للنظر هنا هو أنّ الأحاديث الشريفه الوارده عن النبى الأكرم صلّى الله عليه وآله، تؤكد على ضروره ذكر «آل محمد» فى الصّلاه على النبى، وتنهى عن الصّلاه عليه بدون قرن آله معه، ومن جملة الأحاديث الثابته عند الفريقين: قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«لا تصلّوا على الصّلاه البتراء»<sup>(٣)</sup>

هذا، وذهب بعض المخالفين لأهل البيت عليهم السّلام إلى أنّ المراد من «آل محمد» هو أمّه محمد، ولكنهم مع ذلك يمتنعون عن ذكر «آل محمد» عند صلواتهم على النبى الأكرم صلّى الله عليه وآله.

ص: ٤٧

١- (١) مجمع البيان ٢ / ٢٧٨.

٢- (٢) كتاب: التحقيق فى نفى التحريف عن القرآن الشريف للمؤلّف.

٣- (٣) وسائل الشيعه ٧ / ٢٠٧، الحديث ٩١٢٧؛ الصواعق المحرقة ٢ / ٤٣٠، الفصل الحادى عشر، الآيه الثانيه؛ ينابيع الموده ١ / ٣٧، الحديث ١٤.

«قال أبو عمرو الزبيرى، سألت أبا عبد الله عليه السلام: ما الحجّه فى كتاب الله إنّ آل محمد هم أهل بيته؟

قال: «قول الله تبارك وتعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ» (و آل محمد) - هكذا نزلت - على العالمين \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

ولا يكون الذريّه من القوم إلا نسلهم من أصلابهم.

وقال: «اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» ١ وآل عمران وآل محمد» (١).

ومن الآيات فى هذا الباب: قوله تعالى:

«ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ» ٣

وقد وردت فى هذه الآيه روايات كثيرة، فقد نقل الصفار فى بصائر الدرجات عن الإمام الباقر إنّه عليه السلام قال:

السابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف للإمام، والظالم لنفسه: الذى لا يعرف الإمام (٢).

وورد فى غير واحدٍ من الأخبار التأكيد على أنّ المراد من المصطفين فى الآيه هم الأئمه الإثنا عشر من أهل البيت، وأنها لا علاقه لها بالزيديه، فعن أبى عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

ص: ٤٨

١- (٢) تفسير العياشى ١ / ١٦٩ - ١٧٠، بحار الأنوار ٢٣ / ٢٢٧ - ٢٢٨.

٢- (٤) الكافى ١ / ٢١٤، الحديث ١؛ بحار الأنوار ٢٣ / ٢٢٣، الحديث ٣٥.

ليس حيث تذهب، ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا الناس إلى خلاف.

فقلت: فأى شئ ظالم لنفسه؟

قال: الجالس في بيته لا يعرف حقَّ الإمام، والمقتصد: العارف بحقَّ الإمام، والسابق بالخيرات: الإمام. (١)

وفى روايه عن الإمام الكاظم عليه السلام، قال:

«فنحن الذين اصطفانا الله عزَّوجلَّ وأورثنا هذا الذي فيه تبيانٌ لكلِّ شئ». (٢)

وفى روايه اخرى، سئل الإمام الرضا عليه السلام عن هذه الآيه، فقال:

وُلدُ فاطمه (عليها السلام)، والسابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف بالإمام، والظالم لنفسه: الذي لم يعرف الإمام. (٣)

وفى الإحتجاج للطبرسى، عن أبى بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآيه:

«ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا»

قال عليه السلام: أى شئ تقول؟

قلت: إنى أقول أنها خاصه لولد فاطمه عليها السلام.

فقال عليه السلام: أما من سلَّ سيفه ودعا الناس إلى نفسه من ولد فاطمه عليها السلام، وغيرهم، فليس بداخل فى الآيه.

قلت: من يدخل فيها؟

ص: ٤٩

١- (١) الكافي ١ / ٢١٤، الحديث ٢.

٢- (٢) الكافي ١ / ٢٢٦، الحديث ٧؛ بحار الأنوار ١٧ / ١٣٤، الحديث ١٠.

٣- (٣) الكافي ١ / ٢١٥، الحديث ٣؛ تفسير نورالثقلين ٤ / ٣٦١، الحديث ٧٦.



قال عليه السّلام: الظالم لنفسه الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد منّا أهل البيت هو العارف حقّ الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام. (١)

وفى مناقب ابن شهر آشوب، قال: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال:

«نزلت في حقنا وحق ذريّاتنا خاصّه» (٢)

وفى خبر آخر إنه عليه السّلام قال:

«هي لنا خاصّه وإيانا عنى» (٣)

وفى روايه أخرى عن الإمام الباقر عليه السّلام، قال:

«هم آل محمد عليهم السّلام» (٤)

فإلى هذه الآيه الكريمة أيضاً تشير كلمه «المصطفون» فى الزياره الجامعه.

#### «الاصطفاء» لغة

وللراغب الإصفهاني بيان فى معنى مصطلح «اصطفى»، يقول:

«واصطفاه الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافياً عن الشوب الموجود فى غيره، وقد يكون بإختياره وحكمه وأن لم يتعرّه ذلك من الأول» (٥)

فإذا تمّ هذا الكلام، عرفنا أنّ وجودات الأئمه عليهم السّلام وأصل خلقتهم تختلف عن خلقه سائر الناس.

ص: ٥٠

١- (١) الاحتجاج ٢ / ١٣٨ و ١٣٩؛ وقد نقل هذا الحديث فى البحار ٢٣ / ٢١٥، الحديث ٥. بتفاوت بسيط.

٢- (٢) المناقب ٣ / ٢٧٤؛ بحار الأنوار ٢٣ / ٢٢٢، الحديث ٢٨ والصفحه ٢٢٣ الحديث ٢٩، ٣٠.

٣- (٣) المناقب ٣ / ٢٧٤؛ بحار الأنوار ٢٣ / ٢٢٢، الحديث ٢٨ والصفحه ٢٢٣ الحديث ٢٩، ٣٠.

٤- (٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣ / ٢٧٤.

٥- (٥) المفردات فى غريب القرآن: ٢٨٣.

ولقد نقل الفخر الرازي في تفسيره، في ذيل الآيه:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ١

عن الحلیمی - وهو أحد كبار المحدثين وقدماء المفسرين عند أهل السنّه - كلاماً لطيفاً ومفصلاً، أقام فيه البرهان على أن وجود الأنبياء وأصل خلقتهم، روحاً وجسماً، يختلف عن خلقه سائر الناس. (١)

وكلام الراغب الإصفهاني، إشاره إلى نفس هذه المطالب. وإذا ثبتت هذه النظرية بالدليل، لكانت ذات قيمه وأهميه علميه.

إنه قد لا يكون تقبل نظريه اختلافهم في أصل الخلقه أمراً سهلاً، خاصه وإنّ مثل هذا الرأي قد يثير شبهه الجبر، ولكن إذا ما ثبت ذلك بالدليل والبرهان، فإن شبهه الجبر يمكن دفعها.

وبناءً على ذلك، فإنّ الذين اصطفاهم الله تعالى، منزّهون عن الشوائب من أول خلقتهم، فهم طاهرون مطهرون عن ذلك ذاتاً.

والشوائب هي، الشك، الشبهه، الجهل، وكلّ أقسام الأذناس والأرجاس، قال تعالى:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ٣

أى أذهب عنهم الرجس بأى معنى من المعانى كان، وهذا لا يعنى الرفع بعد الوجود، بل هو بمعنى الدفع.

ص: ٥١

فعرفنا إذن، أنّ هذا الكلام الوارد في الزيارة يعود إلى القرآن الكريم، وأدلتنا وبراهيننا في خصوص الأئمة عليهم السلام تامّة.

ولا شك في أنّ الأنبياء، هم أيضاً كذلك، فهم واجدون لمقام العصمة والطهاره.

ويستمرّ الفخر الرازي في نقل كلام الحلّمي، بأنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال:

«علّمني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ألف باب من العلم واستنبطت من كلّ باب ألف باب»<sup>(١)</sup>.

أجل، إنّ الأئمة الأطهار موجودات خاصّه واستثنائيّه في عالم الخلقه.

ومن جهه أخرى، فإنّ دلالة كلمه «الإصطفاء» على الأفضليّه واضحه. فقد نقل الطبري في تفسيره: «عن الحسن في قوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»

قال: فضّلهم الله على العالمين بالنبوّه على الناس كلّهم، كانوا هم الأنبياء، الأتقياء، المطيعون لربّهم»<sup>(٢)</sup>.

ومن جهه ثالثه، فإنّ هذه الآيه المباركه «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ» تدلّ على أعلميّة أهل البيت عليهم السّلام. لأنّه كان المقصود من

«الكتاب» هو القرآن المجيد، فإنّ القرآن هو أشرف الكتب السماويّه، فما كان موجوداً في الكتب السماويّه السّابقه، فهو موجود

فيه، ومن ورثه كان أفضل وأعلم من أصحاب

ص: ٥٢

١- (١) تفسير الرازي ٢٣ / ٨.

٢- (٢) تفسير الطبري ٣ / ٣١٧ و ٣١٨.

الكتب السماويه السابقه. وإن كان المقصود من «الكتاب» أمراً آخر يتضمن القرآن الكريم، كانت الدلاله على أفضلية وارثه وأعلميته، أوضح.

والحاصل، إن الأئمة عليهم السلام، أفضل وأعلم من كل الأنبياء سوى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وعلى الجملة، فإن الآيه المباركه «ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ» تدلّ على أعلمية أهل البيت عليهم السلام، مضافاً إلى عصمتهم وأفضليتهم على سائر الناس.

### كلّ ذلك بركة الطّاعه لله

هذا، وقد أشرنا سابقاً إلى أن «الإصطفاء» إنما كان بركة العبودية، وهذا ما جاء في آيات القرآن الكريم، حيث يقول عزّوجلّ :

«وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ» ١

إذ نجد التأكيد على العبودية، وذلك، لأنّ العبودية لله عزّوجلّ مقدّمه لحصول الكمالات والوصول إلى المقامات العاليه، بمعنى أن البدايه لابد أن تكون من العبودية. فالأئمة الأطهار عليهم السلام، كانوا عباداً لله قبل الوصول إلى هذه المقامات، وكانوا عباداً لله بعد الوصول إلى هذه المقامات أيضاً. فكانوا دائمى الاشتغال بالعباده. لاحظوا هذه الآيه:

«وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ» ٢

وكذلك لاحظوا ما ورد في ذيل هذه الآيه، حيث يقول الإمام عليه السلام لمفضل بن عمر:

«ويحك يا مفضل ! أستم تعلمون أنّ «من في السماوات» هم الملائكة و«من في الأرض» هم الجن والبشر وكلّ ذى حركة، فمن الذين فيهم ومن عنده الذين قد خرجوا من جملة الملائكة؟

قال المفضل: من تقول يا مولاي !

قال: يا مفضل ! نحن الذين كنّا عنده، ولا كون قبلنا ولا حدوث سماء ولا أرض ولا ملك ولا نبي ولا رسول...»(1)

فلو أننا قلنا بأن الأئمة عليهم السّلام عباد الله، ولكن عبادة أوصلهم الله تعالى ببركة عبوديتهم الحقّه، إلى مقاماتٍ ومنازلٍ عاليه لم يصل إليها أحد، فهل يعدّ ذلك غلوّاً؟!

## الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ

### اشاره

إنّ الأئمة عليهم السّلام هم المطيعون لله سبحانه وتعالى بتمام معنى الكلمه وبجميع مراتب الطّاعه. وفي توضيح هذه العبارة نقول:

إن قيل عن رجلٍ بأنه عبد مطيع لله، فإن هذا الكلام يدلّ على إيمانه بالله عزّوجلّ، لأنّ الطّاعه فرع الإيمان، كما أنّ الإيمان فرع المعرفه بالله.

إذن، فهو موصوف بالمعرفه في هذه الجمله من الزياره الايمان والطّاعه.

ص: ٥٤

وعليه، فإنّ: «المطيعون لله» في هذه الجملة من الزياره يعنى: «العارفون بالله، المؤمنون بالله، المطيعون لله» عزّوجلّ .

ولكن السؤال هو: أيّ معرفه هذه ؟ وأيّه عبوديه هذه ؟

الأئمه عليهم السلام يقولون:

«ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتک أهلاً للعباده فعبدتك، فهل شأنهم في المعرفه والطّاعه لله». (١)

ومن هنا يتّضح لنا معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» (٢)

فإذا كان على عليه السلام يقول ذلك، فهل يعقل أن تكون عنده ذره من شك أو جهل أو لحظه غفله عن الله ؟

إنّ الأئمه عليهم السلام هم المصداق الأتم ل«العلماء» الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى بقوله:

«إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» ٣

بل إنّ الأئمه عليهم السلام هم من قال الله تعالى في حقهم:

«وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ» ٤

ص: ٥٥

---

١- (١) روض الجنان: ٢٧؛ مشارق الشمس ١ / ٨٨؛ شرح اصول الكافي ١ / ٢٥٧؛ عوالي اللئالي ١ / ٢٠؛ بحار الأنوار ٦٧ / ١٨٦

و ١٩٧؛ مرآه العقول ٢ / ١٠١.

٢- (٢) مناقب ابن شهر آشوب ١ / ٣١٧. تفسير أبي السعود ١ / ٥٦؛ كشف الغمّه ١ / ١٦٩؛ الصراط المستقيم ١ / ٢٣٠؛ بحار

الأنوار ٤٠ / ١٥٣ و ٤٦ / ١٣٥؛ ينابيع الموده ١ / ٢٠٣، الحديث ٨. مناقب الخوارزمي: ٣٧٥.

## طاعة على طاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

والآن، هلموا معاً، لتأمل في قدر هذه الطاعة، فالذين كانت طاعتهم لله تعالى بدرجة تجعلهم - مع حصولهم على مقام القرب عند الله - لا يستكبرون عن عبادته وتجعلهم «وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ» ، هم الذين تكون إطاعتهم، إطاعة لله تعالى ، ولذا ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

يا على، من أطاعك فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاك فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله. (١)

ولماذا تكون إطاعتهم بهذه المثابه ؟

لأن جميع حركاتهم وسكناتهم، أفعالهم وتروكهم، هي طاعة لله عزوجل وعباده له. فمن أراد طاعة الله عزوجل ، عليه أن يتخذهم أئمةً ويطيعهم إطاعةً مطلقهً فإن ذلك هو الطريق إلى طاعة الله.

### المطيعون هم الفائزون

وبالإلتفات إلى ما سبق، من المناسب هنا ملاحظه الآيه التاليه:

قال تعالى :

«وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» ٢

وفى آيه أخرى يصف الفوز بـ«العظم» حيث يقول:

«وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً» ٣

ص: ٥٦

---

١- (١) الأمل، الشيخ الطوسي: ٥٥٢؛ المناقب، ابن شهر آشوب ٣ / ٦؛ بحار الأنوار ٣٨ / ٢٩؛ بشاره المصطفى: ٤٢٠، الحديث ٢٨. وراجع: المستدرک علی الصحیحین ٣ / ١٢٨.

إنَّ طاعه الإمام، هي طاعه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإذا ما كانت الطاعه مقرونه بالخشية، كان الفوز نصيب المطيع.

فما هو المقصود من «الفوز»؟

للجواب عن هذا السؤال، نرجع إلى القرآن الكريم لنرى كيف يفسر «الفوز».

ففي آية في ذكر نعيم الجنة يقول تعالى:

«وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» ١

فأى مقام هذا؟

تفيد الآية أن النعم الإلهية الاخرى لا تقاس بـ«رضوان من الله».

في روايه سمعتها قديماً من المرحوم والدي، أن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يجتمعون حوله في الآخرة ويجلسون بين يديه ويستمعون إليه، ولا يزالون ينظرون إلى وجهه المبارك، لا يكثر ثوب للهور العين والولدان المخلدين.

ثم وجدت الروايه في كتاب كامل الزيارات و هذا نصها:

«... والخلق يعرضون وهم حدّاث الحسين عليه السلام تحت العرش وفي ظلّ العرش لا يخافون سوء الحساب، يقال لهم: أُدخلوا الجنّة، فيأبون و يختارون مجلسه و حديثه، و إنّ الحور لترسل إليه وإليهم إنا قد اشتقناكم مع الولدان المخلّدين، فما يرفعون رؤوسهم لما يرون في مجلسهم من السرور و الكرامه» (١)

ص: ٥٧

---

١- (٢) كامل الزيارات: ١٦٨ و ١٦٩، الحديث ٢١٩؛ بحار الأنوار ٤٥ / ٢٠٧ و ٢٠٨.



ومن جهه أخرى، فإنَّ مَنْ عبد الله عزَّوجلَّ وأطاعه مثل هذه الطاعة، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يسخر له كلَّ الكائنات، فتكون في خدمته وطاقته.

وهذا المعنى اللطيف تتضمنه بعض فقرات الزيارة الجامعه الشريفه، كما سنقرأ لاحقاً.

وفي روايه عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

«من خاف الله، أخاف الله منه كلَّ شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلَّ شيء»<sup>(١)</sup>

وعلى الجملة، فقد كانت طاعة أهل البيت عليهم السلام فرضاً علينا، وقد امرنا بها في القرآن الكريم والروايات.

ولذا فقد عنون الكليني رحمه الله في الكافي باباً تحت عنوان:

«باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام»<sup>(٢)</sup>

وبناءً على ما مرَّ، فإنَّ الإطاعة المطلقة ملازمه للعصمه، كما إنَّ التسليم المطلق مساوٍ للولاية التكوينية والتشريعية.

وقد جاء في القرآن الكريم آيات في أفضلية الأئمة عليهم السلام، منها قوله تعالى :

«أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»<sup>٣</sup>

ص: ٥٨

١- (١) الكافي ٢ / ٦٨، الحديث ٣، بحار الأنوار ٦٧ / ٣٨١، الحديث ٣٣.

٢- (٢) الكافي ١ / ١٨٥، وقد نقل ١٧ حديثاً في هذا الباب.

وَرَوَى عَنْ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ فِي خُصُوصِ هَذِهِ الْآيَةِ:

«نحن المحسودون»<sup>(١)</sup>

ولا شك أن المراد من «ملكاً عظيماً» هو الولاية التكوينية، والتي سنشرحها - إن شاء الله - في محلّه بنحو من التفصيل.

## الْقَوَامُونَ بِأَمْرِهِ

### إشاره

والمراد من كلمه «القوام» الكثير القيام، لأنها صيغه مبالغه.

وقد يكون المراد، النسبه، مثل «العطار» أى الذى شغله «العطر» فيكون فى كلّ أحواله وحالاته مشغلاً بالعطر وتهيئته وإعداده وحمله ونقله وبيعه و شرائه.

وقالوا فى علم النحو فى قوله تعالى :

«وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ»<sup>٢</sup>

إنّ مصطلح «ظلام» ليس بمعنى أفعال التفضيل،<sup>(٢)</sup> لأنه إن كان كذلك، فإنّ «ما» النافيه ستلغى التفضيل ويبقى الباقي منسوباً لله، وهذا يعنى نسبه الظلم إلى البارى

ص: ٥٩

١- (١) بصائر الدرجات: ٥٥، الحديث ٣؛ الكافي ١ / ٢٠٦، الحديث ٢: وفيه عن أبى الحسن عليه السلام؛ بحار الأنوار ٢٣ / ٢٨٦، الحديث ٥؛ شواهد التنزيل ١ / ١٨٣، الحديث ١٩٥. عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢- (٣) شرح ألفيه ابن مالك: ٢٧٢، وقد جاء فى هذا الكتاب: (ومع فاعل وفَعَّال) - بفتح فتشديد - (فَعِل) بفتح وكسره (فى) نسب أغنى عن الياء) السابقه (فقبل) إذ ورد كقولهم: لابن والتمار وطعم أى صاحب لبن وتمر وطعم، وليس فى هذين الوزنين معنى المبالغه الموضوعين أى: خرج عليه قوله تعالى : ((وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)) أى بذى ظلم.

عَزَّوَجَلَّ وهو بحدِّ الكفر. وعليه، فإنَّ قوله تعالى «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» يعنى سلب النسبه بين الله تعالى والظلم.

فهو كما لو قيل: فلان ليس عطاراً، بل هو نجارٌ مثلاً.

فتفسير «القوام بأمره» على النسبه أولى من تفسيرها على المبالغه والتفضيل بمعنى كثير القيام بأمر الله تعالى .

وفى الحقيقه، فإن من شئون أهل البيت المعصومين عليهم السّلام القيام بأمر الله تعالى ، مثل العطار الذى من شأنه القيام بأمر العطور فى كلِّ أوقاته، إعداداً وتهيئه وعرضاً.

وهذا ما يبدو لى من خلال دراسه أحوال الأئمه عليهم السّلام ومنازلهم، ولست أدرى إن كان هناك من يقول بهذا الرأى، لأننى لا أراجع سائر الشروح على هذه الزياره.

### دلاله هذه الجملة على الولايه

ثم يقع الكلام فى المراد من «القوام» ومن «أمر الله».

قال الفيومى: قام بالأمر يقوم به قياماً فهو قوام وقائم واستقام الأمر وهذا قوامه، بالفتح والكسر، وتقلب الواو ياءً جوازاً مع الكسره: أى عماده الذى يقوم به وينتظم، ومنهم من يقتصر على الكسر، ومنه قوله تعالى «الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً» .

والقوام بالكسر: ما يقيم الإنسان من القوت. والقوام بالفتح: العدل والإعتدال. قال تعالى «وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً» أى عدلاً. وهو حسن القوام، أى الإعتدال.(1)

ص: ٦٠

فالقوامون بأمر الله، أى: الذين هم العماد لأمر الله، بهم يقوم ويستمرُّ على الوجه الصحيح والوضع المعتدل، فالأئمة عليهم السلام هم السبب لبقاء أمر الله واستمراره ودوامه.

وأما «أمر الله» فإنَّ الأمر اسم جنسٍ مضاف، ومتى اضيف اسم الجنس أفاد العموم، كما تقرّر في علوم العربيّة وأصول الفقه، فالأئمة عليهم الصّلاه هم العماد والسناد لكلّ أمر الله، وإذا ما شرحنا «أمر الله» تعالى بهذا النّحو، سيتضح لنا جليّاً تفسير الآيه الشريفه التي جاء فيها:

«تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» ١

بعد ما تقرّر نزول الملائكه و الروح على الإمام الحقّ في كلّ زمانٍ ، في ليله القدر بكلّ التقديرات الإلهيّة.

وبناءً على هذا المعنى، فإنّ تمام إرادته الله تعالى ، وكلّما يرتبط بحضرة الحقّ جلّ وعلا، بالنسبه إلى الخلائق، داخل في «الأمر»، وإنّ قوام وجوده ومقومه هم الأئمة عليهم السلام.

ولا يخفى، إنّ ما نعلمه عن «أمر الله» عزّوجلّ ، هو بنحو الإجمال، وأنّه يشمل كلّ شئ، ونظير هذا الإجمال ما ذكرناه في شرح فقره «المستقرّين في أمر الله». وأما بيان هذا المطلب بالتفصيل فعلمه عند الأئمة عليهم السلام أنفسهم.

وفي ليله القدر، تتعالى مراتب علوم الأئمة عليهم السلام، فيطلعون على إرادته الله وتقديراته لخلقه، وفي تلك الليله تتعين وظائف وتكاليف كلّ إمام لزمانه، وتبلّغ اليه.

إذن، فكلُّ عمل يقوم به الأئمة ويقومون عليه، هو من عند الله عزّوجلّ ، وكلّ

ما يفعلونه هو عين الصِّلاح وحقّ المصلحه، فسكوتهم وقاتلهم واستشهادهم وسجنهم وغيبتهم، وكلّ حالاتهم هي قيام بأمر الله تعالى .

وفى الحقيقه، إنّ إرادته الله عزّوجلّ ، تتجلى وتتخصّص فى الخارج بحركات وسكنات الإمام عليه السّلام.

ومن هنا نقرأ فى فقره أخرى من الزيارة: «العاملون بإرادته».

وكذلك نقرأ فى زياده آل يس:

«ودليل إرادته».

فالأئمه عليهم السّلام هم الأدلّاء إلى إرادته الله وأمره، كما يكون الرجل المرشد إلى الطريق دليلاً.

فإذا أردنا أن نعرف إرادته الله سبحانه وتعالى، لا بدّ أن نرى ما يقوم به الأئمه عليهم السّلام، وما يأمرون به، وما يقولونه، فأقوالهم وسيرتهم عليهم السّلام هي دليلنا إلى إرادته الله سبحانه وتعالى فى كلّ الموارد، فهل هذا من الغلو؟!

جاء فى الحديث القدسى إنّ الله سبحانه وتعالى يقول:

«عبدى أطعنى تكون مثلى، أنا أقول للشئ كن فيكون، وأنت تقول للشئ كن فيكون»(1)

وهذا الحديث الشريف أيضاً يتدبّر بكلمه «عبدى»، ونحن لانزال نؤكد على إن البدايه لا بدّ أن تكون من العبوديه.

أجل، إنّ الإنسان يصل بإذن الله تعالى - عن طريق العبوديه والطاعه لله تعالى - إلى مقام تُطيعه فيه كلّ الكائنات.

ص: ٦٢

---

١- (١) شرح رساله الحقوق للإمام زين العابدين عليه السّلام: ٤١٠؛ الفوائد الرجائيه للسيد بحر العلوم ١ / ٣٩، بتفاوت طفيف.

وفى حديث قدسى آخر يقول عزّوجلّ :

«ما زال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها...»(١)

والجدير بالذكر أن الحافظ النووى - من كبار علماء السنّه الشافعيّه - قد نقل هذا الحديث فى شرحه على صحيح مسلم،(٢) وفسره تفسيراً جميلاً.

إذن، لابد أن يكون الشروع من العبوديّة للوصول إلى المحبّه، وإنّ المحبّه توصل للقرب، ولكنّ أىّ قرب !!؟

فى هذا الحديث لم يقل عزّوجلّ : «ما زال الرجل» ولم يقل «ما زال المؤمن»، وإنما قال: «ما زال العبد».

وهذا لمطلق العبد، فإذا ما قلنا ذلك فى حق الأئمّه عليهم السّلام، فهل يعدّ ذلك من الغلوّ؟! أم إنّ المستشكل فى قلبه مرض ؟

وبناءً على ما مرّ بيانه، فإنّ هذه الفقره من الزياره والفقره السابقه عليها، لها دلالة واضحه على الولايه المطلقه، كما إنّ الولايه المطلقه لها دلالة على العصمه، إذ من كان فى جميع حالاته وشؤونه دليلاً على إرادته الله سبحانه وتعالى، يستحيل أن لا يكون معصوماً، لأن غير المعصوم لا يمكنه بلوغ هذه المقامات والدرجات.

ومن جهه أخرى، فإنّ هذه العبارة تدلّ على علم الإمام عليه السّلام أيضاً، فما لم يكن الإمام عليه السّلام عالماً بإرادته الله سبحانه وتعالى، لم يكن دليلاً على إرادته عزّوجلّ .

ص: ٦٣

---

١- (١) المحاسن للبرقى ١ / ٢٩١، الحديث ٤٤٣؛ الكافى للكلينى ٢ / ٣٥٢، الحديث ٧؛ بحار الأنوار ٦٧ / ٢٢، الحديث ٢١؛ جامع الاخبار: ٨٨؛ معارج اليقين فى أصول الدين: ٢٥، الحديث ٥٠٥.

٢- (٢) راجع شرح صحيح مسلم ١٥ / ١٥١، وقد أوردنا كلامه فى الصفحه: ٣٥٧ من الجزء الأول. هذا وقد روى هذا الحديث كاملاً فى صحيح البخارى ٧ / ١٩٠ ومجمع الزوائد ١٠ / ٢٦٩.

ومن هنا نقول: إِنَّ كَلَّاً مِنْ أفعال وتروك و سكنات و حركات الأئمة عليهم السلام، هي مظهر إرادة الله تعالى .

ولا- عجب في ذلك، فإنه عندما يقبض عزرائيل روح أحد من الخلق، فإننا نقول: إِنَّ إرادة الله تعالى تعلقت بقبض روح هذا الإنسان، لماذا؟ لأنَّ عزرائيل مأمور من قبل الله، ففعله فعل الله عزوجل ، لذا نقول: كانت إرادة الله في أن لا يحيا هذا الشخص أكثر من هذا العمر، وإنَّ أجله قد حان.

ففعل عزرائيل يبين لنا إرادة الله عزوجل فهو الدليل عليها.

ومن هنا نرى أن الله يقول «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» ١

ويقول أيضاً: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» ٢

وهذا ينطبق على فعل الأئمة عليهم السلام، فلماذا يكون هنا غلواً ولا يكون كذلك هناك؟!؟

أفهل من الغلواً أن نقول: إِنَّ نصب العداة لأهل البيت عليهم السلام هو نصب العداة لله تعالى؟!؟

ولماذا لا يكون من الغلواً ما جاء في قوله تعالى :

«مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ ميكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ» ٣

ويكون غلواً إذا ما قيل ذلك في عداة أهل البيت عليهم السلام؟!؟

إِنَّ عَمَلَ الْأَثَمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُوَ الْمَبِينُ لِإِرَادَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَفَدْنَا ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ الشَّرِيفِ ، أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ وَالْمَقَامَاتِ ، تَبْدَأُ بِالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ قَرَأْنَا فِيمَا سَبَقَ رَوَايَةَ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُ قَالَ:

«كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَاللَّهُ - عَبْدًا لِلَّهِ صَالِحًا ، أَخُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مَانَالِ الْكِرَامَةِ مِنَ اللَّهِ - إِلَّا - بِطَاعَتِهِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ» (١)

وهكذا نجد الأمر في خصوص رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن الله عز وجل وفي معرض بيانه لمعراج نبيه الأكرم عبّر عنه بالعبد حيث يقول:

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» ٢

و في روايه: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ذَاتَ مَرَّةٍ ، فَرَأَى شَابًا يَتَطَلَّعُ فِي وَجْهِهِ النِّسَاءَ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَيَّامَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَمَا كَانَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنْ لَطَمَ الشَّابَّ عَلَى وَجْهِهِ ، فَاسْرَعَ الشَّابُّ يَشْتَكِيهِ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ . وَلَمَّا عَرَفَ عَمْرٌ بِالْقَضِيَّةِ قَالَ لَهُ:

ص: ٦٥



«رَأَتْكَ عَيْنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْكَ يَدُ اللَّهِ» (١)

تُرى، إذا أنكر شيعى هذا المقام لأهل البيت عليهم السلام ألا يكون أقلّ شأناً من عمر؟!!!

## الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ

قال الراغب الإصفهاني:

«الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامه» (٢)

فالأئمة عليهم السلام هم الظافرون بالخير والرّضا والسلامه، ولكن أى خير؟

يقول عليه السّلام: بكرامته. فهم ظافرون بكرامه الله سبحانه وتعالى، وكرامه الله عزّوجلّ، لا بدّ أن تكون مقاماً عالياً ليصحّ لنا تجليلهم بالفوز بهذا المقام ووصفهم بالوصول إليه.

هذا، وقد أشرنا سابقاً إلى جانب من حقيقه معنى «كرامه الله» للأئمة عليهم السّلام فى شرحنا لفقره «وعبادته المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» (٣)

وبناءً على هذا، تكون الباء فى «بكرامته» زائده.

ص: ٦٦

١- (١) راجع: الرياض النضرة ٣ / ١٦٥؛ جواهر المطالب ١ / ١٩٩؛ النهايه فى غريب الحديث ٣ / ٣٣٢؛ بحار الأنوار ٧٨ / ٣٦.

٢- (٢) المفردات فى غريب القرآن: ٣٨٧.

٣- (٣) راجع الجزء الاول من هذا الكتاب، الصفحه: ٣٧٢.

ويمكن أن تكون سببته، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم مقام الكرامه فكانوا بسببه من الفائزين، كما مرّ بنا سابقاً بيان بهذا الشأن، مع ذكر بعض الآيات القرآنيه.

ويبدو لنا أن التفسير الأول للباء أوجه، والله العالم.

ص: ٦٧



اضِيَّطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ ، وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ ، وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاةِ ، وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ ، وَاتَّجَبَكُمْ لِنُورِهِ ،  
وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ ، وَرَضِيَ بِكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ ، وَحُجَّجًا عَلَى بَرِّيَّتِهِ ، وَأَنْصِيَارًا لِتَدِينِهِ ، وَحَفَظَهُ لِسِرِّهِ ، وَخَزَنَهُ لِعِلْمِهِ ، وَمُسَدِّتًا تَوَدَّعًا  
لِحِكْمَتِهِ ، وَتَرَاجِمَةً لَوْحِيهِ ، وَأَرْكَانًا لِتَوْحِيدِهِ ، وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ ، وَأَعْلَامًا لِعِبَادِهِ ، وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ ، وَأَدِلَّةً عَلَى صِرَاطِهِ .

عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ ، وَآمَنَكُم مِّنَ الْفِتَنِ ، وَطَهَّرَكُم مِّنَ الدَّنَسِ ، وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَكُم تَطْهِيرًا



وهذا المقطع هو بدايه فقره اخرى من فقرات الشهاده الثالثه، إذ أنّ كلّ فقره من الفقرات تشتمل على قسم من خصائص الأئمه عليهم السلام، وفي كلّ واحده منها سرّ ونكته جليله.

والنكته فى هذه العبارة وفى كلّ عبارات هذه الفقره من الزياره الشريفه، هى إنّ أوصاف وشؤونات وخصائص الأئمه عليهم السلام كلّها من قبل الله تعالى، لأنّ كلّ واحده من هذه الجمل، عبارة عن فعلٍ قد ثبت وتحقّق على وجه اليقين، والفاعل هو الله سبحانه وتعالى.

ومثل هذا التعبير، صريح فى أن هذه الأوصاف والمنازل والمقامات وإنّ كانت مختصه بالأئمه عليهم السلام، ولكنها جاءتهم من ناحيه الله سبحانه وتعالى، فهو الذى أرادهم أن يمتازوا بهذه المقامات والأوصاف والخصائص الساميه.

وعليه، فليس فقط لا وجه لتضمن هذه العبارات لشائبه الغلو، بل لا سبيل حتى لاحتمال الغلو فيها.

وقد أشرنا سابقاً إلى أن كلمة «الإصطفاء» بمعنى الانتخاب والفرز،<sup>(١)</sup> وإنَّ الله عزَّوجلَّ قد انتجب الأئمة عليهم السَّلام بحسب علمه وميَّزهم بالمنزله والشأن عن سائر خلقه، فأعطاهم مقاماً خاصاً لم يعطه أحداً من العالمين.

### لأهل البيت مقامٌ لم يبلغه أحد

وتوضيح ذلك هو:

إنَّ الله تعالى هو خالق البشر وأنه خير منذ بدايه خلقهم بكلِّ أوصافهم، أخلاقهم، وحالاتهم بنحو كامل، فلا يغيب عنه شى من شؤونهم. يقول تعالى فى القرآن المجيد:

«أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» ٢

فهل يمكن ألا يكون البارى عزَّوجلَّ عالماً بكلِّ ما يرتبط بشؤون مخلوقاته، مع أنه اللطيف الخبير؟

إذن، فهو عزَّوجلَّ ، يعلم ماذا خلق، وهو خير بكلِّ أبعاد وجود الموجودات وأحوالهم الإختيارية.

ومن هنا، وبسبب علمه هذا بأحوالهم، يمنحهم مراتب القرب منه، كلُّ بحسب حالاته وأحواله، فكلُّ من رفع منهم خطوات أكثر فى طريق العبودية، كانت منزلته من البارى أقرب، ومقامه أسمى عنده.

ص: ٧٢

والأئمة عليهم السلام، وصلوا إلى مرتبه جعلتهم يمتازون عن الآخرين، أى إنهم حصلوا على خصائص لم يحصل عليها الآخرون. وعليه، فإنّ البارى عزّوجلّ، وبمقتضى علمه بأحوالهم، صفاتهم وعبادتهم عليهم السلام، اصطفاهم، ومنحهم مثل المقام الذى لم يصل إليه أحد غيرهم.

وهنا ينبغى التنويه إلى أمرين:

الأول: إنّ الأئمة عليهم السلام، هم بشرٌ مخلوقون لله كسائر أفراد البشر.

الثانى: إنّ كلّ فرد من أفراد البشر يمكنه - باختياره - الإهتداء إلى الطريق الصحيح للقرب الإلهى، وطىّ هذا الطريق الموصل إلى رضاه.

ومن هنا، فإنّ من الضرورى بيان مطالب ثلاث:

المطلب الأول:

فى بيان بعض الشروط:

إنّ أول شرط للاهتداء إلى الطريق الصحيح، هو المعرفة بالطريق، وعدم السير فى الطريق الخطأ أو السير بغير طريق.

الشرط الثانى: العباده والطاعه الصادقه الخالصه، والثبات فى هذا الطريق.

الشرط الثالث: أن تكون هذه الحركه إختياريه.

المطلب الثانى:

فإذا كان الأمر كذلك، فلا محاله من تفاوت مراتب الأشخاص فى هذه الحركه.

المطلب الثالث:

بمقتضى الأدله الكثيره الوارده فى الكتاب والسنه، ومن خلال التأمل فى أحوال وسيره الأئمه الهداه عليهم السلام، يتضح لنا جلياً أنّ هؤلاء الكرام قد وصلوا إلى مرتبه عند الله تفوق المراتب جميعاً.



ولا يخفى، إن هذا البحث يمكن أن يكون مستقلاً عن بحث العصمة، مع أن الأئمة عليهم السلام معصومون باختيار منهم.

يقول تعالى في محكم كتابه:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ١

فاصطفاه واختيار هؤلاء، إنما هو من ناحيه الله سبحانه وتعالى، ومن قبله، ولذا نسب الفعل إلى الذات الإلهية المتعاليه.

ولكن، نجد أنه عزوجل يقول في ذيل الآية: «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

أى: إن علم الله تعالى دخيل فى الإصطفاء والانتخاب.

وفى آيه أخرى يقول عزوجل :

«اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» ٢

وعليه، فصحيح أن الإصطفاء يكون من قبل الله تعالى ، وأنه فعله عزوجل ، ومنسوب اليه، ولكن هذا الإصطفاء إنما كان لعلمه عزوجل بأحوالهم، وبركه عبوديتهم الحقّه لله تعالى ، وهذا هو ما عيناه بالإهداء إلى الطريق وتشخيصه، ومن ثم طيه والثبات عليه.

والشواهد على ذلك فى الآيات القرآنيه، والروايات الشريفه، كثيره وقد ذكرنا بعضها فى المباحث السابقه.

ونقرأ فى آيه أخرى، خطاب البارى عزوجل لرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول:

«وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا» ١

فإنه ظاهر فى أن التهجد مقدّمه للمقام المحمود.

وكذلك تأملوا فى الآيه الشريفه:

«وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ \* إِنَّا أَخْلَصَيْنَاهُمْ بِخَالِصِهِ ذِكْرَى الدَّارِ \* وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ» ٢

ففى هذه الآيه يذكر أولاً عبوديه الأنبياء الكرام لله تعالى، ثم يصل إلى :

«أخلصناهم» وهذا مطلب مهم جداً.

وفى آيه أخرى يقول عزوجل :

«ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» ٣

فإنّ فيها، أنّ الإصطفاء كان من بين العباد، وكما ذكرنا سابقاً، فإن مراتب العباد مختلفه، ولكنّ من بين العباد من خطى خطوات كبيره وراسخه فى هذا الطريق، وتقدّم على الآخرين حتّى وصل إلى مقام الإصطفاء من بين العباد، فاصطفاهم ثمّ أورثهم الكتاب، وهم أهل بيت النبى الأكرم عليهم السلام.

كان هذا خلاصه شرح هذه الجملة بناءً على نسخه «إصطفاكم بعلمه».

## شرح الجمله بناءً على نسخه «لعلمه»

وأَمَّا بناءً على النسخه التي ورد فيها: «إصطفاكم لعلمه»، فسيكون للجمله معنى آخر، وهو: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اصْطَفَى الْأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ لِيَكُونُوا وَعَاءً لِعَلْمِهِ وَحَمَلَهُ لَهُ.

وهنا لابد من ملاحظه:

- ١ - ما هي دلالات انتخاب الأئمة عليهم السلام من بين كل الخلائق من الأولين والآخرين، ليكونوا وعاءاً لعلم الله تعالى؟
  - ٢ - إِنَّ الْمُصْطَفَى لَهُؤَلَاءَ هُوَ اللَّهُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَكِيمُ.
  - ٣ - انتخبهم ليكونوا وعاءاً وظرفاً للعلم الإلهي.
  - ٤ - إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَيْرُ مَحْدُودٍ وَالْإِمَامُ مَحْدُودٌ.
  - ٥ - إِنَّ الْعِلْمَ كَمَالٌ لَا كَمَالَ بَعْدَهُ، بَلْ إِنَّ جَمِيعَ الْكَمَالَاتِ مَرْجِعُهَا إِلَى الْعِلْمِ.
- وهنا نكتفي بذكر مطلبين فقط:

## الأئمة أوعيه علم الله

المطلب الأول: إِنَّ الشواهد القرآنيه والروائيه على أَنَّ الْأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ هُمُ وَعَاءُ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، كثيره. فقد رُوِيَ فِي كِتَابِ الْفَرِيقَيْنِ بِمُنَاسَبَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ، وَقَدْ ذَكَرَ جَمَلَهُ مِنْهَا فِي ذِيلِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ :

«وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ» ١

فعن أبي جعفر عن جدّه عليهما السلام قال:

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ «وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَامَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ مِنْ مَجْلِسِهِمَا فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ التَّوْرَةُ؟ قَالَ: لَا. قَالَا: فَهُوَ الْإِنْجِيلُ؟ قَالَ: لَا. قَالَا: فَهُوَ الْقُرْآنُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَقْبَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هُوَ هَذَا، إِنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي أَحْصَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ؛ (١)

وَمِنْ جَمَلِهِ تِلْكَ الرِّوَايَاتُ، مَا وَرَدَ فِي ذِيْلِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ:

«قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» ٢

وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى بَعْضِهَا فِي شَرْحِ عِبَارِهِ: «وَحِزَانِ الْعِلْمِ».

### عُلُومُهُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

المطلب الثاني: إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولُهُ هُمَا الْمَعْلَمَانِ لِلْأُمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بِمَعْنَى إِنَّ عِلْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مِنْ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، حَيْثُ يَقُولُ:

«عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» ٣

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ مُخَاطَبًا نَبِيَّهُ الْأَكْرَمَ:

«وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

ص: ٧٧

---

١- (١) معانى الأخبار: ٩٥، الحديث ١؛ المناقب، ابن شهر آشوب ٢ / ٢٦٣؛ الفصول المهمة ١ / ٥٠٩ و ٥١٠، الحديث ٦١؛ بحار الأنوار ٣٥ / ٤٢٧ و ٧٢٨، الحديث ٢؛ ينابيع المودة ١ / ٢٣٠، الحديث ٦٦.

الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝١

وكذلك قوله تعالى :

«ثُمَّ أَوْزَعْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اضْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...» ۲

ثم ورد عن الأئمة عليهم السلام قولهم:

علم الكتاب - والله - كله عندنا. (١)

هذا، وقد أخذ الأئمة علمهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما ورد عنه أنه قال:

«معاشر الناس، ما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ، وكلّ علم علمت فقد أحصيته في إمام المتقين، وما من علم إلا علمته علياً وهو

الإمام المبين» (٢)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح لي من كلّ باب ألف باب» (٣)

والآن، اسمعوا ما يقوله الإمام الرضا عليه السلام حول الإمام والإمامه:

«الإمام... مخصوص بالفضل كلّ من غير طلب منه ولا اكتساب، بل

ص: ٧٨

١- (٣) الكافي ١ / ٢٥٧، الحديث ٣؛ بحار الأنوار ٢٦ / ١٩٧، الحديث ٨.

٢- (٤) الاحتجاج ١ / ٧٤؛ بحار الأنوار ٣٧ / ٢٠٨.

٣- (٥) نواذر المعجزات: ١٣١؛ دلائل الإمامة: ٢٣٥؛ بحار الأنوار ٦٩ / ١٨٣؛ نظم درر السمطين: ١١٣؛ ينابيع الموده ١ / ٢٢٢، الحديث ٤٣ مع تفاوت بسيط.

اختصاص من المفضل الوهاب... إنَّ العبد إذا اختاره الله عزَّوجلَّ لامور عبادته، شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً،

فلم يعى بجواب ولا يحير فيه عن الصواب... يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عبادته وشاهده على خلقه...»(١)

## وَأِرْتَضَاكُمْ لَغَيْبِهِ

### أشاره

إنَّ الله سبحانه وتعالى ارتضى الأئمة عليهم السّلام لغيبه. والظاهر أنّ هذه الجملة من الزيارة الجامعة، بيان لمصداق الآية الكريمة:

«قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوعِدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمِدًا\* عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا\* إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا\* لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» ٢

ومازلنا نؤكد في كلّ موردٍ على أنّ كلّ ما عند الأئمة عليهم السّلام، فهو من عند الله سبحانه وتعالى، فهذا الإستيعاب للعلوم الذى لم يكن متوفراً عند أحد غير الأئمة عليهم السّلام، من المنح الإلهية لهم دون سواهم من الخلق.

فهذه الآية الشريفة تخاطب الرسول الأكرم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن ما عنده من علم فهو من الله تعالى، فهو ينفى عن نفسه العلم بقرب ما يوعدون أو أنّ له أمداً.

ص: ٧٩

١- (١) الكافي ١ / ٢٠١ و ٢٠٣؛ الأمالى للصدوق: ٧٧٦ - ٧٧٨؛ بحار الأنوار ٢٥ / ١٢٤ - ١٢٧.

إنَّ النبيَّ الأكرمَ صَلَّى اللهُ عليه وآله، ينفي علمه بذلك، لأنَّ ذلك من الغيب، والعالم بالغيب هو اللهُ سبحانه وتعالى.

فعبارة «عالم الغيب» خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره «هو» أى: هو عالم الغيب.

وقد ورد هذا المعنى كذلك فى قوله تعالى :

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾ ١

إذن، فالله سبحانه وتعالى هو «عالم الغيب» بالذات، ولا يُطلع أحداً على غيبه «إلا من ارتضى من رسول».

ولابدَّ من التأمل والتدقيق فى هذه الألفاظ ودلالاتها، فإنَّ كلمة «إن» فى قوله «إن أدري» نافية، و«فلا يظهر» أى لا يُطلع أحداً.

### «الارتضاء» لغة

والآن، ما معنى كلمة «ارتضى»؟

قد مرّت بنا سابقاً مفاهيم من الإصطفاء، الإنتخاب، الإجتباء، وقلنا إنَّ هذه الألفاظ وإنَّ كانت قريبة إلى بعضها من حيث المفهوم، ولكنها ليست مترادفة، ولا بدَّ من وجود التفاوت فيما بينها وإن كان قليلاً، لدفع إشكال التكرار.

وكلمة «الارتضاء» من جملتها أيضاً، فإن مصطلح «الرّضا» فى اللغة، هو ما يقابل السّخط. (١)

والسّخط لا يأتى جزافاً، فكذلك الرّضا. فإن لم يستحق الإنسان السّخط، لا يُسخط عليه قهراً، ومن لم يستحق الرضا، لا يُرتضى.

ص: ٨٠

---

١- (٢) راجع معجم مقاييس اللغة ٢ / ٤٠٢؛ لسان العرب ١٤ / ٣٢٣.

إذن، فالإنسان لا بد أن يكون بحاله من حيث الصفات والأحوال والسلوك، حتى يستحق الرضا من الله تعالى .

وهذه النقطة يمكن أن تكون نقطة الإفتراق بين الإرتضاء، الإنتخاب، الإجتباء والإصطفاء.

ثم إن من يستحق مقاماً ومنزلةً مَياً، فإنه ينتظر و يترقب وصولها إليه. وهذه الخصوصية ليست موجودة في كلمه الإصطفاء أو الإنتخاب.

ومن جهة أخرى، فإنه بالتأمل في الآيه، يظهر اشتغالها على الإستثناء من عمومين:

الأول: «على غيبه» في قوله تعالى: «فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ» وهذه النكره في سياق النفي تفيد العموم، أى لا يظهر على كل غيبه، فإن لم يثبت هذا العموم، فلا شك في تماميه الإطلاق.

الثانى: العموم الموجود فى «أحداً»، فى قوله: «فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا» ، يعنى لا يظهر ولا يطلع أى أحدٍ على غيبه.

### من هو المرتضى ؟

إن المرتضى هو الشخص الذى قبله الله تعالى لإطلاعه على غيبه، وهو ذلك الشخص الذى هداه الله، وعلمه ورباه وأشرف على كل شؤونه، وهو ليس إلا النبي الأكرم والأئمة عليهم السلام، ولذا نقول فى الزياره:

«وارتضاكم لغيبه».

ولكن الله تعالى يقول بعد ذلك: «من رسول»، والأئمة عليهم السلام، ليسوا رسلاً.



إذن، لا بدّ من مراجعته الروايات، لنرى ماهو الدليل على شموليته الآيه للأئمه عليهم السّلام، ليصح تطابق هذه الجملة من الزياره الشريفه مع الآيه المباركه.

فإن كانت «من» بيانیه، وكانت كلمه «رسول» بمعنی النبی المرسل، لم تتم المصادقته والتطابق، ولا ينسجم معنی فقره مع الآيه المباركه.

ولكن، يكفي الإستشهاد في هذا المقام بروايه واحده وهي:

عن الإمام الرضا عليه السلام، قال:

أو ليس الله يقول «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ

فرسول الله عند الله مرتضى، ونحن ورثه ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما شاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. (١)

## وَإِخْتَارَكُمْ لِسْرِهِ

### إشاره

أى: وأشهد أنّ الله تعالى قد اختاركم أنتم لسره

وبالنظر البدوى، فإنّ مصطلح «السّر» يعنى: ما يقابل «العلن».

يقول الراغب الإصفهاني في «مفردات غريب القرآن»:

عَلَنَ: العَلَانِيَةُ ضِدُّ السَّرِّ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْمَعَانِي دُونَ الْأَعْيَانِ. (٢)

ويقول ابن فارس في هذا الشأن:

ص: ٨٢

١- (١) الخرائج والجرائح ١ / ٣٤٣؛ بحار الأنوار ٤٩ / ٧٥، ذيل الحديث ١، فتح الباري ٨ / ٣٩٥؛ تفسير الثعلبي ١٠ / ٥٦.

٢- (٢) المفردات في غريب القرآن: ٣٤٥.

فالسّرّ خلاف الإعلان، يقال: أسررتُ الشئَ إسراراً، خلاف أعلنت وأسررت الشئ: أخفيته. وأسررته أعلنته. (١)

ويقول ابن منظور في «لسان العرب»:

وسرّ الشئ: كتمه وأظهره، وهو من الأضداد، سررته: كتمته. (٢)

## المعاني المتعدده لكلمه «السّرّ»

### اشاره

لا يخفى أنّ لكلمه «السّرّ» معان متعدده في لغه العرب، كما ذكر في لسان العرب ومعجم مقاييس اللغه والصحاح، (٣) وعباداتهم ظاهره في أنها معاني حقيقته، وإنّ كان المعنى المتبادر من كلمه «السّرّ» هو ما يقابل «العلن». وهذا لا يمكن إنكاره بحال، ولكنّ هذا التبادر والخطور، إنّما كان بسبب كثره الإستعمال لهذا المصطلح في هذا المعنى دون غيره من معانيه، فمثل هذا التبادر لا يجعله حقيقه في ذلك ومجازاً في غيره.

والحاصل: إنّ لفظ «السّرّ» حقيقى في كلّ معانيه، ومن ذلك قولهم:

السّر: خالص الشئ. (٤)

فسرّ الشئ زبدته وخالصة بنحو لا يشوبه شئ آخر، قالوا: ومنه السّرور.

فوصف الإنسان بالسّرور مقابل الحزن - يعنى خلّوه من الحزن، وهذا من الواضحات.

ص: ٨٣

١- (١) معجم مقاييس اللغه ٣ / ٦٧.

٢- (٢) لسان العرب ٤ / ٣٥٧.

٣- (٣) معجم مقاييس اللغه ٣ / ٦٩ - ٧٠؛ صحاح اللغه ٢ / ٦٨١؛ لسان العرب ٤ / ٣٥٨ - ٣٦٠.

٤- (٤) معجم مقاييس اللغه ٣ / ٦٨؛ صحاح اللغه ٢ / ٦٨٢.

وأيضاً، فقد أخذ لفظ «السَّرّه» في لغة العرب من السَّرّ بمعنى الخالص، قالوا:

لأنَّ السَّرّه من الإنسان: خالص جسمه ومرجعُه. (١)

هذا، وقد ذهب بعض اللغويين إلى أنّ سبب التسميه بالسَّرّه إنّما هو وقوعها في وسط جسم الإنسان.

وفي الروايه:

«الولد سرُّ أبيه» (٢)

ذلك، لأنَّ الولد خالص صفات الأب، فهي تظهر في الولد بنحو الإجمال والكلّيّه وتتجلّى فيه. وبعبارة أخرى، فإنَّ الولد معرّف للأب في أخلاقه وملامحه.

ويقال أيضاً: «فلان سرّ قومه». (٣) أى إنّ جميع صفات القوم قد جمعت عند هذا الشخص وتجلّت فيه.

ومن المعانى للسَّرّ: قولهم: «سرّ الشئ: مستقرّ الشئ»

ومنه سُمّي السرير الذي ينام عليه الإنسان، لأنَّ الإنسان يستقرّ عليه.

ويقال أيضاً: «سرير الرأس: مستقرّه»

قال في معجم مقاييس اللغة:

السَّرّ: السّين والراء يجمع فروعه: إخفاء الشئ، وما كان من خالصه، ومستقرّه. (٤)

إذن، فهذه المادّه ثلاثه معانى وإليها تعود كلّ المشتقات بناءً على كلام ابن فارس.

ص: ٨٤

١- (١) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٦٨.

٢- (٢) مستدرّك سفيّنه البحار ٥ / ١٩، قال: روى: «الولد سرّ أبيه»، وفي أعيان الشيعة ٥ / ٩٢، قال: روى قوله صلّى الله عليه وآله: «الولد سرّ أبيه».

٣- (٣) تفسير التبيان ٢ / ٢٦٧؛ تفسير مجمع البيان ٢ / ١١٩؛ لسان العرب ٤ / ٣٥٩.

٤- (٤) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٦٧.

ولا يعد أن يكون المعنى الثالث - وهو المستقر - هو المعنى الجامع بين الجميع. فتأمل.

ونحن نشرح الجملة المذكوره من الزياره على ضوء المعانى الثلاثه:

### المعنى الأول: أصحاب السرّ

أما إن كان «و اختاركم لسرّه» بالمعنى الأوّل، فهذا يعنى إنّ الله تعالى جعل الأئمه عليهم السّلام أصحاب سرّه وانتخبهم لذلك.

وقد ذكرنا سابقاً فى شرح عباره «وحفظه لسرّه» أنّ «السرّ» هو ما يودع عند الشخص على أن لا فى نفسه ويخفيه عن الآخرين، فالائمه حفظه الأسرار الإلهيّه وإنّ جاز أن تكون هناك بعض الامور التى لم يطّلع عليها حتّى النبى الأكرم محمد صلّى الله عليه وآله والأئمه الأطهار عليهم السّلام - مع أنهم أقرب الناس إلى الله - .

فالسرّ، هو الأمر المكتوم، والمكتوم له مصداقان:

فمنه: ما لم يُطلع الله عزّوجلّ عليه أحداً حتى النبى الأكرم.

ومنه: ما أطلع عليه النبى وآله الأطهار فقط، وهذا هو المراد من الجملة بناءً على المعنى الأوّل.

وعندنا روايات كثيره عن أهل البيت عليهم السّلام فى هذا المعنى، ومنها ما جاء فى بصائر الدرجات للشيخ الصّفّار القمى بإسناده عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال:

«نحن شجره النبوه وبيت الرحمه ومفاتيح الحكمه ومعدن العلم وموضع

الرساله ومختلف الملائكه وموضع سرّ الله، ونحن وديعه الله في عبادته، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن عهد الله...»(١)

وفى روايه أخرى، بسند آخر فى كتاب البصائر وكتاب الكافى، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«يا خيثمه، نحن شجره النبوه وبيت الرحمه ومفاتيح الحكمه ومعدن العلم وموضع الرساله ومختلف الملائكه وموضع سرّ الله، ونحن وديعه الله فى عبادته ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمه الله.»(٢)

وفى روايه أخرى فى الكافى عن أبى بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال له:

«يا أبا محمد، إنّ عندنا - والله - سرّاً من سرّ الله وعلماً من علم الله.»

و إنّ كانت «من» فى هذه الروايه تبعيضيّه، فهذا يعنى أنّ بعض الأمور مخفيّه حتّى عن أهل البيت عليهم السّلام ولم يطلعهم الله عزّوجلّ عليها، ولأنّها لم تصلهم عبّر عنها بالسرّ.

ثم يقول عليه السلام:

«ما يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وإنّ عندنا سرّاً من سرّ الله وعلماً من علم الله، أمرنا الله بتبليغه...»(٣)

ومنه يظهر إنّ بعض الامور وإن عبّر عنها بالسرّ، إلّا إنّ الأئمّه عليهم السلام

ص: ٨٤

١- (١) بصائر الدرجات: ٧٧، الحديث ٣؛ بحار الأنوار ٢٦ / ٢٤٥، الحديث ٨.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ٧٧، الحديث ٦؛ الكافى ١ / ٢٢١، الحديث ٣.

٣- (٣) الكافى ١ / ٤٠٢، الحديث ٥.

كانوا مأمورين بتبليغها إلى الناس، وإنَّ ذلك من مختصاتهم التي يستعبدون بها الله سبحانه وتعالى.

وفى روايه أخرى فى هذا المجال، ذكرها الصِّدوق عليه الرحمه فى كتاب الأمالى، ورواها أيضاً صاحب كتاب روضه الواعظين، إنَّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السَّلام قال فى خطبه له:

«أنا حجَّه الله، وأنا خليفه الله، وأنا صراط الله، وأنا باب الله، وأنا خازن علم الله، وأنا المؤمن على سرِّ الله، وأنا إمام البريِّه بَعَدَ خَيْرِ الخليفه محمدٍ نبيِّ الرحمه صلَّى الله عليه وآله»<sup>(١)</sup>.

وفى كمال الدين للشيخ الصِّدوق رحمه الله، بسنده عن ابن عباس، إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله سلم قال:

إنَّ على بن أبى طالب إمام أُمَّتى وخليفتى عليها من بعدى.

ثم يوصلُ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذا الأمر بالإمام المهدي عليه السَّلام وغيبته، قال ابن عباس: فقام جابر بن عبد الله الانصارى فقال:

يا رسول الله، وللقائم من وُلدِكَ غَيْبَه؟

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

إي وربِّي، «وَلِيْمَحَّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ». يا جابر، إنَّ هذا الأمر أمرٌ من أمر الله وسرٌّ من سرِّ الله، مطوَّى عن عباد الله، فإياك والشكَّ فيه، فإنَّ الشكَّ فى أمر الله عزَّوجلَّ كفرٌ<sup>(٢)</sup>.

ص: ٨٧

١- (١) الأمالى، الشيخ الصِّدوق: ٨٨، الحديث ٩؛ روضه الواعظين: ١٠١ مع اختلاف بسيط؛ بحار الأنوار ٣٩ / ٣٣٥، الحديث ١.

٢- (٢) كمال الدين: ٢٨٧ و ٢٨٨، الحديث ٧؛ بحار الأنوار ٥١ / ٧٣، ح ١٨ بتفاوت طفيف.

ومن المحتمل رجوع «إنَّ هذا الأمر» إلى أصل الإمامه، كما ويحتمل رجوعه إلى غيبه الإمام صاحب العصر عليه السّلام.

فإن كان المراد، أصل الإمامه، فقد عبّر عنها بأنّها «سرٌّ من سرِّ الله».

وإلى هنا تمّ بيان المعنى الأوّل من المعاني الثلاث لكلمه «السرّ» في توضيح جملة «اختاركم لسرّه».

### المعنى الثانى: سرُّ الله

وأما بناءً على المعنى الثانى، فسيكون المعنى: إنَّ الله سبحانه وتعالى قد أخلص الأئمة عليهم السّلام لنفسه، فكانوا المثل الأعلى للكمالات والصفات الإلهية.

فكما فسّروا «الولد سرُّ أبيه» بتجلّى الأب فى ابنه معنوياً وأخلاقياً وأنه قد تلخّص فيه، كذلك الأئمة عليهم السّلام، فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد اختارهم من بين خلقه، لتتلخّص صفاته عزّوجلّ فيهم وتتجلّى بهم، وهذا المعنى حق لا ريب فيه.

والروايات الدالّة على إنَّ الأئمة عليهم السّلام هم مظاهر الصفات الإلهية والكمالات الربوبية كثيرة.

ومن ذلك ما رواه الشيخ المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار، فى باب «باب جامع فى صفات الإمام وشرائط الإمامه» وهى روايه مطوّله، رواها بالإسناد.

عن طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين على عليه السّلام جاء فيها:

والإمام - يا طارق - بشرٌ ملكى وجسّدٌ سماوى وأمّرٌ الهى وروحٌ قدسى ومقامٌ على... السنام الأعظم والطّريق الأقوم، من عرفهم وأخذ عنهم فهو منهم،

وإليه الإشارة بقوله: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي». ١. خلقهم الله من نور عظمته وولعاهم أمر مملكته، فهم سرّ الله المخزون وأولياؤه المقربون، وأمره بين الكاف والنون، إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون...؛(١)

فالأئمة عليهم السّلام، سرّ الله بالمعنى الثانى وهو شأن جليل و مقام عظيم، وهم مع ذلك عبادُ الله، ومأمورون من قبله عزّوجلّ، ويعملون بأمره، ويدعون إليه، ولا يسبقونه بالقول، بل يقولون ما يقول.

### المعنى الثالث: مستقرّ الله

وأما بناءً على المعنى اللغوى الثالث لكلمه «السرّ» وهو: المستقر، والذي على أساسه سُمّي السريّر سريراً لمناسبه الإستقرار عليه، فإنّه يكون معنى «اختاركم لسرّه»: إنّ الله سبحانه وتعالى مع الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام ولا ينفصل عنهم، وهم أيضاً لا ينفصلون عنه عزّوجلّ .

ولهذا المعنى شواهد كثيره فى الكتاب و السنّه، فإنّ أئمتنا عليهم السّلام أئمة المتّقين، وقد قال تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» ٣ وأئمة المحسنين، والله عزّوجلّ يقول: «وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» ٤ وهم أئمة الصّابرين، والله سبحانه يقول: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرِينَ» ٥

ص: ٨٩



وقد ورد في الأحاديث القدسيه نظير ذلك، كالحديث:

«أنا عند المنكسره قلوبهم».(١)

أو ليس صحيحاً ما ورد من أن :

«قلب المؤمن عرش الرحمن»؟(٢)

بل، إن الله تعالى يمنح هذه المنزله للمقرّبين عنده، وقد جاء في القرآن الكريم:

«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» ٣

وبناءً على ذلك، فإن الأئمة عليهم السلام مستقرّون عند الله تعالى ، وأن صفات البارى المتعال مستقره فيهم، فهم مظاهر علم الله وقدرته واراوته، فمن أخذ منهم فقد أخذ من الله، ومظاهر إرادته الله، فمن أطاعهم فقد أطاع الله...

هذا، وقد روى المجلسى رحمه الله فى بحاره عن كتاب مشارق أنوار اليقين، للشيخ رجب البرسى رحمه الله، جاء فيها:

«فهم سرُّ الله المخزون».(٣)

وللعلماء آراء متفاوتة فى الشيخ المذكور وكتابه:

فالشيخ الأمينى رحمه الله فصل الحديث فى كتابه «الغدير» عن الحافظ

ص: ٩٠

---

١- (١) منيه المريد: ١٢٣؛ شرح الاسماء الحسنى ١ / ١٤٦.

٢- (٢) بحار الأنوار ٥٥ / ٣٩ الحديث ٦١؛ شرح الأسماء الحسنى ١ / ٣٤.

٣- (٤) مشارق أنوار اليقين: ١٧٨؛ بحار الأنوار ٢٥ / ١٧٣، الحديث ٣٨.

الشيخ رضى الدين رجب البرسى رحمه الله، وأجله وأكثر من الدفاع عنه، ونزّهه عمّا رُمى به من الغلو. (١)

ولكنّ المعتمد كلام الشيخ المجلسى رضوان الله عليه، لأننا نقلنا المطلب عن بحار الأنوار، يقول فى مقدمه كتاب بحار الأنوار عند عدّه منابع الكتاب ومصادره:

وكتاب مشارق الأنوار وكتاب الألفين للحافظ رجب البرسى، ولا أعتد على ما يتفرّد بنقله، لاشتغال كتابيه على ما يوهم الخبط والخلط والإرتفاع.

ثمّ يقول بعد ذلك:

«وإنّما أخرجنا منهما ما يوافق الأخبار المأخوذة من الأصول المعتبره». (٢)

ومن هنا، نعرف أنّ ما رواه من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام مخاطباً به طارقاً، هو موافق للأخبار المأخوذة من الاصول المعتبره.

ص: ٩١

١- (١) راجع كتاب الغدير ٧ / ٣٣، وقد وصف العلامة الامينى رحمه الله الحافظ الشيخ رجب البرسى بقوله: الحافظ الشيخ رضى الدين رجب بن محمّد بن رجب البرسى الحلّى، من عرفاء علماء الإماميه وفقهائها المشاركون فى العلوم، على فضله الواضح فى فن الحديث، وتقدّمه فى الأدب وقرض الشعر وإجادته... وله فى العرفان والحروف مسالك خاصّه، كما أنّ له فى ولاء أئمّه الدين عليهم السّلام آراء ونظريات لا يرتضيها لفيق من الناس، ولذلك رموه بالغلو والارتفاع، غير إنّ الحق أنّ جميع ما يثبت المترجم لهم عليهم السّلام من الشؤون هى دون مرتبه الغلو غير درجه النبوه... وينقل نماذج من أشعاره حول الغدير، من جملتها: هو الشمس؟ أم نور الضريح يلوح؟ هو المسك؟ أم طيب الوصى يفوح؟ وبحر ندا؟ أم روضه حوت الهدى وآدم؟ أم سر المهيمن نوح؟ وداود هذا؟ أم سليمان بعده؟ وهارون؟ أم موسى العصا و مسيح؟ وأحمد هذا المصطفى؟ أم وصيه على؟ نماه هاشم و ذبيح...

٢- (٢) بحار الأنوار ١ / ١٠.

إذن، يمكن تفسير عبارته «إختاركم لسرّه» على المعاني الثلاث لكلمه السرّ، حتّى لو كانت شروح الزياره الجامعه الموجوده قد اقتصرت فى شرحها على المعنى الأول من المعانى الثلاث، ولكننا نعتقد بصحه تفسيرها طبق المعنى الثانى والثالث أيضاً، ولا نرى فى ذلك إشكالاً.

## وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ

### إشاره

إِنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى قد اجتبى الأئمه الأطهار عليهم السلام بقدرته، فما هى حقيقه هذا الإجتباء؟ وما المراد من القدره هنا؟

### الإجتباء لغه

كلمه «الإجتباء» فى اللغه وكتب التفسير والحديث، اخذت بمعنى الإصطفاء.

ولكننا قد أشرنا سابقاً إلى أنّ الإصطفاء، الإختيار، الإنتخاب، الإنتقاء، والإجتباء، مفاهيم قريبه من بعضها، ولذا نراهم يستعملون أحدها مكان الآخر فى بعض الأحيان، فيضعون كلمه «إصطفاء» مكان كلمه «الإجتباء» وهكذا.

ولكن، وبالنظر إلى القول بعدم وجود الترادف فى لغه العرب، لابدّ أن نفرّق بين هذه المصطلحات ومفاهيمها، حتّى لو كانت متقاربه، والتفريق يكون بينها من جهه العموم والخصوص أو من جهه الخصوصيات والإعتبرات والدقائق الكامنه فى مفاهيم هذه الألفاظ.

ويقول الراغب الإصفهانى فى «المفردات فى غريب القرآن»:

«جبيت الماء فى الحوض جمعته، والحوض الجامع له جايه، وجمعها:

جواب، قال الله تعالى: «وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ» ١ ومنه استعير جبيت الخراج جبايه، ومنه قوله تعالى: «يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ ۖ ۲. «والإجتباء: الجمع على طريق الإصطفاء. قال عز وجل: «فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ» ٤٣»

ومنه يظهر أنّ الإجتباء غير الإصطفاء، وإنّ هذين اللفظين ليسا مترادفين، فالإصطفاء أعم والإجتباء أخصّ منه، لكونه الجمع على طريق الإصطفاء، فكلّ إصطفاء إجتباء، وليس كلّ إجتباء إصطفاء، بل هو أخصّ، وخصوصيته هي جمعه على طريقه.

فلو جمعتم عدّه أشياء مصطفاه، بعضها إلى البعض، كان ذلك إجتباءً لتلك الأشياء.

وقد يعزل الإنسان عدّه أشياء من مجموعته واحده، لكنه لا يجعلها إلى بعضها البعض، بل يفرّقها تفريقاً، فهذا لا يسمى إجتباءً وإنما هو إصطفاءً لاغير.

فالإجتباء - إذن - هو الجمع على طريق الإصطفاء.

وهذه التديقات مفيده لفهم القرآن الكريم والأحاديث الشريفه، وكذلك لفهم عبارات الزياره الجامعه الشريفه.

يقول تعالى فى كتابه:

«فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصّٰلِحِينَ» ٥

ص: ٩٣

ثم يقول الراغب الإصفهاني:

«وإجتباء الله العبد، تخصيصه إِيَّاه بفيضٍ إلهي يَتَحَصَّلُ لَهُ مِنْهُ - يعنى من الفيض - أنواع من النعم بلا سعى مِنَ العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يُقَارِبُهُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ»<sup>(١)</sup>

### نكات قيمه

وفي كلام الراغب الإصفهاني ثلاث نكاتٍ قيمه:

الأولى: إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا اجْتَبَى عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنَّهُ سَيَخْصُّهُ بِعُنَايَةٍ خَاصَّةٍ مِنْهُ، وَبِبِرْكَةٍ هَذِهِ الْعُنَايَةِ يَحْصُلُ هَذَا الْعَبْدُ عَلَى نِعْمٍ إلهيَّةٍ جَمَّةٍ.

الثانية: إِنَّ هَذَا الْفَضْلَ وَالِإِحْتِصَاصَ الْإلهيَّ، إِنَّمَا هُوَ عَطِيَّةٌ وَتَفَضُّلٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَليْسَ كَسْبِيًّا.

الثالثة: إِنَّ هَذَا الْمَعْنَى لَا يَخْتَصُّ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَيَحْصُلُ ل: «مَنْ يُقَارِبُهُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ» - مع الإحتفاظ بتفاوت المراتب - ولكنّه لَا يَشْمَلُ غَيْرَ هَؤُلَاءِ مِنَ النَّاسِ فَلَا يَنَالُهُمْ مِثْلُ هَذَا الْفَيْضِ الْإلهيِّ.

إِذْنِ، فَحَنِّ، بِبِرْكَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبِالِإِسْتِعَانَةِ بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ الْمَفْرَدَاتِ فِي مَعْنَى كَلِمَةِ الْإِجْتِبَاءِ، تَوَصَّلْنَا إِلَى حَدِّمَا إِلَى مَعْرِفَةِ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْمَقَامِ الْعَظِيمِ وَالشَّأْنِ الْجَلِيلِ لِلْأئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ .

نعم، إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ قَرَّبَ الْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَيْهِ حَتَّى أَوْصَلَهُمْ إِلَى مَقَامٍ هُوَ خَاصٌّ بِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَكَانُوا أَرْفَعَ مَقَامًا وَأَجَلَّ شَأْنًا لَدَيْهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، كَمَا سَيَتَّضِحُّ ذَلِكَ بِشَرْحِ بَعْضِ الْجُمَلِ الْآخَرَى مِنَ الزِّيَارَةِ.

ص: ٩٤

ولتتميم البحث، نراجع بعض الآيات القرآنية الشريفة، لثبت أن هذا المصطلح فى الزيارة الجامعه إنما هو إشاره إلى ما جاء فى كلام الله، وإن هذا المقام تفضّل من الله وعنايه خاصه لبعض عباده، كما ورد فى عدّه مواطن من القرآن الكريم؛ منها: قوله تعالى فى سورة الأنعام:

«وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ \* وَ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كَلْبًا فَفَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ \* وَ مَن آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عِبَادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ ۝ ١»

فبناءً على مضامين هذه الآيات الكريمه، فإن الأئمة الأطهار عليهم السلام مجتَبون من قبل الله، وقد مُنحوا مثل هذه المقامات الرفيعه.

فنحن نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى يقول فى الآيه:

«وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ ۝»

فقد جاءت «الهدايه» إلى جنب «الإجتباء»، ونفس هذا المعنى نقرؤه فى الزيارة الجامعه الشريفة، إذ جعلت الهدايه إلى جنب الإجتباء فى قوله عليه السلام:

«واجتباكم بقدرته وأعزكم بهداه»

إذن، وكما فى تعبير الراغب الإصفهانى، فإن هذه المنازل والمقامات الممنوحة للأنبياء المقربين والمفاضه عليهم من الله عزوجل حاصله للأئمه الأطهار عليهم السلام كذلك مع حفظ المراتب.

ويقول تعالى فى عدّه موارد من سوره مريم:

«وَ اذْكُرْ فِى الْكِتَابِ»

ثم يقول بعد ذلك:

«أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا» ١

ويقول فى خصوص خليه إبراهيم عليه السلام:

«إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِلنَّعْمَةِ اجْتَبَاهُ وَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَ آتَيْنَاهُ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» ٢

حيث نلاحظ أيضاً فيها إقتران الهدايه بالاجتباء.

ويقول عزوجل فى شأن يونس عليه السلام:

«فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُكِنْ كَصَاحِبِ الْوُحْيِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ \* لَوْ لَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ مَرِيضٌ مَوْمٌ \* فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» ٣

نعم، هذا فضل الله الذي أعطاه لأنبيائه والأئمة عليهم السلام وللمقرّبين من ساحه قدسه عزّ وجلّ على حسب مراتبهم. وهذه حقيقته، أقرت بها وأشارت إليها كتب التفسير واللغة، وقد سجّلها أصحاب هذه الكتب بعبارات لطيفة جداً. فقد جاء عنهم:

«الإجتباء من جَيِّتُ الشئ: إذا خلّصته لنفسك» (١).

فالإجتباء يعنى: عزل الشئ عن جملة أشياء وجمعه من هنا وهناك والإختصاص به وعدم الإشتراك فيه مع الغير. وهذا هو نفس التعبير الوارد فى القرآن الكريم:

«إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» ٢

وهم الذين وصلوا، - ومن خلال طاعتهم وعبادتهم - إلى منزله صاروا فيها خالصين لله سبحانه وتعالى وحده. ومن ثمّ يقول العلامة الطباطبائى فى تفسير الميزان (٢):

«فإجتباء الله سبحانه عبداً من عباده، هو أن يقصده برحمته ويخصّه بمزيد كرامته، فيجمع شمله ويحفظه من التفرّق فى السبيل المتفرّقه الشيطانيّه المفترقه للإنسان ويركبه صراطه المستقيم وهو أن يتولّى أمره ويخصّه بنفسه».

ص: ٩٧

---

١- (١) تفسير التبيان ٦ / ٩٨؛ تفسير القرطبي ٩ / ١٢٧؛ زاد المسير ٣ / ٥٥؛ تفسير الرازى ١٨ / ٨٩؛ تفسير البيضاوى ٣ / ٢٤٧؛ تاج العروس ١٩ / ٢٦٧؛ معانى القرآن ٣ / ٣٩٨.

٢- (٣) لا بدّ من التنبه على كلّ ما جاء فى هذا التفسير، ولكنّ الإنصاف أنّ فيه ظرائف ودقائق قد لا توجد فى غيره. هذا، وقد شرح «إجتباء الله سبحانه» فى موضعين، قد يظهر لنا بالتأمل والتدقيق وجود التهافت بينهما.



والحاصل، إنّ الله تعالى إذا اجتبي عبداً من عباده، صارت كلّ شؤون ذلك العبد، إلهيته، فجميع حركاته، سكناته، سيرته، سلوكه، فعله، تركه، نطقه وسكوته، ستكون بإرادة الله سبحانه وتعالى وموافقه لرضاه. وهذا هو نفس «إذا خلصه لنفسه» الذي قال به علماء الفريقين.

ثم يقول صاحب الميزان:

فلا يكون لغيره فيه نصيبٌ. (١)

أى: ستكون كلّ أبعاد وجود هذا الشخص لله تعالى وباختياره عزّوجلّ، ولا يبقى شئ في هذا الوجود لغير الله تعالى، بل ستكون كلّ حركاته وسكناته إلهيته، وتكون أفعاله وتروكه ربّانيه.

ويقول العلامة الطباطبائي في موضع آخر:

«إجتباء الله الإنسان، هو خلاصه لنفسه وجمعه من التفرّق في المذاهب المختلفه» (٢)

ثم ينقل العلامة الطباطبائي كلام الراغب الإصفهاني في تفسير سوره الأنعام ويعلق عليه بقوله:

«والذى ذكره من معنى «الإجتباء» وإن كان كذلك على ما يفيدته موارد وقوعه في كلامه تعالى، لكنّه لازم المعنى الأصلي بحسب انطباقه على صنعه فيهم» (٣)

هذا، وينبغي التأمّل في معنى كلمة «صنعه فيهم» وكيف أنّ الله سبحانه وتعالى يتولّى صنيع الأنبياء والأئمّه الأطهار عليهم السّلام ويهيئهم ويعدّهم لمنزله شامخه ومقام رفيع.

ص: ٩٨

١- (١) تفسير الميزان ١١ / ٧٩.

٢- (٢) تفسير الميزان ١٢ / ٣٦٨.

٣- (٣) تفسير الميزان ٧ / ٢٤٧.

ثم يقول العلامة:

«والذى يُعطيه سياق الآيات أنّ العنايه تعلقت بمعنى الكلمه الأصلى وهو الجمع من مواضع وأمكنه مختلفه متشتمه، فيكون تمهيداً لما يذكر بعده من الهدايه إلى صراط مستقيم، كأنّه يقول: وجمعناهم على تفرّقهم حتّى إذا اجتمعوا وانضمّ بعضهم إلى بعض هديناهم جميعاً إلى صراط كذا وكذا»<sup>(١)</sup>.

وخلصه الكلام، إنّ الله سبحانه وتعالى اصطنع الأئمه عليهم السلام لنفسه كما اصطنع أنبيائه ورسله والمقرّبين، واختصّ بهم له وحده، بنحو جعل معه هدايه خاصّه لهم بحسب مراتبهم، وهذا هو نفس مفاد الآيات التى ذكرناها سابقاً، والتى كان للأئمه عليهم السلام تفسيرهم وبيانهم لها.

### ماورد عن الأئمه فى الموضوع

وقد ورد فى تفسير نور الثقلين، ومجمع البيان، وكتاب المناقب لابن شهر آشوب، وبعض الكتب الاخرى فى ذيل بعض هذه الآيات - فى سوره مريم - عن الإمام السّجاد عليه السلام، إنه قال:

«نحنُ عُنيّا بها»<sup>(٢)</sup>.

ويذكر الألوسى فى تفسير روح المعانى هذه الروايه فى ذيل الآيه من سوره مريم ثم يقول: «وهذه روايات الشيعة»، ويحاول الإنتقاص والإستهزاء بهم بعد أن أعياه إبداء الدليل وعجز عن المناقشه العلميه، فيقول:

ص: ٩٩

١- (١) تفسير الميزان ٧ / ٢٤٧.

٢- (٢) تفسير مجمع البيان ٦ / ٤٣١؛ تفسير الميزان ١٤ / ٨٠، المناقب لابن شهر آشوب ٣ / ٢٧٣؛ تفسير نور الثقلين ٣ / ٣٥١، الحديث ١١٤؛ بحار الأنوار ١١ / ١٧ و ٢٤ / ١٤٧، الحديث ٢١.

«وروى بعض الإماميه عن علي بن الحسين رضى الله تعالى عنهما أنه قال:

نحن عُيننا بهؤلاء القوم. ولا يخفى أن هذا خلاف الظاهر جداً. وحال روايات الإماميه لا يخفى على أرباب التمييز».(١)

### كلام مع الألوسى

وهذا توهم من الألوسى.

ولكى يتضح خواء ما قال الألوسى ووهنه، نذكر بعض الآيات القرآنيه فى هذا المجال، وهى كثيره، نبدأ من الآيه ١٥ من سوره مريم، حيث يقول عزوجل :

«وَ اذْ كُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا» ٢

ويقول فى قصه إبراهيم عليه السلام:

«وَ اذْ كُرْ فِي الْكِتَابِ إِبرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا» ٣

ثم يقول عزوجل :

«وَ اذْ كُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا» ٤

ويقول فى قصه اسماعيل عليه السلام:

«وَ اذْ كُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا» ٥

ص: ١٠٠

ثم يقول عز وجل :

«وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ اِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا\* وَ رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا» ١

ثم يقول:

«أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْرَائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَ بُكِيًّا» ٢

وعبارته «أولئك الذين» متعلقه بقوله «واذكر».

كما إنَّ عبارته «وممَّن حملنا» و«ممن هدينا وإجتبينا» معطوفه على «النبين».

ومنه يُعلم أنَّ السیده مريم عليها السلام كانت من جمله هؤلاء المجتبيين، مع أنها ليست من الأنبياء.

وعليه، يتضح لنا، إنَّ مقام الإجتباء يشمل غير الأنبياء أيضاً، وإنَّ كلام الإمام السجّاد عليه السّلام في تفسير الآيه، خالٍ من أيّ إشكال بل هو في غايه الصّححه، ولكنَّ الألوّسى غفل عن هذه النكته فتصوّر أن كلام الإمام يستلزم القول بأنَّ الأئمّه عليهم السّلام هم من جمله الأنبياء، فراح يستهزء ويسخر من روايات الإماميه وبتّهمها بالضعف.

مع أنَّ الراغب الإصفهاني نفسه قد أذعن بهذه الحقيقه حينما قال:

«وإجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع النعم...»

وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصّدّيقين والشّهداء» (١)

ص: ١٠١

وبناءً على هذا، لا إشكال في أن هذه العبارة من الزيارة الجامعه هي إشارة إلى المراتب والمقامات المذكوره في القرآن الكريم  
للأنبياء والأئمة عليهم السلام، على ما بينهم من التفاوت كما لا يخفى.

### ما معنى بقدرته ؟

والآن، نتناول معنى «بقدرته» بحثاً ودراسه.

وعمده البحث في هذا المقام ينصبُّ على معنى «الباء» في هذه الكلمه.

فلا بدَّ من التدقيق فيها، وذلك لأن كلمه «قدره» معلومه المعنى.

وهنا احتمالان:

١ - إنَّ هذا الإجتباء الذى هو بمعنى الجمع على طريق الإصطفاء، إنما كان بقدره الله سبحانه وتعالى. وفي هذه الحاله ستكون  
«الباء» سببیه. ويكون المعنى:

بسبب قدرته تعالى جمعكم واصطفاكم.

ومنه يُعلم، أنَّ إعمال قدرته في هذه القضية كان لازماً وضرورياً. فإذا ما ذكرت القدره الإلهیه في آیه من الآيات الكريمه في  
القرآن، وخاصه إذا كانت مقرونه بالباء السببیه، فإن ذلك يكشف عن عظمه ذلك الفعل وأهميته وخطورته المستدعيه لوجود  
قدره الله عزوجل لإيجادها.

وكمثال على ذلك، قوله تعالى في سوره القيامة:

«أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» ١.

فواضح أنَّ إحياء الموتى أمرٌ عظيم يحتاج إلى قدره عظيمه وهى القدره الإلهیه.

ص: ١٠٢

وكذلك نقرأ في آيه مباركه اخرى:

«بَلِي قَادِرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوِّيَ بِنَانُهُ» ١

فإرجاع الأجساد إلى الحياه مع المحافظه على أشكالها وحتى على الخطوط الموجوده فى الأصابع، أمرٌ عظيم يحتاج إنجازهُ إلى قدره عظيمه وهى القدره الإلهيه.

وفى آيه ثالته يقول عزّوجلّ :

«أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ» ٢

٢ - الإحتمال الثانى فى معنى الجملة هو: إنّ الله تعالى قد إختار الأئمه عليهم السّلام بجهه أنهم مظهرٌ قدرته. وعليه تكون «الباء» بمعنى «اللّام»، إنّ كانت مستعمله فى لغه العرب.

ويؤيدّه ورود الكلمه فى نسخه اخرى للزياره بلفظ «لقدرته» بدل «بقدرته».

وعلى أىّ حال، يمكن تفسير العبارة هكذا: «اجتباكم لتكونوا مظاهر قدرته».

نعم، إنّ الله سبحانه وتعالى قد فعّل فعلاً عظيماً، وخلق أفراداً عظاماً، ليكونوا دليلاً على قدرته، ومظهراً لها.

وكذلك، فإنّ الله تعالى قد خلق الأئمه عليهم السّلام، لتتوفر فيهم قدره عظيمه للتصرّف فى الكون، وهو ما يعبر عنه بالولاية التكوينيّه.

كما إنّهم كانوا يمتلكون القدره الربانيّه مضافاً إلى القدره الجسمانيّه، وقد

ظهر ذلك في قضيه قلع باب خيبر، فإنه لما سُئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن ذلك قال:

«والله ما قلعتُ بابَ خيبرٍ ورَميتُ بهِ حَلفَ ظَهري أربعين ذراعاً بقوّه جسدِيه ولا حرَكة غذائيّه، لكنّي أُيّدُ بقوّه ملكوتيّه...» (١).

## وَأَعَزُّكُمْ بِهَدَاهُ

قال الراغب الإصفهاني في كلمه «العزّه»:

«العزّه: حاله مانعه للإنسان من أن يُغلب»؛

ثمّ يقول:

«والعزيز: الذي يقهر ولا يقهر؛ وعزّ الشيء: قلّ، إعتباراً بما قيل: كلُّ موجودٍ مملول وكلّ مفقودٍ مطلوب، وقوله: «وإنّه كتاب عزيز» أي يصعب منأله ووجود مثله» (٢).

ومن مجموع ما ذكر، يتضح أنّ معنى العزّه في الإنسان هو عدم وقوعه تحت نفوذ وسيطره وقدره وقاهرته أحد، وبطبيعته الحال فإنّ مثل هذا الإنسان قليل الوجود.

وهذا هو المعنى الحقيقي لكلمه «العزّه».

## العزّه المطلقه

### إشاره

ولا شك في أنّ العزّه المطلقه من كلّ الجهات والحيثيات، إنّما هي لله العزيز العليم، ومن مختصّاته عزّوجلّ .

ص: ١٠٤

١- (١) الامالى للصدوق: ٦٠٤ - ٦ - ٥، الحديث ٨٤٠؛ روضه الواعظين: ١٢٧؛ بحار الأنوار ٢١ / ٢٦.

٢- (٢) المفردات في غريب القرآن: ٣٣٢ و ٣٣٣.

قال تعالى في القرآن الكريم:

«فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً» ١

وفي هذه الآية الكريمه جاءت كلمه «العزّه» بألف ولام الجنس، ومع ذلك، فقد أكدّها القرآن الكريم بكلمه «جميعاً». ومن جهه أخرى، فإنّ اللّام في «الله» هي لام الملكيه.

وبناءً على هذا، فإن أي إنسان إذا امتلك شيئاً من العزّه الحقيقيه، فإن ذلك إنّما يكون من الله تعالى، فعزّه ما سوى الله أينما كانت فإنما هي من الله عزّوجلّ وليست خصوصيته ذاتيه في ذلك الفرد.

### ولماذا قلنا العزّه الحقيقيه ؟

لأنّ البشر أحياناً يتصوّر بعض الأشياء والامور عزّه له، أو يفترض أنّ نوعاً من تعامل الآخرين معه عزّه، أو السّماح له بالدخول في أمرٍ معيّن، عزّه، أو أنّ إمتلاكه الشئ الكذائي، عزّه.

وهذا، وإن كان أحياناً من مظاهر العزّه عرفاً، ولها اعتبار عند العقلاء أيضاً، ولكنّ هذه المظاهر وهذه العزّه ليست دائميّه؛ وإنما هي مؤقتة، تزول مع مرور الزمان وتغير الأحوال.

افرضوا أنّ زيدا تصدّى لمنصب رئاسه، فإنّ دوره رئاسته وسيادته، ستنتهي.

تصوّرُوا إنّ إنساناً اكتسب عزّه في قومه من أجل جماله، أو لجوده وسخائه، أو لوصف آخر من أوصافه، لكنّ هذه العزّه تنتهي وتزول بزوال الجمال أو بنفاد



المال، فمثل هذه العزّة ليست حقيقيّة، بل العزّة الحقيقيّة، هي العزّة الإلهيّة فقط، فإنها العزّة الدائمة الأبدية.

فإذا ما كانت العزّة المطلقة لله تعالى وحده، وإنّ كلّ عزّة هي من عزّته عزّوجلّ، اكتساباً أو تفضّلاً، نعرف حينئذٍ أن مثل هذه العزّة الحاصلة للإنسان إنّما هي ببركة الإرتباط بالله تعالى وطاعته.

فكلّما ارتبط الإنسان بمبدأ العزّة الحقيقيّة، وقوى أواصره بالله سبحانه، كلّما ازداد عزّاً حقيقيّاً، ولما كان ذلك المبدأ دائماً وأبديّاً، قهراً تكون عزّة الإنسان دائماً حقيقيّة كذلك.

فعمده شواخص العزّة الحقيقيّة، هي دوامها وأبديتها، لأنها مأخوذة ومستمدّة من مصدر دائمى وأبدي.

### الأئمّة والعزّة الحقيقيّة

وإنّ الله سبحانه وتعالى قد أعطى العزّة الحقيقيّة للنبي الأكرم وللأئمّة عليهم الصّلاه والسّلام، وفي كلّ الأحوال، إجتماع الناس حولهم أم لم يجتمعوا، فالسّيجون والقصور والحياه والممات الظاهري، لا يؤثّر في عزّتهم ومقدارها، ففي كلّ الأحوال والظروف عزّتهم محفوظة، لماذا؟

لأنّ هذه العزّة لم يمنحها لهم إلّا الله عزّوجلّ، ولأنّ الله تعالى هو الذي أعزّهم، فلن يستطيع أحدٌ أن يسلبهم إيّاها، وهذا هو سرّ العزّة الإلهيّة الحقيقيّة.

فلذا، فإنّا إذا ما أردنا أن نحصل على العزّة الحقيقيّة، علينا أن نرتبط بالله عزّوجلّ، فإنّ مثل هذه العزّة إنّما تتأتى بالإرتباط القويّ به والطّاعة المطلقة له.

وفي هذه الحالة سنكون، ليس فقط أعزّاء، بل سنكون مصدرّاً لإعزاز الآخرين، فمن إرتبط بنا حصل على العزّة أيضاً من خلال ارتباطنا بالله.

وبعبارة أخرى، بإمكاننا نحن أيضاً أن نكون مصدراً لعزّه الآخرين. ومن هنا يقول البارئ عزّوجلّ :

«فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً»

ويقول أيضاً:

«وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ» ١

فالمؤمن العزيز بعزّه الله تعالى ، لا يذل ولا يخاف، يقول تعالى :

«أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» ٢

نعم، إنّ عزّه النبي وآله عليهم السّلام عزّه الله عزّوجلّ لهم، وهى بالحدّ الأعلى للعزّه الإلهية، ولا يتقدّمهم أحد فى قربهم الإلهي وكمالاتهم وسائر منازلهم عليهم السّلام.

### خصائص العزّه الحقيقيه

ثم إنّ الأئمة الأطهار عليهم السّلام أعزّه، أى قليلوا المثل والنظير، فهم من حيث جهات الكمال والقرب إلى الله سبحانه وتعالى فى الغايه القصوى، لا- يغلبهم ولا- يسبقهم أحد ولا- يقهرهم أحد، بل كلّ ما سواهم مقهور لعزّتهم ومغلوب، وخاضع وصاغر، ومثل هذه العزّه مقرونه دائماً بالعلوّ.

يقول عزّوجلّ فى القرآن الكريم:

«وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ٣

ص: ١٠٧

وهذه العزّه كانت مقرونه بالتوكّل، يقول تعالى :

«وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ١

وهذه العزّه مقترنه بالنصر والغلبه فى كلّ الأحوال، فمهما حاول أعداء أهل البيت عليهم السّلام، النيل منهم والتقليل من شأنهم، ما استطاعوا، فكان الأئمه عليهم السّلام هم المنتصرون، وبهذا يصرّح القرآن الكريم بقوله تعالى :

«وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ٢

وهذه العزّه مقرونه بالقوّه، يقول تعالى :

«إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» ٣

وهذه العزّه، مقرونه بالحكمه، وما أكثر ورود هذا المعنى فى القرآن الكريم فى وصف الذات الإلهيه المتعالیه:

«عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ٤

وهذه العزّه مقرونه بالعلم، يقول تعالى :

«الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ» ٥

والعجيب، أنّ هذه العزّه مع كلّ تلك القدره والعلم والحكمه والنصر الإلهى، مقرونه أيضاً بالرحمه. يقول تعالى :

ص: ١٠٨

«وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» ١

فمع إنَّ الله تعالى غالبٌ في كلِّ الأحوال، لكنَّه رحيمٌ في كلِّ الأحوال وغفورٌ أيضاً.

والأئمة عليهم السَّلام كانوا كذلك أيضاً، فمع قدرتهم على الانتقام والنصر والغلبة كانوا يعفون عمَّن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم، لأنهم مظهر الرحمة الإلهية.

### بين العزَّة والهداية

وبطبيعته الحال، فإنَّ مثل هذه العزَّة وبهذه الأبعاد والخصوصيات، يلزمها هداية إلهية، وبدونها لا تتحصل تلك العزَّة، ولذا فإنَّنا نقول في الزيارة:

«أعزَّكم بهداه» !

إنَّ الله سبحانه وتعالى، وإنَّ كان الهادى لجميع المخلوقات، ولذا يقول عزَّوجلَّ :

«الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» ٢

ولكنَّ هداية كلِّ مخلوق تختلف عن هداية غيره، فكلُّ بحسب استعداده وشأنه، يقول تعالى :

«وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى» ٣

فالتقدير أمرٌ ضرورى، والتناسب لازم، فصحيح أنَّ الله عزَّوجلَّ قادر على إعطاء الهداية بلا تقدير وحساب، ولكن، لما كانت الإستعدادات مختلفه، كانت مقادير الهداية متناسبه مع مقادير الإستعداد عند المخلوقات.

إنه يقول تعالى :

«وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ» ١

لكن ليست المشيئة الإلهية في أن يهدي الله كلّ المخلوقات بدون محاسبات وتقديرات، وبدون مقدمات وامتحانات، فإنّ هذا مخالف للحكمه من الخلقه.

فمقتضى الحكمه إذن، أن تكون الهدايه على أساس التقادير والإستعدادات، وطبقاً لضوابط وشروط وقواعد وسنن ثابتة، وذلك، لأنّ هذه الهدايه بكلّ هذه العظمه والأهميه والسعه، لا يمكن أن تكون جزافيه وبلا محاسبات دقيقه.

### بين الإجتباء والهدايه

ومن جهه أخرى، ينبغى التذكير بأنّ الله تعالى كان قد امتحن واختبر المقرّبين إليه من الأنبياء والأئمّه عليهم السّلام، ثم اجتباهم عن الآخرين وهداهم هدايه خاصّه.

وقد بيّنا آنفاً في شرح عبارته «إجتباكم» بأنّ هذا الإجتباء كانت له مقدمات، ومن تلك المقدمات: الامتحان، فقد وقع الإمتحان ثمّ كان الإجتباء، ثمّ الهدايه.

وقد أشرنا في محلّه إلى جملة من الآيات في هذا الشأن منها قوله تعالى بشأن بعض الأنبياء:

«ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى» ٢

ص: ١١٠

وقوله عز وجل :

«شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتِبَاءً وَ هِدَاةً إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»؛ ١

وقوله فى شأن جمع من الأنبياء:

«وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ٢

إنَّ أنبياء الله عليهم السَّلام قد تحمَّلوا من أممهم التعذيب والتكذيب وتعرَّضوا لامتحانات شاقَّة وابتلاءات كبيرة فى هذا العالم، وبعد أن نجحوا فيها، إجتباهم الله تعالى .

والأئمَّة عليهم السَّلام أيضاً كانوا ممتحنين ومبتلين بأنواع الابتلاءات والإمتحانات، ثم بعد ذلك حصلوا على الهدايه الخاصه، ثم صاروا هداه للعالمين.

يقول تعالى فى كتابه للرَّسول الأعظم:

«إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» ٣

وقد جاء فى الأحاديث الصحيحه عن الفريقين، إنَّ المراد من «لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السَّلام، فهو الهادى لهذه الامه، ومن أَلفاظ الحديث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«أنا المنذر وعلى الهادى من بعدى؛ يا على بك يهتدى المهتدون من بعدى».(١)

ص: ١١١

١- (٤) تفسير مجمع البيان ٦ / ١٥؛ تفسير نور الثقلين ٢ / ٤٨٢، الحديث ١٦؛ بحار الأنوار ٩ / ١٠٧ و ٢٣ / ٢؛ شواهد التنزيل ١ /

٣٨٤، الحديث ٤٠٠؛ تاريخ مدينه دمشق ٢٢ / ٣٥٩.

ويقول عزوجل في آيه أخرى في شأن الأئمة عليهم السلام:

«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا»<sup>١</sup>

يقول جابر الجعفي، قال الباقر عليه السلام:

«نزلت هذه الآية في ولد فاطمه سلام الله عليها خاصه»:

«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ...»<sup>٢</sup>

أجل، لقد صبر الأئمة عليهم السلام صبراً جميلاً وكانوا مظهر الصبر ومصدقه الواسع العريض، ولما صبروا نصبهم الله أئمة وهداه للعالمين، وهذه هي الهدايه الخاصه التي حصلوا عليها بعد تلك الخصوصيات، فكانوا مهديين هداة.

فلو أننا ارتبطنا بالله عزوجل ، الذي هو مركز العزه ومصدرها ومنبعها وأصلها، فليس فقط سنكون من الأعزاء، بل سنكون واسطه لإفاضه العزه على الآخرين أيضاً. كما ورد في مجالسه العلماء وملازمتهم من قول أميرالمؤمنين عليه الصلاه والسلام:

«من جالس العلماء وُقِرَّ»<sup>(١)</sup>.

فمجالسه العلماء تورث العزه، لأنهم يحملون شيئاً من علوم أهل البيت عليهم السلام، ومن جالس العالم ولازمه، كان محترماً بين الناس عزيزاً.

وعلى الجملة، فإن الله عزوجل قد اجتبى الأئمة الأطهار وأدبهم ثم

ص: ١١٢

---

١- (٣) كثر الفوائد: ١٤٧؛ بحار الأنوار ١ / ٢٠٥، الحديث ٣٠.

نصيبهم للهدايه وأمر بمتابعتهم وطاعتهم، ونهى عن أتباع غيرهم كما فى قوله تعالى:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» ١

كأن الله عزوجل يقول: أليس عندكم عقول؟ كيف تتبعون من هو محتاج إلى الهدايه، ولا يميّز الحق من الباطل؟ تجعلونه إماماً لكم ومقتدىً، وتركون الإمام الهادى الذى لا يضل ولا يزل أبداً؟ أين عقولكم؟

### المغفره لمن اهتدى

ومن جهه أخرى، فإن الله عزوجل قد وعد المسارعين إلى الإهتداء بهدى أهل البيت عليهم السّلام، ومن أطاعهم، بالمغفره والرحمه، حيث يقول عزوجل:

«وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ» ٢

وهذه من جمله الآيات الأمره باتباع أهل البيت عليهم السّلام، فقد ورد بذيلها فى كتب الفريقين أنّ المراد هو الإهتداء إلى ولايه أميرالمؤمنين وأهل البيت عليهم السّلام. (١)

فعن الإمام الباقر عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام، قال:

«خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ

ص: ١١٣

---

١- (٣) المناقب، ابن شهر آشوب ٣ / ٤٠٣؛ بحار الأنوار ٢٤ / ٢١، الحديث ٣٨.



يقول: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى»

ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إِلَى وِلَايَتِكَ»؛(١)

وعنه أيضاً أنه قال:

«(ثم اهتدى) إلى ولايتنا أهل البيت، فوالله، لو أنّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثمّ مات ولم يجئ بولايتنا لأكبّه الله في النار على وجهه»(٢)

ثم إنّ الله قد وعد المهتدين إلى ولايته أمير المؤمنين بالتسديد والهداية فقال:

«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» ٣

فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في ذيل هذه الآية:

«هذه نزلت في آل محمد وأشياعهم»(٣)

ومن جهه أخرى، فإنّ الله عزّوجلّ قد إعتنى بالأئمّه عليهم السّلام عناية خاصّه، فعطف قلوب المؤمنين إليهم، وساق الأرواح نحوهم، وهذا بنفسه نحو عزّه وإكرامٍ لهم عليهم السّلام.

يقول تعالى :

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا» ٥

ص: ١١٤

١- (١) شواهد التنزيل ١ / ٤٩٣، الحديث ٥٢١.

٢- (٢) مجمع البيان ٧ / ٤٥؛ بحار الأنوار ٢٤ / ١٤٩، الحديث ٢٩؛ تفسير الصافي ٣ / ٣١٤، الحديث ٨٢؛ تفسير نور الثقلين ٣ /

٣٨٧، الحديث ٩٥؛ شواهد التنزيل ١ / ٤٩٢.

٣- (٤) المناقب، ابن شهر آشوب ٢ / ٤٠٣؛ بحار الأنوار ٢٤ / ٢١، الحديث ٣٨.

وتلخص: إن الله عزوجل انتجب أهل البيت عليهم السلام وهداهم هدايه خاصه وجعلهم أعزّه بين الناس ونصّبهم هداة لهم إليه.

## ما هي الهدايه ؟

ولا نقاش في أنّ الهدايه على نوعين:

فتاره الهدايه، دلالة إلى الطريق والسبيل، قال تعالى :

«إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»؛ ١

وتاره، تكون الهدايه بنحو تجد الهادي مصاحباً لك في الطريق حتى الوصول إلى المقصد.

فقد تسأل من شخص عن مكانٍ ، فيرشدك نحوه، وقد يمشى معك حتى يوصلك إليه، ولعلّ إلى هذا المعنى أشارت الآية:

«وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» ٢

ويقول عزوجل في آيه أخرى:

«وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى» ٣

فالله عزوجل يزيد في هدايه السالك للطريق، فيجعل يده بيد الدليل ليوصله إلى المقصد سالماً، فلا يتعرّض للضياع والضلال.

ويقول تعالى :

«وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ» ١

وكلّ هذه مراتب للهدايه، ولكن المهم أن يعرف الإنسان سبيل الرشده فيختاره فيسلكه على منهاج النبي وآله الأطهار عليهم السلام، الذين نالوا الهدايه الخاصه، ويضع قدمه موضع أقدامهم ويتبع آثارهم فينال العزّه والهدايه معاً، بل ويكون مصدراً للعزّه والهدايه للآخرين ونوراً يُستضاء به ببركه طاعته لأهل البيت عليهم السلام.

## وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ

### اشاره

قال الراغب الإصفهاني في كلمه «الاختصاص»:

«التخصيص والاختصاص والخصوصيه والتخصّص: تفرّد بعض الشئ بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم والتعمّم والتعميم»<sup>(١)</sup>

### ما معنى البرهان ؟

وقال الراغب الإصفهاني في مصطلح «البرهان»:

«البرهان: بيان للحجّه... والبرهان أوكد الأدلّه وهو الذي يقتضى الصدق أبداً لامحاله»<sup>(٢)</sup>

وقد وردت كلمه «البرهان» في القرآن الكريم في ثلاث مواطن.

ص: ١١٦

١- (٢) المفردات في غريب القرآن: ١٤٩.

٢- (٣) نفس المصدر السابق: ٤٥.

الأول: فى شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول تعالى :

«قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ» ١

الثانى: فى شأن النبى يوسف الصديق عليه السلام، حيث يقول تعالى :

«وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» ٢

الثالث: فى قصه موسى عليه السلام، يقول تعالى :

«فَإِذِ انْكَرَبَ بُرْهَانَ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ» ٣

هذاء، والملاحظ هو إن «البرهان» فى الآيات الثلاث قد نسب إلى الله تعالى وأضيف إلى «الرب»، وهذا يعنى أن إقامة تلك البراهين هى من مقتضيات مقام الربوبية.

### ما معنى الرب؟

وقال الراغب الإصفهانى فى معنى «الرب»:

«الرب فى الأصل التربيه وهو إنشاء الشئ حالاً فحالاً إلى حدّ التمام. يقال:

ربّه وربّاه وربّيه... فالربّ مصدرٌ مستعارٌ للفاعل. ولا يقال: الربّ مطلقاً إلا لله تعالى المتكفّل بمصلحه الموجودات... والمتولّى لمصالح العباد»؛(١)

فعندما يقال: فلانٌ يربّى الطلاب، فهذا يعنى أنه يهتم بتربيتهم، بالإشراف عليهم ورعايتهم فى كلّ مراحل دراستهم حتّى يوصلهم إلى الكمال العلمى والأخلاقى.

ص: ١١٧

وعليه، فإنَّ الله سبحانه وتعالى، هو الموصل للموجودات إلى مرحلة الكمال، فإنَّ كلَّ موجود له نوعاً من الكمال يتناسب مع خلقته، لذا، فإنَّ الله تعالى هو ربُّ الموجودات جميعاً.

وبالالتفات إلى معنى «التخصيص» و«البرهان» وإن هذه الكلمه قد اضيفت إلى كلمه «الربِّ»، يتضح لنا معنى عباره «وَ خَصَّكُمْ بِبِرَّهَانِهِ».

فالمعنى المحصّل هو: أنَّ الله تعالى قد خصَّ أهل البيت عليهم السّلام بالحجّه المحكمه التي من خلالها يرَبِّي الموجودات القابله للرشاد - خاصّه الإنسان - ويوصلها إلى الكمال، وجعلهم المتولّين لمصالح هذه الموجودات، وتلك الحجّه هي البرهان.

فالأئمه عليهم السّلام هم وسيله كمال البشريّه وسائر الموجودات ورشدهم وتعاليمهم.

### «البرهان» مصداقاً

والآن، نريد أن نرى ما هو مصداق «البرهان» الذي خصَّ الله تعالى الأئمه عليهم السّلام به.

هل المقصود من البرهان شئٌ مُعَيَّن جعله الله في اختيارهم؟ أم أنَّ المقصود مطلق الحجّه المطابقه للواقع؟

وبعباره أخرى: هل إنَّ البرهان في هذه الجملة عَلِمَ لشئٍ معين؟ أم أنَّ المراد إنَّ الأئمه عليهم السّلام قد اختصّوا بإقامه الحجّه على العباد بالنحو الذي يقيمه البارى عزّوجلّ في كلِّ مورد؟

فإن كان المراد من البرهان، شئٌ خاص ومعين، فما هو ذلك الشئ؟

من المحتمل أن يكون القرآن المجيد، وإنَّ الله تعالى قد خصَّ الأئمَّة عليهم السَّلام بفهم كلامه الكريم، إذ يمكن التعبير عن القرآن الكريم بـ «البرهان» وأنه من الجائز تفسير كلمه «برهان» في قوله تعالى: «قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ» ١ على إنَّه القرآن الكريم، فإنَّ القرآن حجَّه صادقه مطابقه أبداً مع الواقع ولا تتخلف عنه، وإنَّه حجَّه وبرهانُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله على حقايتيه الإسلام ورسالته، كما إنَّه برهان الأئمَّة عليهم السَّلام على إمامتهم وولايتهم في قبال المخالفين والمنكرين.

### وما معنى هذا الإختصاص ؟

إنَّ هذا الإختصاص يعنى أنَّ كلَّ المعارف، الأسرار، الحقائق، الأحكام، وكلَّ الخصائص الكامنه في القرآن الكريم واللازمه لتربيته العباد وإيصالهم إلى الكمالات الحقيقيه، موجوده عند أهل البيت عليهم السَّلام دون سواهم من الخلق.

ويُحتمل أن يكون المراد من «البرهان» الإعجاز. وعليه يكون المعنى: إنَّ الله تعالى قد خصَّ الأئمَّة عليهم السَّلام بالمعجز اللازمه للتربيه البشريه وإقامه الحجَّه على الناس، لإيصالهم إلى الكمال، وإنَّ كلَّ واحده من معجزاتهم الخاصه، هي حجَّه على حقايتتهم ومصدِّقه لما يدعون إليه ومطابقه لما يأمر به. (١)

ص: ١١٩

ومن الواضح إنَّ المعجزه إنما يؤتى بها في مقام الدعوه للإيمان، والهدايه، ولغرض الإيصال إلى الكمال المطلوب، والردع عن الإنحراف، وللنجاه من الضلاله.

ومن هنا فإننا نقرأ في قصه النبي موسى عليه السلام، بأنَّ الله تعالى قال له:

«أَسِئِلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» ١

والاحتمال الآخر في المراد من «البرهان» أنه «الإسم الأعظم»، والذي اختصَّ به الأئمه عليهم السّلام، فصار سبباً لأفضليّتهم على جميع العالمين. فقد جاء في بعض الأدعيه

«وباسمك الذي جعلته عندهم وبه خصصتهم دون العالمين وبه أبتتهم وأبنت فضلهم من فضل العالمين، حتّى فاق فضلهم فضل العالمين جميعاً».

وعلى كلّ تقدير، فإنَّ هذه العبارة في الزياره الجامعه، من جمله الأدلّه على أفضليّته رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمه الأطهار عليهم السّلام، وتقدّمهم على كلّ العالمين.

**وَأَنْتَجِبُكُمْ لِنُورِهِ**

**إشاره**

لقد ذكرنا سابقاً، إنَّ الإنتجاب، الإبتخاب، الإختيار، والإصطفاء هي مفاهيم متقاربه جداً بعضها من البعض في المعنى، ولكنها ليست مترادفه. وقد جاء في اللسان في معنى الإنتجاب:

ص: ١٢٠

«والمنتجب: المختار من كل شيء، وقد انتجب فلان فلاناً، إذا استخلصه وإصطفاه إختياراً على غيره» (١).

فالأئمة عليهم السلام المختارون المستخلصون لنور الله عز وجل .

فعندما ينتخب الشخص من بين مجموعه أشخاص لعمل ما، فهذا يعني أن هذا الشخص متميز في هذا العمل عن الآخرين، وأن غيره فاقد لهذه الأهلية، ولكن اختيار الله الأئمة و انتخابهم من بين الخلائق إستخلاص لهم على العالمين.

وهذا المعنى نلحظه في قوله تعالى :

«قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ » ٢

فإبليس يُقسم بعزّه الله تعالى بأنه سيضلّ كلّ العباد باستثناء المخلصين، لأنّه يعلم جيّداً عجزه عن إغوائهم، لأن هؤلاء قد أخلصهم الله تعالى لنفسه.

و«الإنتجاب» مأخوذ من «نَجَب» بمعنى «الطهاره».

يقال: فلانٌ نجيب. أى: منزّه ومبرئٌ من العيوب والنقائص الموجوده في الآخرين.

وبناءً على نسخه «لنوره» يكون المعنى: إنّ الله تعالى قد اختار الأئمة عليهم السّلام لحمل نوره، إذ لم يكن لغيرهم من خلائقه القابليّه اللازمه لهذا الشأن العظيم.

ثم إنّ النور - وهو كما قالوا: الظاهر بنفسه والمظهر لغيره - منه مادّيّ ، وهو ما يستشعره الإنسان ببصره، ومنه معنويّ وهو المقصود هنا، ودرك هذا النور يحتاج إلى لبصيره، وهى غير متوفّره عند أغلب الناس.

ص: ١٢١



وكما سيأتينا فى شرح «خلقكم الله أنواراً»، فإن الأئمة عليهم السّلام أنوار، وكلّ حيثياتهم نورانيّة، ولذا، فإنّ كلّ تعاليمهم، نصائحتهم، أحكامهم، أفعالهم، تروكهم، أقوالهم، مصدرٌ للهدى ونور للنجاه.  
ومن ثمّ كان أصل وجودهم حجّة، وكان قولهم وفعالهم وتقريرهم حجّة.

## النور، مصداقاً

وبناءً على ما تقدم، فإن الأئمة عليهم السّلام، هم الحاملون لنور الله. ول «نور الله» عدّه مصاديق:  
فأحدها هو القرآن المجيد. فقد ورد فى الكتاب قوله تعالى :

«فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» ١

والمصداق الآخر هو شخص رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال تعالى :

«وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا» ٢

فإن السراج المنير فى هذه الآية هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. (١)

وقال تعالى:

«قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ» ٤

ص: ١٢٢

---

١- (٣) راجع: شرح الاخبار ٣ / ٤١٨؛ الامالى: الشيخ الطوسى: ٥٢٦؛ المناقب: ابن شهر آشوب ١ / ١٣١؛ بحار الأنوار ٧٤ / ٧٤؛ تفسير التبيان ٨ / ٣٤٩؛ تفسير مجمع البيان ٨ / ١٦٨؛ زاد المسير ٦ / ٢٠٦.

قال في مجمع البيان:

«قد جاءكم من الله نور. يعنى بالنور محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لِأَنَّهُ يَهْتَدَى بِهِ الْخَلْقُ كَمَا يَهْتَدُونَ بِالنُّورِ، عَنْ قَتَادَةَ وَاخْتَارَهُ الزَّجَّاجُ»<sup>(١)</sup>.

وجاء في كتاب معانى القرآن:

«قد جاءكم من الله نور» قيل: نور يعنى به النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ تَمَثِيلٌ، لِأَنَّ النُّورَ هُوَ الَّذِى تَتَبَيَّنُ بِهِ الْأَشْيَاءُ<sup>(٢)</sup>.

هَذَا، وَمِنْ مَصَادِيقِ «النُّورِ»، الْعِلْمُ. فَفِي الرَّوَايَةِ:

«الْعِلْمُ نَوْراً يَقْذِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ»<sup>(٣)</sup>.

وسنقرأ فى الزياره الجامعه:

«كَلَامُكُمْ نُورٌ».

### بين القرآن والعترة

فهل إنَّ كلام الأئمة عليهم السلام غير كلام الله الذى هو القرآن؟

وهل أنَّ الأئمة عليهم السلام هم غير القرآن؟

مقتضى الأدلَّة عقلاً- وكتاباً وسنَّةً وخاصَّه ما ورد فى كتب المخالفين أنَّ الأئمة عليهم السلام هم القرآن، وأنَّ القرآن هو أهل البيت عليهم السلام.

أمَّا ما جاء فى الحديث المتواتر من أنَّ النبى الأكرم محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال:

ص: ١٢٣

١- (١) تفسير مجمع البيان ٣ / ٣٠١.

٢- (٢) تفسير معانى القرآن ٢ / ٢٨٤، الحديث ٥٢.

٣- (٣) مستدرک سفینه البحار ٨ / ٣٠٥؛ المسترشد: ٩؛ مصباح الشریعه: ١٦.

«على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان».(١)

وأما حديث الثقلين المعروف، والذي يقول فيه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله:

«كتاب الله وعترتي أهل بيتي».(٢)

فظاهرهما القرآن بين الأئمة عليهم السلام والقرآن الكريم وأن كلاً منهما عدلٌ للآخر...

ولكن المطلب أعمق من هذا، فالأئمة عليهم السلام هم القرآن الناطق وإنَّ كتاب الله هو القرآن الصادق. فقد ورد في حديث لأمير المؤمنين على عليه السلام، يقول فيه:

«هذا كتاب الله الصادق وأنا كتاب الله الناطق».(٣)

وما تقتضيه آية المباهلة هو أن أمير المؤمنين عليه السلام واجد لكلِّ کمالات رسول الله صَلَّى الله عليه وآله - ما خلا النبوة - وأنه نفسه من كلِّ الجهات.

وقال نظام الدين النيشابورى فى تفسيره، ذیل الآیه المبارکه:

«وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ» ٤

وكيف تكفرون: إستفهام بطريق الإنكار و التعجب، والمعنى: من أين يتطرق

ص: ١٢٤

١- (١) راجع ١ / ٤١١ من هذا الكتاب.

٢- (٢) هذا حديث الثقلين المتواتر الذى ذكرناه مراراً.

٣- (٣) بحار الأنوار ٨٩ / ٤٩، الحديث ٨ نقلاً عن تفسير القمى ٢ / ٦٢٠؛ العمدة: ٣٣٠؛ وسائل الشيعة ٢٧ / ٣٤، باب ٥ من أبواب صفات القاضي، الحديث ١٢؛ تاريخ الطبرى ٥ / ٦٦؛ تذكره الخواص: ٩٦.

إليكم الكفر، والحال أن آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غُضِّه فِي كُلِّ وَقَعِهِ، وَبَيْنَ أَظْهَرِكُمْ رَسُولَ بَيْنَ لَكُمْ كُلِّ شَبِيهِهِ وَيُزِيحُ عَنْكُمْ كُلَّ عِلْمِهِ....

قلت: أمّا الكتاب، فإنّه باق على وجه الدهر، وأمّا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللهِ فِي الظاهر، ولكنّ نور سرّه باق بين المؤمنين فكأنّه باق، على أنّ عترته عليهم السّلام ورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر أيضاً، ولذا قال: «إني تارك فيكم الثقلين»<sup>(١)</sup>

وهل الأئمة عليهم السّلام إلّا العلم؟

إنّ حياتهم كلّها وكلّ ما سَمِعَ وشوهد منهم عليهم السّلام، هو علمٌ ونورٌ، ولا مجال للظلمة والجهل في سيرتهم؛ فهمّ، العلم والنور.

ولذا نقرأ في زيّاره صاحب الزمان عليه السّلام والمعروفه بزيّاره آل يس:

«السّلامُ عليك أيّها العَلَمُ المنصوبُ والعِلْمُ المصنوبُ»<sup>(٢)</sup>.

فالحاصل، إنّ الأئمة عليهم السّلام نورٌ، وبهم يهتدى إلى الله، وكلّ مصاديق النور المضافه إلى الله تعالى، متوفّره فيهم؛ وهذا إنّما كان بانتخاب الله وإرادته، وليس في هذا الاعتقاد أيّ شائبه للغلو.

وأما بناءً على قراءه «وإنتجكم بنوره»، فالظاهر أنّ «الباء» سببيّه، وأنّ المراد من «النور» هو «العلم»، فيكون الباري عزّوجلّ وبسبب علمه بالذوات المقدسه، إنتجب الأئمة عليهم السّلام وإنتخبهم وخصّهم لنفسه

ص: ١٢٥

١- (١) غرائب القرآن ١ / ٣٤٧.

٢- (٢) الاحتجاج ٢ / ٣١٦؛ بحار الأنوار ٥٣ / ١٧١.

والتأييد فى اللغة، مأخوذ من مادّه «أيد» بمعنى القوّه الشديده.

يقول الراغب الإصفهانى:

«أيد: قال الله عزوجلّ: «أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدْسِ» ١ فعلت من الأيد أى القوّه الشديده. وقال تعالى: «وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ» ٢  
أى: يكثر تأييده» (١)

هذا، وقد استعمل هذا المصطلح فى عدّه مرّات فى القرآن الكريم. منها قوله تعالى:

«وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ»

وفى آيه أخرى، يقول عزوجلّ:

«هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ» ٤

ويقول فى آيه ثالثة:

«فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ» ٥

ففى هذه الآيه تصريح بأنّ الله تعالى يؤيد المؤمنين بقوه شديده تجعلهم يفوزون بالنصر والغلبه والظهور على أعدائهم. وبطبيعته الحال، فإنّ للغلبه مصاديق مختلفه بحسب اختلاف الميادين.

ص: ١٢٦

فأغلبه في ميدان الحرب والقتال تحصل بالقوّة البدنيّة وباستخدام الأسلحة، وأغلبه في ميدان الحوار والمناظرة والجدل، تتحقق بالقدره العلميّه.

وكذلك تختلف كيفيّات التأييد الإلهي بحسب الموارد والحالات.

فتاره نجد أن الله تعالى يؤيد بالوسائط الظاهريّه والقوّة القتاليه الشديده، لتحصيل الغلبه. ومنه قوله تعالى :

«هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ» ١

ففي هذه الآيه، عطف كلمه «بالمؤمنين» على «بنصره» و«الباء» في الكلمتين، سببيه. يقول الراغب الإصفهاني:

«النصر والنصره: العون».(١)

ولكن ورد في الدعاء لإمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف:

«وَ أَيْدُهُ بِالنَّصْرِ»

ويبدو أن المقصود هنا، الإمداد الغيبي بالملائكه وغيرها.

### أنحاء التأييد الإلهي

وعلى كل تقدير، فإنّ الله عزوجل قد أيد رسوله الكريم محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم وأمدّه بالقوّة ليحصل على الغلبه والنصر.

وأما كلمه «بالمؤمنين» إلى جنب كلمه «بنصره»، فهي إشارة إلى دور المؤمنين في هذه الغلبه والظهور، ولأنّ «الباء» سببيه كما قرّرناه، فسيكون المعنى: إنّ الله

ص: ١٢٧

تعالى نصر نبيّه بسبب المؤمنين والمراد - بحسب الأحاديث الواردة في تفسير الآيه - هو خصوص الإمام على عليه الصّلاه و السلام.

فيمكن إذن، الاستدلال بهذه الآيه الشريفه على بطلان قول من يزعمون إنّ الإستعانه بغير الله شرك، لأنها ظاهره في إستعانه الرسول بالخلق لتحصيل الغلبه وإنتصار الإسلام على أعدائه.

وخلصه الكلام هي: إنّ التأييد تاره: يكون بالوسائل الظاهريّه، وأخرى:

بالوسائل الغيبية. يقول عزّوجلّ في الكتاب الكريم:

«فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا»؛ ١

ففي هذه الآيه، كان التأييد الإلهي غيبياً، أي بقوى غير مرئيّه، وهي الملائكه، كما جاء في التفسير (١) وكذلك الكلام في الآيات الكريمه التي تتحدث عن وقعه بدل الكبرى وحرب حنين، حيث ورد التصريح فيها بنزول الملائكه لنصره رسول الله صلى الله عليه وآله (٢).

ولكن، ورد في غير موضع من القرآن الكريم، التأييد الغيبي بخصوص « الروح»، وإنّ الله تعالى نصر نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله والمسلمين بواسطه الروح حتّى غلبوا على عدوّهم غير أنّ التعبير يختلف:

ففي مورد منها قال تعالى :

«أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ»؛ ٤

ص: ١٢٨

---

١- (٢) راجع: الكافي ٨ / ٣٧٨، الحديث ٥٧١.

٢- (٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٠٧؛ المسترشد: ٤٣٦.

وفى موضع آخر يقول تعالى :

«أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»؛ ١

فكان روح القدس، وسيله التأييد لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْغَلْبَةِ.

كما كان روح القدس ينزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأُمُورٍ تَعَلَّقَ بِالرِّسَالَةِ.

يقول تعالى :

«قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا»؛ ٢

وهذا فى واقع الأمر، مقامٌ خاصٌّ ، فإنه إن اريد بروح القدس أحد الملائكة - كما هو الظاهر - فلا بد أن يكون لهذا الملك شأن خاص وموقع متميز فى طاقم الإدارة الربويّة.

ونقرأ فى آيه أخرى قوله تعالى :

«نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ»؛ ٣

فهل هو ملكٌ واحد يوصف تاره بالقدس وأخرى بالأمين ؟

إنّ هذا الأمر يحتاج إلى تحقيق أوسع.

وفى كتاب «بصائر الدرجات»، بابان عُقِدَا فى هذا الشأن، جاء فيهما بعض الأحاديث الواردة فى هذا المعنى. ومن ذلك ما رواه عن جابر قال:

سألت الإمام الباقر عليه السلام عن «العلم» فقال:

«يا جابر، إنّ فى الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح



الإيمان وروح الحياه وروح قدره وروح الشهوه. فروح القدس - يا جابر - عَلَّمنا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى...»(١)

وظاهر هذه الروايه هو إنَّ «روح القدس» إسم روحٍ من أرواح الأنبياء أو الأوصياء.

وفى روايه أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إنَّ الأوصياء محدِّثون، يحدِّثهم روح القدس ولا يرونه، وكان على عليه السَّلام يعرض على روح القدس ما يُسئل عنه، فيوجس فى نفسه أن قد أصبت بالجواب فيخبر، فيكون كما قال»(٢).

وروى سماعه بن مهران قال: سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«إن الروح خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يسدده ويرشده، وهو مع الأئمه والأوصياء من بعده»(٣)

وظاهر هذه الروايات هو أنَّ «روح القدس» من جنس الملائكه، وأنَّ له مقاماً خاصاً ومتميزاً.

ومن جهه أخرى، يقول تعالى فى القرآن الكريم:

«تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ» ٤

والظاهر أنه من عطف الخاصِّ على العام.

ص: ١٣٠

---

١- (١) بصائر الدرجات: ٤٦٧، الحديث ٤، باب ما جعل الله فى الأنبياء والأوصياء والمؤمنين وسائر الناس من الأرواح...؛ بحار الأنوار ٢٥ / ٥٥، الحديث ١٥. جاء فى هذا المصدر بدلاً من كلمه «علَّمناه»، كلمه «عرفوا».

٢- (٢) بصائر الدرجات: ٤٧٣، الحديث ٩، باب فى الأئمه عليهم السَّلام إنَّ روح القدس يتلقَّاهم إذا احتاجوا إليه ؛ بحار الأنوار ٢٥ / ٥٧، الحديث ٢٤.

٣- (٣) بصائر الدرجات: ٤٧٦، الحديث ٤ و ٥؛ بحار الأنوار ١٨ / ٢٦٧، الحديث ٢٥ و ٢٨ / ٦٠، الحديث ٣١.

ولكن، جاء في القرآن الكريم ما يتضمّن إضافه «الروح» إلى الله تعالى ، وهذه الإضافه تاره تكون مع واسطه مثل قوله:

«أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ» ١

وتاره تكون الإضافه مباشره إلى الله تعالى ، مثل قوله تعالى :

«فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا» ٢

وحينئذ، لابدّ من التحقيق في إنّ «الروح» في هاتين الآيتين واحده أم متعدده؟ وهل إنّها نفس «روح القدس» أم لا؟

هذا، وفي الزياره الجامعه «وأيّدكم بروحه» لا «أيّدكم بروح منه» ولا «أيّدكم بروح القدس» أو «الروح الأمين».

فهذه التعبيرات القرآنيه المباركه، تحتاج إلى بحث وتحقيق أكثر في الموضع المناسب لذلك، وهل إنّ إضافه «الروح» إلى الله تعالى أو إلى الضمير، تؤثر في المعنى وتجعله مختلفاً أم لا؟

والقدر المسلم هو إنّ الأئمه عليهم السّلام مؤيّدون بذلك الملك العظيم المقرب، وقد صرّحت الروايات بهذا المعنى، كما جاء في كتاب بصائر الدرجات وكتاب أصول الكافي (١).

وقد ورد في نهج البلاغه أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال في وصفه لرسول الله صلّى الله عليه وآله:

ص: ١٣١

«ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرنى بالإقتداء به»<sup>(١)</sup>.

وبتعبير آخر، فإن إدارة شؤون رسول الله صلى الله عليه وآله ومنذ بدايه حياته كانت بيد هذا الملك، الذى هو من أعظم الملائكه، وهذا لا ينافى إختياريه رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن حركاته وسكناته وأفعاله وأقواله الإختياريه كانت بتسديد هذا الملك.

مضافاً إلى ما جاء فى الكافى فى ذيل قوله تعالى :

«وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ»<sup>٢</sup> : من قوله عليه السلام:

«خلق من خلق الله عزوجل ، أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمه من بعده»<sup>(٢)</sup>.

فهذه الروايه صريحه فى أن ذلك الملك الموكل بحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وتسديده، هو نفسه الموكل بحفظ الأئمه عليهم السلام من بعده، وتسديدهم.

وهذا المقام - وهو وجود روح القدس مع الأئمه المؤيد والمسدد لهم - لم يحصل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا للأئمه أهل البيت الطاهرين عليهم السلام.

وسياتى إن شاء الله تفصيل الكلام فى هذا الشأن عندما نبحث فى الولاية وأقسامها.

ص: ١٣٢

١- (١) نهج البلاغه ٢ / ١٥٧ (فى ضمن خطبه القاصعه)؛ بحار الأنوار ١٤ / ٤٧٥. جاء فيه: «علمناه من أخلاقه».

٢- (٣) الكافى ١ / ٢٧٣، الحديث ١؛ بحار الأنوار ١٨ / ٢٦٤، الحديث ٢٢.

لو تأملنا قليلاً في هذه العبارة وتعمّقنا بها، فسنجد أنّها تتضمّن مطالب كثيره.

إنّ الخلافة تعنى النيايه والقائم مقاميه، والإستخلاف إنما يكون لملأ الفراغ الحاصل من غياب المستخلف، بالمستخلف.

يقول الراغب الإصفهاني في معنى «الخليفه» لَعَهَّ :

«والخلافه: النيايه عن الغير إمّا لغيبه المنوب عنه وإمّا لموته وإمّا لعجزه وإمّا لتشريف المستخلف...» (١).

### الخلافة في القرآن واللغه

إنه لما خلق الله تعالى سيدنا آدم عليه السلام وأراد أن يسكنه الأرض بدلاً عن الجنّ - فقد قيل إنّ الجنّ كانوا يعيشون على وجه الأرض - عبّر عن هذا المخلوق الجديد ب«الخليفه».

يقول القرآن الكريم في هذا الشأن:

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» ٢

ولما أغرق الله تعالى قوم نوح في الطوفان، وحُلِيَتْ الأرض من البشر، وصف الذين جاءوا بعد قوم نوح ب«الخلفاء».

ص: ١٣٣

يقول تعالى :

«وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» ١

أى: لقد حصل فراغ فى الأرض بعد قوم نوح، فجتتم أنتم لملء الفراغ، ونحن قادرون عليكم كما قدرنا على قوم نوح.

وفى آيه أخرى - وفى معرض بيان أحوال قوم عاد وكيف إنَّ الله تعالى أهلكتهم جميعاً ولم تبق لهم باقيه - عبّر تعالى عمّن جاء بعدهم بالخلفاء، وأنذرهم عاقبه أمرهم، فقال عزّوجلّ :

«وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ» ٢

وكذا قوله تعالى فى قصّه فرعون:

«وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» ٣

فعبّر القرآن الكريم فى هذه الموارد عن الناس الذين جاءوا بعد أقوامٍ إنقرضوا، بالخلفاء والخلائف.

هذا هو المعنى اللغوى للخليفه.

وفى هذه الموارد لايسجل للخلفاء مدح ولا ذم.

### معنى خلافة الله

وأماً فى: «ورضيتكم خلفاء فى أرضه» فمن الواضح وجود الفضيله بل الأفضليته، بل هو مقام لا بدانيه مقام، إنّه خلافة الله فى أرضه.

ص: ١٣٤

ولابدّ لفهم هذه العبارة من بيان حقيقه الخلافه بصوره عامه، وذلك: إنه يعتبر في خلافه شخصٍ عن آخر، أى قيامه مقامه بعد تعيينهما من ثلاثه امور:

الأول: الدليل عليها من قبل المستخلف.

والثانى: وجود المناسبه بين الخليفه والمستخلف.

والثالث: العلم بجهه الخلافه وحدودها.

فقول: إن الله تعالى جامع لجميع الكمالات، ولذا فإن الأئمه عليهم السلام لابد أن يكونوا واجدين لكل صفات الكمال الإلهي وبحدّ عالم الإمكان.

كما إن هذا الإستخلاف، إنما كان بإرادته وجعل إلهي، والأدله على ذلك لا تحصى .

وأما جهتها وحدودها، فهي أن الأئمه عليهم السلام يقومون بالأفعال الإلهيه فى العالم، بحدود الإمكان؛ وهذا مقام عظيم أُعطي للأئمه عليهم السلام من قبل الله تعالى .

وواضح أن هذا المقام لم يصل إلى الفعلية بنحو كامل فى هذا العالم، فإن الأعداء منعوا بسط يد الأئمه وحالوا دون نفوذ كلمه خلفاء الرسول على ما أراه الله تعالى ، ولكنّ الوعد الإلهي بفعلية هذا الإستخلاف سيتحقق فى زمن الإمام المهدي عليه السلام إن شاء الله، وإليه يشير قوله تعالى :

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...» ١

ولمعرفة التفاصيل راجعوا وتأملوا الروايات التي أوردها الكليني في الكافي تحت عنوان: «باب أن الأئمة خلفاء الله»<sup>(١)</sup>

ولم يصل هذا الإستخلاف إلى حدِّ الفعلية عند الأنبياء إلّا في زمن النبي داود عليه السّلام. قال تعالى :

«يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ» ٢

وبالتأمل في الآية يظهر لنا أن هذه الخلافة الممنوحة لداود عليه السّلام:

١ - كانت من قِبَل الله تعالى بجعلٍ منه.

٢ - إنّها خلافة الله.

٣ - إنّها مطلقة وغير مقيدة بوجه خاصّه وحيثه معيّنه.

٤ - بعد أن تقررت الخلافة، فُرِعَ عليها:

«فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ»

وبحثنا في هذه المرحلة، هو في ثبوت أصل هذا المقام للأئمة عليهم الصّلاه والسّلام.

إنّ خلافة الأئمة عليهم السّلام هي بجعل الله تعالى لا غيره. وحتى رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن له دور في خلافتهم، سوى التبليغ إلى الأئمة وإنما هو تنصيب وجعل إلهي.

وهنا لابدّ من بيان مطلبين:

الأول: ليس من حقّ الناس التدخّل في تعيين الخليفة ونصبه.

ص: ١٣٦

---

١- (١) الكافي ١ / ١٩٣ و ١٩٤، الحديث ١ و ٢ و ٣.

الثانى: قد ورد فى بعض الكتب إنَّ الخلافه صارت موروثه وإن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قد جعلها فى أولاده !!!

كلّا، إنَّ القضيّه ليست بيد النبي الأكرم صَلَّى الله عليه وآله وسلم.

ومن جهه أخرى، فإنَّ الخلافه خلافه الله عزّوجلّ والتي هى بمعنى القائم مقاميه؛ فالأئمه عليهم السّلام هم خلفاء الله تعالى بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم.

فالله عزّوجلّ ليس جسماً، ولا - سنخيه بين الذات الإلهيه المقدسه ومخلوقاته على الإطلاق؛ فلا يمكن أن يحكمهم جلّ وعلا بشكل مباشر، ولذا، فإنّه قال لداود: «إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ».

وفى مباحثنا الكلاميه، إستفدنا من هذه الآيه بأنَّ الخلافه غير الحكومه - وأنّ من الخطأ أن يتصوّر البعض بأنَّ الخلافه والحكومه مترادفان !! لأنّ الحكومه إنّما هى شأن من شئون الخلافه، فقد يكون الخليفه بلا حكمه، وقد يسجن الخليفه لسنوات عديده، وقد يغيب عن أعين الناس قروناً.

فالحكومه الحقّه فى الأرض، هى للخليفه الحقّ، المنصوب من قبل الله تعالى لهدايه الخلق.

وبعباره أخرى، لو كان الله تعالى جسماً - تعالى الله عن ذلك - وأراد أن يحكم فى الأرض عملياً، لفعل ذلك. ولكنّ، لأنّه ليس بجسم، ولأنّ الأرض بحاجة إلى حاكم يحكمها، جعل هذا المقام على عهده أشخاص توفّرت فيهم الأهليه للإستخلاف الإلهي، ليقوموا بالأمر نيابه عنه تعالى .

وهذا المعنى أو ما يقاربه جاء فى إحدى فقرات إستئذان دخول المشاهد



الطَّاهِرِهِ وَالْعَتَبَاتِ الْمُقَدَّسَةِ، فَسَوَاءَ كَانَ هَذَا الْمَتْنُ مُعْتَبَرًا مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ أَمْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الدَّلَائِلَ عَلَى حَقِّيَّتِهِ مُضْمُونَةٌ كَثِيرَةٌ، فَقَدْ جَاءَ فِيهِ:

«اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ بَقْعَةٌ طَهَّرْتَهَا وَعَقَوْتُ شَرَفْتَهَا وَمَعَالِمُ زَكَّيْتَهَا، حَيْثُ أَظْهَرْتَ فِيهَا أَدْلَةَ التَّوْحِيدِ وَأَشْبَاحَ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ الْمَذِينِ إِصْطِفِيَّتِهِمْ مَلُوكًا لِحِفْظِ النَّظَامِ وَاخْتَرْتَهُمْ رُؤَسَاءَ لِجَمِيعِ الْأَنْامِ، وَبَعَثْتَهُمْ لِقِيَامِ الْقِسْطِ فِي إِبْتِدَاءِ الْوُجُودِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِاسْتِنَابِهِ أَنْبِيَائِكَ لِحِفْظِ شَرَائِعِكَ وَأَحْكَامِكَ، فَأَكْمَلْتَ بِاسْتِخْلَافِهِمْ رِسَالَةَ الْمُنْذِرِينَ كَمَا أُوجِبَتْ رِيَاسَتُهُمْ فِي فِطْرِ الْمَكْلُوفِينَ، فَسُبْحَانَكَ مِنْ إِلَهٍ مَا أَرَأَيْتُكَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مِنْ مَلِكٍ مَا أَعْدَلُكَ»

فَالْمُرَادُ مِنْ «أَشْبَاحِ» الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، هُوَ الْأَتْمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَالْمُرَادُ مِنَ «الْمَلُوكِ» هُوَ الْحُكَّامُ الْمَعْتَبُونَ بِحِفْظِ النَّظَامِ. فَهَذَا هُوَ مُقْتَضَى الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ، فَإِنَّهُ لَمَّا تَعَالَى عَزَّوَجَلَّ عَنِ الْجَسْمِيَّةِ وَاسْتَحَالَ تَصَدِّيهِ بِنَفْسِهِ لِلْحُكْمِ، لَزِمَ أَنْ يَجْعَلَ أَحَدًا يَكُونُ خَلِيفَةً لَهُ لِيَقُومَ بِذَلِكَ.

وَنَقْرَأُ فِي إِدَامَةِ الْاسْتِثْنَانِ:

«حَيْثُ طَابَقَ صِيغَةُ صِيغَتِكَ مَا فَطَرْتَ عَلَيْهِ الْعُقُولَ وَوَافَقَ حُكْمُكَ مَا قَرَّرْتَهُ فِي الْمَعْقُولِ وَالْمُنْقُولِ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى تَقْدِيرِكَ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى قَضَائِكَ الْمَعْلَلِ بِأَكْمَلِ التَّعْلِيلِ. فَسُبْحَانَكَ مَنْ لَا يَسْتَلُّ عَنْ فَعْلِهِ وَلَا يَنَازِعُ فِي أَمْرِهِ، وَسُبْحَانَكَ مَنْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ قَبْلَ ابْتِدَاءِ خَلْقِهِ»

وَكَلَّ هَذِهِ الْمَعَانِي ثَابِتَهُ بِالْبُرْهَانِ.

ثُمَّ نَقْرَأُ بَعْدَ ذَلِكَ:

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِحُكْمٍ يَقُومُونَ مَقَامَهُ لَوْ كَانَ حَاضِرًا فِي الْمَكَانِ»

فلو كان الله تعالى جسماً، فماذا كان يفعل ؟

كان سيجلس على عرش الحكم والرئاسه ويُديرُ أمور العباد والموجودات والمخلوقات بنفسه مباشرة ؛ ولما كان هذا مستحيلاً، لأنه تعالى عن الجسميّه، كان لا بدّ من تنصيب أحدٍ في مقامه.

ثم نقرأ بعد ذلك:

«ولا إله إلاّ الله الذي شَرَّفنا بأوصياءٍ يحفظون الشرايع في كلِّ الأزمان، والله أكبر الذي أظهرهم لنا بمعجزاتٍ يعجز عنها الثقلان، ولا حول ولا قوّه إلاّ بالله العليّ العظيم الذي أجرانا على عوائده الجميله في الأمم السالفين.

اللهم فلك الحمد والثناء العلي كما وجب لوجهك البقاء السرمدي وكما جعلت نبينا خير النبيين وملوكنا أفضل المخلوقين وإخترتهم على علم على العالمين، وقفنا للسعي إلى أبوابهم العامره إلى يوم الدين، وإجعل أرواحنا تحنُّ إلى موطنٍ أقدمهم ونفوسنا تهوى النَّظر إلى مجالسهم وعرصاتهم حتّى كأننا نخاطبهم في حضور أشخاصهم.

فصلّى الله عليهم من سادّه غائبين ومن سلاله طاهرين ومن أئمّه معصومين.

اللهم فأذن لي بدخول هذه العرصات التي إستعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسموات، وأرسل دموعنا بخشوع المهابه ودلّل جوارحنا بدلّ العبوديّه وفرض الطاعه، حتّى نقرّ بما يجب لهم من الأوصاف ونعترف بأنهم شفعاء الخلائق إذا نصب الموازين في يوم الأعراف، والحمد لله وسلامٌ على عباده الذين إصطفى محمّد وآله الطاهرين»(1)

ص: ١٣٩

ثمَّ ما معنى كلمه الرضا؟

الرضا: ضدُّ السَّخَطِ، (١) كما أنَّ الرِّحْمَةَ ضدُّ الغَضَبِ.

فاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ قد رَضِيَ بأنَّ يكون الأئمَّة الأطهار عليهم السَّلَام خلفاءه في الأرض. أى: إنَّه تعالى إختارهم لهذه المهمَّة، ولا يوجد أى درجه من السَّخَطِ عليهم وعلى مقامهم، ولن يوجد.

وبعبارة أخرى، إنَّ الله تعالى كان قد رَضِيَ من بدايه الأمر على استخلاف الأئمَّة على الأرض، ولم يكن فى هذا الأمر أى سَخَط، ولم يصدر عنهم ما يوجب السَّخَط بتاتاً.

ويلزم القول هنا، إنَّ الإرتضاء هو الإختيار، بفارق واحد بين الكلمتين، وهو: إنَّ الإرتضاء هو إختيار مقترن بعدم السَّخَط مطلقاً، أى لم يصدر من المختار - بمعنى إسم المفعول - ما يوجب سَخَط المختار - بمعنى اسم الفاعل - أبداً.

ومن هنا يقول الراغب الإصفهاني فى كتابه المفردات فى غريب القرآن:

«رضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره ومنتهاياً عن نهيه» (٢)

فالعبد المرتضى هو العبد الذى توافق حركاته وسكناته، أقواله وأفعاله، إرتكابه واجتنابه وكلُّ شؤونه، رضا المولى، فلا يأتى بما يوجب سَخَطه.

ص: ١٤٠

١- (١) معجم مقاييس اللغة ٢ / ٤٠٢؛ لسان العرب ١٤ / ٣٢٣؛ تاج العروس ١٠ / ١٥١.

٢- (٢) المفردات فى غريب القرآن: ١٩٧؛ تاج العروس ١٠ / ١٥١.

وإنَّ مفهوم «الحُجْبَة» فى اللُّغَة - خاصَّه لُغَة القُرْآن الكَرِيم - دَقِيقٌ وَظَرِيفٌ. قال الراغب الإصفهاني:

«والحُجْبَة: الدلالة المبيّنه للمحجّه، أى المقصد المستقيم والذى يقتضى صحه أحد النقيضين». (١)

إذن، فالحُجْبَة هى الدلالة على الطريق المستقيم بنحو واضح وبلا شبهه، فعلاً أو تركاً.

وقد وردت هذه الكلمه مراراً فى القرآن الكريم. يقول تعالى :

«قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجْبَةُ الْبَالِغَةُ» ٢

وفى آيه أخرى:

«لَيْتَ لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجْبَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» ٣

فألله سبحانه وتعالى جعل الأئمة عليهم السلام دليلاً قاطعاً، ورضيهم أن يبينوا الطريق المستقيم نحوه بعد رُسُلِهِ.

### معنى البريئة

وقال الراغب الإصفهاني فى مصطلح البريئة:

ص: ١٤١

ومن الواضح، إنَّ مطلق الخلق ليس هو المراد من هذه الكلمة، وإنَّما الخلق الذى يحتج عليه والمحتاج إلى الحجَّة.

و«البرِّيَّة» يمكن أن تتصف بالفضائل، كما يمكن اتصافها بالردائل.

يقول تعالى :

«أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» ٢

وفى آية أخرى يقول عزَّوجلَّ :

«أُولَئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ» ٣

فهذه الكلمة - إذن - مطلقه من جهة، ومقیده من جهة أخرى.

وعليه، فإنَّ الله تعالى إختار الأئمة عليهم السَّلام وجعلهم حججاً بينه وبين خلقه، صالحهم وغير صالحهم، ليهتدى بهم من يحتاج إلى دليل للهداية، ولتتميم الحجَّة على الجميع.

إنَّ الله تعالى خلق الخلاق، وهذا الخلق لم يكن عبثاً - حاشا لله - وإنَّما كان لهدف وغاية، وهى الكمال الذى ينبغى على كلِّ أفراد البشر طيَّ طريقه للوصول إلى الغاية.

وهذا الطريق الذى ينبغى على الجميع سلوكه، هو الذى عُجِّبَ عنه ب «الصراط المستقيم». فعلى الإنسان أن يخطو الخطوات اللآزمة فى هذا الطريق ليصل إلى المقصد، ولا شك فى حاجة الإنسان إلى دليل ومرشد فى سيره هذا، وذلك:

ص: ١٤٢

أولاً: لكي لا يشته في تعيين الطريق.

ثانياً: حتى على فرض عدم إنحرافه عن الطريق المستقيم، لكنه قد يواجه بعض العقبات والمعوقات في طيه لهذا الطريق، فيحتاج إلى الإرشاد للنجاه.

فإنسان - إذن - يحتاج إلى الدليل في أصل حركته وسيره وبدايه مسيره، كما ويحتاج إلى هذا الدليل في استمراره الحركة. وبعباره أخرى، إن هذه الحركة تحتاج إلى الدليل والمرشد، حدوثاً وبقاءً.

ومن هنا، قرأنا في الفقرات السابقة «والأدلاء على مرضاه الله».

والأئمة المعصومون عليهم السلام هم الهداه إلى صراط الله، في أصل سير العباد وفي دوام حركتهم، الصراط الذي ينتهي إلى الكمال والقرب الإلهي والرضوان الأكبر، فلقد إختارهم الله وجعلهم أدلاء ولم يخر غيرهم من بين العالمين، وإرتضى دلالتهم للبريه ولم يرض بغيرهم لأن يكون دليلاً إليه، فليس لنا أن نتخذ غيرهم أدلاء على الطريق الموصل إلى الله، لأن الأمر ليس بيد أحدٍ سواه، ولأن هذا الطريق هو الطريق إلى الله، والله تعالى هو الذي يعين الدليل لطريقه.

### الكمال المطلوب

وأيضاً، فإنه لا ينال القرب من الله وتحصيل رضاه إلا أهل الكمال، ولا يتحقق الكمال الذي هو الغرض من الخلقه إلا لمن بلغ الكمال في جميع أبعاد وجوده، لأن الكمال في بُعدٍ دون بُعدٍ ليس بالكمال المطلوب المحقق للغرض المذكور، والإنسان ذو أبعادٍ ثلاثة كما ذكرنا غير مرّه:

البعد الفكري العقيدى، فإن على الإنسان أن يبلغ الكمال في هذا البعد،

بأن يفكر بشكل صحيح، وأن يتمسك بالمعتقدات الصحيحة الخالية من الإنحراف، وأن يكون راسخاً في اصول الدين، فإن أحد أبعاد وجود الإنسان، بل أهمها هو العقيدة.

والبعد الآخر هو الكمال في الأعمال. والإنسان إنما يصل إلى الكمال العملي فيما لو تعبد بأحكام المولى بنحو كامل، بأن يكون عبداً صالحاً، يطيع مولاه فيما يأمر به وينهاه عنه، بل يكون منقاداً لسيده في كل الأفعال والتروك، انقياداً تاماً.

وهذا هو الكمال فيما يتعلق بالجوارح.

والبعد الثالث في الكمال، هو البعد النفساني، بأن يهدب نفسه من الصفات القبيحة ويتحلّى بالأخلاق والآداب الجميله الحسنه عند العقل والشرع.

فقد لا يكون الإنسان من حيث البعد العقائدي، والفكري، منحرفاً، فتفكيره ومعتقده صحيحان، وكذا من حيث البعد العملي يكون ملتزماً بالإمتثال لكل الأوامر والنواهي، بل وحتى المكروهات والمستحبات، ولكنه لم يصل إلى الكمال النفساني الأخلاقي، كأن يكون بخيلاً أو حسوداً، أو متكبراً، فهو غير مترين بالصفات الحسنه، وغير منزّه عن الصفات السيئه، فمثل هذا الكمال، كمال ناقص، وليس هو الهدف من الخلقه.

فالإنسان، إنما يكون كاملاً فيما لو وصل إلى الكمال بجميع جهاته، ولذا، فإن على الإنسان تهذيب وتركيبه نفسه، وتنزيهاها عن الصفات القبيحه، وتزيينها بالصفات الحسنه، ويصح عقيدته على أساس النقل والعقل ويكون مطيعاً لمولاه إطاعه مطلقه.

وبناءً على ذلك، فإن من سعى وجاهد فكرياً وعملياً ونفسانياً ووصل إلى الكمال من كل الجهات، صار إنساناً كاملاً.

فإذا عرفنا الغرض من الخلقه وعظمتها وما يحقق الغرض وأهميته، فلا بد أن نعلم أن الهدف له منهج معين وطريق خاص، والحركة في هذا الطريق تحتاج إلى أدلاء ومرشدين، ولا بد أن يكون هؤلاء الأدلاء في أعلى مراتب الكمال، لأن: «فاقد الشيء لا يعطيه».

وهذا الدليل، في كل زمان، هو الإمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وليست لغيرهم مثل هذه الصلاحيه والمكانه.

إذن، فنحن في الجبهه الاعتقاديّه، نحتاج إلى دليل، وعلينا أن نأخذ عقائدنا من الأئمة عليهم السّلام. وفي البعد العملي والعبادي والأخلاقي، لا بد أن نتلمذ في مدرسه أهل البيت عليهم السّلام، وأن نعي كلماتهم وإرشاداتهم، وننفى الصّيفات الرذيله عن أنفسنا، ونحلّيها بالصفات الحسنه، حتّى نصل إلى الكمال الذي هو غايه الخلقه وهدفها.

فاللّه سبحانه وتعالى إختار الأئمة عليهم السّلام برضاه، وأقرّهم أدلاء للناس على صراطه والغرض الذي من أجله خلقوا: يقول تعالى :

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» ١

فالهدف، هو العباده التي لا بد أن تكون عن معرفه وعلم.

فاللّه سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأراد منه أن يسير في طريق الكمال، وأراد له الوصول إلى قربّه، ومن جهه أخرى، فإنّ اللّه تعالى يعلم بأنّ الإنسان يخطأ ويشتهه في انتخاب الطريق، وذلك لوجود المحتالين وقطاع الطرق في كل زمان، وإنّ الإنسان يعجز في كثير من الأحيان عن تشخيصهم ومعرفه حباثلهم ومخططاتهم بسهوله.



وخلاصه الكلام، إنّ العبارة السابقة: «ورضيكم خلفاء في أرضه» توضح ضروره وجود الخليفه في الأرض، ثمّ ثبت بالأدلة: إنّ هؤلاء الخلفاء هم الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وفي هذه العبارة: إنّ الأئمة عليهم السلام هم حجج الله على الخلائق المحتاجين إلى الحجّة. إذن، فأصل وجود الحجّة وضرورته أمرٌ مسلّمٌ وتامٌ، وإنّ الأئمة عليهم السلام هم الحجج الآلهية على الناس أجمعين، والدليل على ضروره وجود الحجّة والخليفه في كلّ زمان عقلاً هو قاعده اللطف الثابته بالكتاب والسنة أيضاً، وإلّا لزم نقض الغرض أو التكليف بغير المقدور.

وبعد، فلو قيل: فلماذا لم يتحقّق الغرض من الخلقه في أكثر الناس، بل الواقع - كما قال الله سبحانه - «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ»؟

والجواب واضح جداً: لأنّ تحقّق الغرض كان متفوماً بأمرين:

أحدهما: الطريق الموصل إلى الهدف والمنهج المحقّق له، وذلك هو الشريعة الغراء التي شرّعها الله العالم بحقائق الامور الخبير بما يصلح الإنسان، وهذه الشريعة متكوّنه من المباني الاعتقاديّة التي يجب على كلّ مكلف الإيمان بها، ومن الأحكام الفرعيّة، التي على كلّ مكلف أن يطبّقها تطبيقاً كاملاً، لأنها مستنده إلى الحكم والمصالح، ومن الأخلاق والآداب والسّنن.

والثاني: الدليل على الطّريق، وهو النبيّ والوصي من بعده، وقد تحمّل الأئمة بعد رسول الله هذه المسئوليه وقاموا بها بأحسن قيام، فما ادّخروا وسعاً في تبين الشريعة وتعليم الأمة وتأديب الناس.

فمن أين جاء الضلال؟ ومن أين حدثت المشكله؟

إنّ المشكله هي من طرف الناس، فقد كان عليهم العمل بالشريعة، والإهتمام

بهدى الأئمة المعصومين الأدلاء على الله، حدوداً واستمراراً ليتحركوا فى الطريق المستقيم ويتجنبوا الإنحراف والتهيه، بعيداً عن العقبات والعوائق للوصول إلى الهدف من خلقهم وهو كمالهم، والذى تنحصر فائدته بهم، ولا- يضُرُّ الله تعالى تخلفهم عن سلوك هذا الطريق، فلو أن جميع الخلق اهتدوا بهدى الأئمة الهداه لما ضلَّ أحدٌ، ووصل الكلُّ إلى الكمال، ولو تحركوا بعكس جهه الكمال، فإنَّ ذلك لا يضُرُّ الله شيئاً.

### من لم يصل فهو المقصّر

فإذا لم يصل البشر إلى الكمال فضلاً عن أن يقعوا فى الضلال، فمن هو المقصّر؟

وإذا سُئل الناس يوم القيامة: لماذا تخلفتم عن طريق الكمال؟ لم يكن عندهم عذر يعتذرون به، ولا حجة يحتجون بها.

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم:

«فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ» ١

وعن مسعده بن زياد، فى ذيل هذه الآية قال:

«سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام وقد سئل عن قوله تعالى :

«فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ»،

فقال: إنَّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدى أكنت عالماً؟

فإن قال: نعم،

قال له: أفلا عملت بما علمت؟

ص: ١٤٧

وإن قال: كنت جاهلاً،

قال له: ألا تعلمت حتى تعمل؟

فيخصمه، وذلك الحجّة البالغة»(١)

أجل، إنّ الله تعالى قد نصب الأوصياء من بعد الأنبياء عليهم السّلام أدلاء على صراطه وحجه على عباده، فليس لأحد من عباده حجّة يوم القيامة يحتج بها.

ومن هنا، فإن العلماء قالوا في علم الاصول، في تعريف الحجّة:

«الحجّة متقومه بالمنجزية على تقدير موافقه، والمعذرية على تقدير المخالفه للواقع، فإنّ الحجّة بالاعتبار الأوّل حجّة للمولى على عبده وبالاعتبار الثاني حجّة للعبد على مولاه»(٢)

فلو إنّ العبد لم يكن له أحدٌ يعلمه ويدلّه على الطريق الصحيح، ولم يكن له أحدٌ يأخذ بيده في الأبعاد الثلاثة الآنفه الذكر، فإنه سيأتي يوم القيامة ويحتج على الله تعالى ويقول: يا إلهي ما تقصيري ولم تصلني الحجّة؟ ما تقصيري ولم تنصب لي من يدلّني على الطريق فأتعلّم منه؟

لكنّ القرآن الكريم يقول:

«لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» ٣

وبناءً على هذا البيان، فكلُّ إنسانٍ لم يصل إلى الكمال في هذا العالم، ويأتي يوم القيامة مسودّ الوجه، فإنه هو المقصّر وحده، لأنّ الله تعالى قد أقام له الحجّة عن طريق إرسال الأنبياء وتعيين الأوصياء.

ص: ١٤٨

١- (١) الأمالي، الشيخ المفيد: ٢٢٧ - ٢٢٨، الحديث ٦؛ بحار الأنوار ٢ / ٢٩، الحديث ١٠.

٢- (٢) نهاية الدراية في شرح الكفاية ٢ / ٢٩٨.

وبعد توضيح هذا الأمر وإثبات تماميته كبروياً، نقول:

إِنَّ خَلْفَاءَ اللَّهِ وَحُجَّجَهُ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ هُمُ الْأَتْمَةُ الْأَطْهَارُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذَا يُلْزَمُ التَّنْبِيهَ إِلَى عَدَّةِ نِقَاطٍ:

النقطة الاولى:

لَمَّا كَانَ لِلْأَتْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هَذَا الشَّأْنُ وَالْمَقَامُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَصْمَتِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ غَيْرَ الْمَعْصُومِ لَا يَصْلِحُ لِلْحُجِّيَّةِ.

أفهل يمكن لغير المعصوم الذي يخطأ أو يُحتمل في حقه الإشتباه، أن يكون دليلاً ومرشداً نحو الكمال؟!!

من هنا، كان التمسك والاستدلال بكلام غير المعصومين للوصول إلى الكمال، وجعلهم وسائط لطي طريقه والاستعانة بهم لإزالة العقبات، باطلاً.

اللهم إلاً أن يكون غير المعصوم هذا قد أخذ عن المعصوم، وتربى في مدرسته.

النقطة الثانية:

إِنَّ الْأَتْمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لَهُمْ مِثْلُ هَذَا الشَّأْنِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ، سِوَاكَ كَانَتْ مَقَالِيدَ الْحُكْمِ بِأَيْدِيهِمْ أَمْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ، لِأَنَّ «الْخَلَافَةَ» وَ«الْحُجِّيَّةَ» لَيْسَتْ مَشْرُوطَةً بِبَسْطِ الْيَدِ وَنَفُوضِ الْكَلِمَةِ.

فالأئمة عليهم السلام كانوا في كل الأحوال أدلاء ومرشدين للأمة إلى الصراط المستقيم.

نعم، لو كانت أيديهم مبسوطة، وكانوا يحكمون الأمة عملياً، لكانت الهداياه والدلاله للأمة قد اجريت بشكل أشمل وأوسع عملياً.

إنَّ الإمام صاحب العصر والزمان عليه السَّلام، هو حجَّه الله حتَّى في زمن غيبته. لأنَّ الله تعالى خَلَقَهُ ونصبَهُ دليلاً على صراطه. فلو ضللتُ الطريق في زمن الغيبه، فأنا المقصَّر، كما إنَّ الامَّه هي المقصَّره في أصل غيبته عليه السَّلام.

## وَأَنْصَارًا لِدِينِهِ

لقد كان الأئمَّه عليهم السَّلام وعلى طول خط التاريخ، الحافظين والناصرين لدين الله تعالى .

والدين، كما قلنا مراراً، مركَّب من الاصول، الفروع، والأخلاقيات، والأئمَّه عليهم السَّلام نصرُوا هذا الدين بكلِّ أبعاده.

ومن جهه أخرى، فإنَّ «النصره» لها مصاديق مختلفه كذلك، فتعليم الآخرين، ودلائتهم على الدين، وحفظ الدين من الإنحراف، كلُّها أبعاد للنصره.

كما إنَّ «التحريف» أيضاً له أنواع، فهو تاره: بإدخال الزياده على الدين، واخرى: بإنقاص شيء من الدين، وثالثه: بتحريفه بالتفسير بالرأى، ورابعه: بتحريفه معنوياً. وخامسه: بإثاره الشبهات والتشكيكات.

فالأئمَّه عليهم السَّلام، دافعوا عن الدين الإسلامى في كلِّ هذه الميادين، وحفظوه، وتحملوا أنواع المشقَّه والبلاء في سبيل الله، حتَّى استشهدوا في نهايه حياتهم من أجل الدين.

ومن ثَمَّ يقول الإمام الصَّادق عليه السَّلام:

«قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: يحمل هذا الدين في كلِّ قرنٍ عدول،

ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وإنتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد»<sup>(١)</sup>

وفى روايه أخرى يقول عليه السلام:

«إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لم يدع الأرض إلّما وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإذا نقصوا شيئاً أكمله لهم، ولولا ذلك لالتبست على المؤمنين أمورهم»<sup>(٢)</sup>

وفى حياه الأئمّه الأطهار عليهم السّلام محطّات تعرّض لها الدين إلى أخطار كبيره، لم يسلم منها الإسلام والمسلمون إلّا ببركه وجود الأئمّه عليهم السّلام، نظير قضايا أمير المؤمنين عليه السّلام فى المدينه والكوفه، وقضيّه الاستسقاء فى زمن الإمام الحسن العسكرى عليه السّلام فى سامراء؛<sup>(٣)</sup> وقضيّه الرّمانه فى البحرين.<sup>(٤)</sup>

فمن الواضح جدّاً، إنّ نصره الدين تحتاج إلى قدره علميه ومددٍ غيبى كما سيأتى بيانه.

### وَحَفَظَهُ لِسْرِهِ

قد تقدّم إنّ الله تعالى قد جعل الأئمّه الأطهار عليهم السّلام حججاً له على الامّه وأدلاء لها على الطريق إليه، ولذا، فإنّه عزّوجلّ أيدهم وحفظهم وأمدّهم

ص: ١٥١

١- (١) وسائل الشيعة ١٨ / ١٠٩، الحديث ٤٣.

٢- (٢) كمال الدين: ٢٠٣، الحديث ١١.

٣- (٣) الصواعق المحرقة ٢ / ٦٠٠.

٤- (٤) بحار الأنوار ٥٢ / ١٧٧ - ١٨٠.

بالإمدادات الغيبية، ولعلّ هذه العبارة، إشاره إلى هذا المعنى، فإنّ أحد الإحتمالات فى معنى كلمة «سرّ» خصوص «الإسم الأعظم»، ولذا كان الأئمة عليهم السّلام يستمدّون منه القوّه فى الأوقات اللّازمه.

### وَحَزَنَهُ لِعِلْمِهِ

والحقّ، أنّ الأئمة عليهم السّلام يجب أن يكونوا كذلك، لأنّ الحجّه والدليل للأئمة على الصراط المستقيم، يحتاج إلى علم جمّ، العلم بكلّ ما له دخاله فى هذه الدلاله والحجّيه.

والأئمة عليهم السّلام، ليسوا فقط علماء، بل هم خازنون لعلم الله، وقد مرّ بنا توضيح ذلك فى شرحنا عبارة «خزان العلم».

### وَمُسْتَوْدَعًا لِحِكْمَتِهِ

إنّ الأئمة عليهم السّلام لابدّ أن يكونوا كذلك، فمن كان حجّه لله تعالى على خلقه، ودليلاً لهم على الصراط المستقيم، لابدّ أن تتوفر فيه حكمه تتناسب مع مقام الإحتجاج والدّلاله، ليفعل و يقول ما يقتضى الحكمه ويطابقها.

### وَتَرَاجُمَهُ لَوْحِيهِ

التراجمه: جمع «ترجمان»، وفى اللغه، تعنى: المبيّن والمفسّر.

قال فى مجمع البحرين:

ص: ١٥٢

«تراجمه وحيك، جمع ترجمان، وهو المترجم المفسر للسان، يقال: ترجم فلان كلامه: بينه وأوضحه... واسم الفاعل: ترجمان»<sup>(١)</sup>.

وما يقال في العرف للنقل من لغة إلى لغة: ترجمه، فإثما هو بلحاظ إن هذا بنفسه نوع من أنواع التفسير.

ولعل العنوان الجامع لمعناها هو: المبيّن.

والمراد من جملة «تراجمه لوحيه» هو أن الأئمة الأطهار عليهم السلام هم المبينون والمبلغون لوحى الله تعالى .

إنه قد يتحدّث الشخص فلا يقدر على إسماع الآخرين صوته، فيأتى ثانٍ ويُعلم الآخرين بمؤدى كلام الأول بصوت عال، فيقال للثانى: ترجمان.

كما هو حال الشخص الذى يقف إلى جنب إمام الجماعة رافعاً صوته بالتكبير حال حركات الصّلاه. فكأنه يرفع صوت إمام الجماعة ويوصله للمؤمنين.

فحكم الأئمة عليهم السلام فى إيصال الوحي، هو حكم هذا «المكبر» أو هو بحكم مكبرات الصوت فى زماننا.

وبتعبير أحد أساتذتنا الكرام رحمه الله: إن حلقوم الإمام عليه السلام هو المكبر لوحى الله المسمع له، وإن كلام الله تعالى يخرج من حلقوم ولسان الإمام عليه السلام إلى أسماع العالمين.

ومن هنا، ورد فى بعض الروايات: «نحن لسان الله»<sup>(٢)</sup>.

ص: ١٥٣

---

١- (١) مجمع البحرين ١ / ٢٨٧.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ٦١.



و «الأركان» جمع «رُكن»، وهو العمود الأصلي في البناء، وقد مرّ بيان ذلك وتوضيحه في شرح عبارته «أركان البلاد».

ويمكن شرح هذه الجملة على وجهين:

الوجه الأول: هو إنّ معرفه الله تعالى قائمه بمعرفه الأئمه عليهم السلام، والإيمان والإقرار بإمامتهم.

الوجه الثاني: إنّ الأئمه هم الذين بينوا آيات معرفه الله ودلائل توحيدهِ، فلولاهم لما عُرف الله ولولاهم لما عُبد الله.

والوجهان، مستفادان من الروايات، وقد أوردنا آنفاً وبمناسبات متعدده طرفاً منها، وسنذكر هنا عدّه روايات في هذا الشأن، ولكن قبل ذلك نذكر بروايتين عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

#### من الروايات التي تعتبر الأئمة أركاناً

فلقد ورد في كتب الشيعة والسنة كتابه إسم أمير المؤمنين عليه السلام إلى جنب الشهادتين على ساق عرش الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهو يخبر عن معراجهِ:

«لَمَّا اسرى بي إلى السماء، إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيّدته بعلي»<sup>(١)</sup>

ص: ١٥٤

---

١- (١) الدر المنثور ٤ / ١٥٣؛ الخصائص الكبرى ١ / ٧؛ الرياض النضرة ٢ / ٢٢٧؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٣٨؛ المناقب، ابن المغازلي: ٣٩.

دلّ هذا الحديث على أنّ قوائم العرش وأركان توحيد الله وأسس شريعته ثلاثه: الإيمان بتوحيد الله، ورساله النبي، وولايه علي  
ومن أروع الروايات في الباب، ما أورده الشيخ الصدوق بثلاث أو أربع وسائط عن الإمام الجواد عليه السّلام عن آبائه عن سيّد  
الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السّلام قال:

«دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وعنده ابي بن كعب، فقال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: مرحباً بك يا أبا عبد  
الله! يا زين السماوات والأرضين.

قال له ابي: وكيف يكون - يا رسول الله - زين السماوات والأرضين أحد غيرك؟

قال: يا ابي، والذى بعثني بالحق نبياً، إنّ الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض، وإنّه لمكتوب عن يمين عرش الله  
عزّوجلّ: مصباح هدى وسفينه نجاه...» (١).

### الإقرار بوحدانيه الله بالإقرار بولايه الأئمّه

ثم إنّ الإقرار بوحدانيه الله تعالى مبنيّ على الإقرار بولايه الأئمّه عليهم السّلام، والروايات في ذلك كثيره، نكتفي بنقل روايه  
«سلسله الذهب» المعروفه،

ص: ١٥٥

---

١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ٢ / ٦٢، الحديث ٢٩؛ كمال الدين: ٢٦٥، الحديث ١١؛ بحار الأنوار ٣٦ / ٢٠٤ و٢٠٥ و٩١ /  
١٨٤.

وهي من كلام الإمام الرضا عليه السلام قاله تلييه لطلب كبار علماء نيشابور، وقد جاء فيها:

«حدّثني أبي موسى بن جعفر الكاظم، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد الصادق، قال: حدّثني أبي محمّد بن علي الباقر: قال حدّثني أبي علي بن الحسين زين العابدين، قال: حدّثني أبي الحسين بن علي بن أبي طالب شهيد أرض كربلاء، قال: حدّثني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شهيد أرض كوفه، قال:

حدّثني أخي وابن عمّي محمّد رسول الله، قال: حدّثني جبرئيل، قال سمعت ربّ العزّه سبحانه وتعالى يقول: كلمه لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي»<sup>(١)</sup>.

ثم قال عليه السلام:

«بشروطها، وأنا من شروطها»<sup>(٢)</sup>.

هذا، وقد جاء هذا المعنى في روايات العامه أيضاً، كالحديث الذي رووه بأسانيدهم عن النبي الأكرم محمد صلّى الله عليه وآله، إنّه قال:

«لو أنّ عبداً عبّد الله بين الرّكن والمقام ألف عام ثمّ ألف عام ولم يقل بمحبّتنا أهل البيت، لأكبه الله على منخره في النار»<sup>(٣)</sup>.

ص: ١٥٦

١- (١) كشف الغمّه ٣ / ١٠١؛ بحار الأنوار ٤٩ / ١٢٧، الحديث ٣.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ١٤٥، الحديث ٤؛ بحار الأنوار ٤٩ / ١٢٣، الحديث ٤.

٣- (٣) راجع: تاريخ مدينه دمشق ٤٢ / ٤٧١؛ المناقب، الخوارزمي: ٦٧ و ٦٨، الحديث ٤٠؛ ينابيع المودّه ١ / ٣٩٠، الحديث ٢.

## لولا الأئمة لم يُعرف الله ولم يُعبد

ومن جملة الروايات الواردة في هذا المعنى، إنّه عليه السّلام قال:

«لولا ما عُرف الله» (١).

وفي روايه أخرى، قال:

«لولا ما عُبد الله» (٢).

## وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ

كلمه «شهداء»: جمع «شاهد». يقول الراغب الإصفهاني:

«الشهود والشهادة: الحضور مع المشاهده إمّا بالبصر أو بالبصيره» (٣).

وكلمه «الخلق» في هذه العبارة مطلقه، وهم الأعم من المؤمنين وغيرالمؤمنين، وكذلك مورد الشهاده، فإنه أعم من التّيات والأعمال.

وبناءً على هذا، فإنّ الله تعالى قد رضى بالأئمة عليهم السّلام شهداء على أعمال وتّيات كلّ الخلائق.

ذلك، لأنّ الله تعالى عندما رضيههم «حججاً على بريته»، كان لابدّ من إحاطتهم بكلّ شؤون «البريه» - أي الخلق الذين تقام عليهم الحجّه في مقام الإحتجاج - وإلّا لزم نقض الغرض، أو الخلف.

ص: ١٥٧

١- (١) بصائر الدرجات: ١٢٥، الحديث ٩؛ بحار الأنوار ٢٦ / ١٠٧، الحديث ١٠.

٢- (٢) الكافي ١ / ١٩٣، الحديث ٦؛ التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٥٢، الحديث ٩؛ بحار الأنوار ٢٦ / ٢٦٠، الحديث ٣٨.

٣- (٣) المفردات في غريب القرآن: ٢٦٧.

هذا من جهه البرهان العقلى.

وأما من جهه الدليل القرآنى، فإنَّ «وشهداء على خلقه» إشاره إلى قوله تعالى فى القرآن المجيد:

«وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...»<sup>(١)</sup>

فقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام فى تفسير هذه الآيه:

«نحن الامه الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه فى أرضه...»<sup>(١)</sup>

والروايات فى هذا الباب، على عدّه أقسام:

١. روايات «نحن عين الله». <sup>(٢)</sup>

٢. روايات «نحن شهداء الله فى خلقه».

ففى روايه يقول عليه السلام:

«يا بن أبى يعفور! إنّ الله تبارك وتعالى واحد متوحد بالوحدانيه، متفرد بأمره، فخلق خلقاً ففردهم لذلك الأمر فنحن هم.

يا بن أبى يعفور! فنحن حجج الله فى عباده وشهداؤه فى خلقه وأمناؤه وخزّانه على علمه والدّاعون إلى سبيله والقائمون بذلك،

فمن أطاعنا فقد أطاع الله». <sup>(٣)</sup>

٣. روايات وارده فى اصول الكافى: باب «إنّ الأئمّه شهداء الله». <sup>(٤)</sup>

ص: ١٥٨

١- (٢) الكافى ١ / ١٩٠، الحديث ٢؛ بحار الأنوار ١٦ / ٣٥٧، الحديث ٤٨.

٢- (٣) بصائر الدرجات: ٦١، الباب الثانى من الجزء الثانى.

٣- (٤) بصائر الدرجات: ٨١، الحديث ٤؛ بحار الأنوار ٢٦ / ٢٤٧، الحديث ١٥.

٤- (٥) الكافى ١ / ١٩٠ و ١٩١، الأحاديث ١ - ٥.

٤. روايات وارده في عرض الأعمال على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والأئمة الأطهار عليهم السلام، وقد عقد في أصول الكافي باباً في هذا العنوان. (١)

٥. روايات إخبار الأئمة عليهم السلام بنوايا الأشخاص والوقائع الخاصه بهم، وهي كثيره. (٢)

فإذا ما وقع السؤال عن كيفيه هذا الحضور والإحاطه، يكفي أن نعرف أنّ الإمام له نفس قدسيه وهو مؤيد ب «روح القدس» كما ما بيناه سابقاً، وهو ما أشارت إليه بعض الروايات، منها قوله عليه السلام:

«إنّ الإمام مؤيد بروح القدس، وبينه وبين الله عمود من نور يرى فيه أعمال العباد». (٣)

بل، قد جاء في بعض الروايات:

«ما من شيء ولا من آدمي ولا إنسي ولا جنّي ولا ملك في السماوات إلّا ونحن الحجج عليهم، وما خلق الله خلقاً إلّا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه، فمؤمن بنا وكافر وجاحد حتّى السماوات والأرض والجبال». (٤)

فمن هذه الروايه، نستفيد أنّ الأمر أعظم بكثير مما ذكرنا. والله العالم.

هذا، وننوّه هنا إلى أنّ هذا البحث سيأتي أيضاً في شرحنا لعباره: «وشهداء دار الفناء».

ص: ١٥٩

---

١- (١) الكافي ١ / ٢١٩ و ٢٢٠، الأحاديث ١ - ٦.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ٢٤٢ - ٢٥٠.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ١٩٣، الحديث ٢؛ الخصال: ٥٢٨، الحديث ٢؛ بحار الأنوار ٢٥ / ١١٧، الحديث ٢.

٤- (٤) السرائر ٣ / ٥٧٥ و ٥٧٦؛ بحار الأنوار ٢٧ / ٤٦، الحديث ٧.

والأعلام: جمع «عَلَم» بمعنى: العلامة والأثر.

قال الراغب الإصفهاني في المفردات:

«الْعَلَمُ: الأثر الذي يُعَلِّمُ بِهِ الشَّيْءَ، كَعَلْمِ الطَّرِيقِ وَعِلْمِ الْجَيْشِ، وَسُمِّيَ الْجَبَلَ عِلْمًا لِذَلِكَ، وَجَمَعَهُ أَعْلَامٌ...» (١).

وجاء في القرآن المجيد:

«وَاعْلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» ٢

وفي اصول الكافي، بابٌ بعنوان «باب أن الأئمة هم العلامات» (٢).

وبناءً على هذا، فإنَّ الأئمة عليهم السَّلام هم الأعلام الهاديه للخلق إلى معرفه الله وطاعته وعبادته.

وهذا المعنى برهاني أيضاً، فإنَّ مقتضى عدل الله ولطفه بالعباد أن يُقيم الأعلام في هذا العالم لهدايه العباد، وتصحيح سيرهم وحرکتهم نحو الكمال، كما مرَّ بنا في شرح عبارته «أعلام التقى».

ولذا، يقول عليه السَّلام:

«الإمام عَلَمٌ فيما بين الله عزَّوجلَّ وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً» (٣).

ص: ١٦٠

١- (١) المفردات في غريب القرآن: ٣٤٤.

٢- (٣) الكافي ١ / ٢٠٦ و ٢٠٧، الأحاديث ١ - ٣.

٣- (٤) كمال الدين: ٤١٢، الحديث ٩؛ وسائل الشيعة ٢٨ / ٣٤٤، الحديث ١٨.

والكعبة أيضاً «عَلِمَ»، لذا يقول أمير المؤمنين عليه السّلام في حقّ البيت الحرام:

«جعلهُ سبحانهُ وتعالى للإسلام عَلِمًا».(١)

كما ويصدق هذا المعنى على القرآن المجيد، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا، كِتَابُ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلُ بَيْتِي».(٢)

## وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ

لأنّ «المنار» في لغة العرب، المكان المرتفع الذي توقد النار فيه ليَهْتَدَى بها إلى الطرق. وتشبيه الأئمة عليهم السّلام بالمنار، إنّما هو من حيث إنّهم عليهم السّلام الأدلّاء إلى الله بوجوداتهم، وبما يحملون من أنوار العلم، وتعاليمهم.

والمقصود، هو إنّ الأئمة فقط، لهم مثل هذه الأهليّة لهدايه الامّة، بكلّ معاني الكلمة.

هذا، وقد جاءت كلمة «عَلِمَ» وكلمة «منار» في سياق واحد في بعض الروايات. كما في قوله عليه السّلام:

«... نحن منارُ الهدى، ونحن السّابقون، ونحن الآخرون، ونحن العلم المرفوع للخلق...».(٣)

ص: ١٦١

١- (١) نهج البلاغه ١ / ٢٧.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ٦٣، باب ٣، الجزء الثاني.

٣- (٣) بصائر الدرجات: ٨٣، الحديث ١٠؛ كمال الدين: ٢٠٦، الحديث ٢٠؛ بحار الأنوار ٢٦ / ٢٤٨، الحديث ١٨.



## وَأَدِلَّاءَ عَلَى صِرَاطِهِ

لأنَّ «أدلاء» جمع «دليل»، فالله تعالى قد رضى الأئمة عليهم السّلام أدلاءً للخلق فى سيرهم إلى الله، لأنّ مثل هذه الدلالة مستعصية على غيرهم، بل مستحيلة بالنحو الصحيح والتام .

إذن، فهم عليهم السّلام فقط أدلاء المسلمين على الطريق الصحيح الموصول إلى الله تعالى .

**عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ وَأَمَنَكُم مِّنَ الْفِتَنِ**

**وَطَهَّرَكُم مِّنَ الدَّنَسِ وَأَذْهَبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ**

**الْبَيْتِ وَطَهَّرَكُم تَطْهِيراً**

**عصمه الأئمة**

وفى هذه الفقرة من الزيارة الشريفه، تصريح وتنصيب على عصمه الأئمة عليهم السّلام، وإشاره إلى خصوص آيه التطهير المباركه التى تعتبر من أولى أدله العصمه. كما أنّ العصمه هى الملاك للجمل السابقة:

«وَرَضِيَ كُمْ خُلَفَاءَ فِى أَرْضِيهِ وَحُجَجاً عَلَى بَرِيَّتِيهِ وَأَنْصِيَاراً لِدِينِهِ وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ وَمُسْتَوْدَعاً لِحِكْمَتِهِ وَتَرَاجِمَةً لِتَوْحِيهِ وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِهِ وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَأَعْلَاماً لِعِبَادِهِ وَمَنَاراً فِى بِلَادِهِ وَأَدِلَّاءَ عَلَى صِرَاطِهِ»

ص: ١٦٢

ولهذا، فلا بدّ من أن يكون الأئمّة عليهم السّلام معصومين، وغير المعصوم لا يكون خليفهً لله وحجّه ودليلاً عليه وخازناً لعلمه وحافظاً لسرّه وناصراً لدينه، وهذا المعنى مبرهن عليه عقلاً.

هذا، ولا يوجد معصومٌ غير محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم في الإسلام.

ومن هنا، فإنّ الله تعالى قد رضيهم ولم يرض غيرهم، لأنّ العصمه أمرٌ خفى لا يعلمه إلّا الله، ومن ثمّ قلنا بأنّ المناصب المذكوره، والمشروطه بالعصمه، إنما تكون بجعل الله تعالى وتعيينه، فكلّ تلك المعاني بدأت بكلمه «رضيكم»، وكذلك أصل العصمه الموقوفه على إرادة الله تعالى، ولذا اسندت إليه، قال عليه السّلام: «عصمكم الله»

ثم إنّه بالتأمّل في هذه الفقره من الزياره، يظهر أنه قد نفى عن الأئمّة عليهم السّلام، أربعة أمور:

١ - «الزلل»، وهو جمع «زله»، بمعنى الزبغ بدون قصد،<sup>(١)</sup> ونفاها بقوله: «عصمكم».

٢ - «الفتن»، وهي جمع «فتنه» وهي الحيره والضلال على أثر الجهل وقد نفاها بقوله: «آمنكم».<sup>(٢)</sup>

٣ - «الدينس»،<sup>(٣)</sup> ونفاها عنهم بقوله: «طهركم».

٤ - «الرجس»،<sup>(٤)</sup> ونفاها عنهم بقوله: «أذهب».

ص: ١٤٣

---

١- (١) مجمع البحرين ٤ / ٥١٩.

٢- (٢) المصدر ٣ / ٣٦١.

٣- (٣) المصدر ٢ / ٥٩.

٤- (٤) المصدر ٢ / ١٤٨.

فلاحظوا، إنَّ كلَّ هذه المعاني قد حصلت بفعل الله تعالى وإرادته في حقِّ المعصوم عليه السَّلام. وحينئذٍ، لا بدَّ من التوصل إلى خصوصيات كلِّ واحده من هذه الامور الأربعة والفعل الوارد لنفيها.

هذا، وقد بحثنا عن العصمه في ضمن كتبنا في الإمامه، وكذلك وضعنا فيها رسالَه مفردَه .

وهذا موجز الكلام عن هذا الموضوع في عدّه بحوث:

١ - العصمه لغَه .

٢ - العصمه إصطلاحاً.

٣ - أدلّه العصمه.

ومن جهه أخرى، ولأنَّ هذه الفقره من الزياره تشير إلى آيه التطهير، سنبحث باختصار حول الآيه وحديث الكساء، الوارد في ذيلها.

### العصمه لغَه

جاء في لسان العرب:

«عصم: العصمه في كلام العرب: المنع. وعصمه الله عبده: أن يعصمه ممّا يوبقه، عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه»<sup>(١)</sup>.

فهذا اللغوى أخذ كلمه «عصم» بمعنى «منع».

وأما الراغب الإصفهاني في غريب القرآن، فقد جعل كلمه «عصم» بمعنى «مسك»، قال:

ص: ١٦٤

---

١- (١) لسان العرب ١٢ / ٤٠٣.

«العصم: الإمساك والاعتصام الاستمساك... وقوله: «وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ» والعصام ما يُعصم به أى يُشَدُّ، وعصمه الأنبياء حفظه إياهم...» (١).

ويبدو أنَّ كلمة «مسك» أخصَّ من كلمة «منع».

وفى القرآن الكريم، وحكاية عن لسان ابن نوح، قال تعالى :

«قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ» ٢

فقد تكون كلمة «عصم» فى هذا المورد، بمعنى «منع»، ولكن فى آية اخرى نقراً:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» ٣

فالكلمة هنا ظاهره فى «المسك» و«التمسك».

ومن هنا، فإن بعض المفسرين ذكروا حديث الثقلين فى ذيل هذه الآية المباركة. قال الطبرسى فى مجمع البيان:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ» أى: تمسكوا به.

وقال الطبرسى رحمه الله بعد ذلك: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أيها الناس! إنى قد تركت فيكم حبلين؛ إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدى، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»؛ (٢)

ص: ١٦٥

١- (١) المفردات فى غريب القرآن: ٣٣٦ - ٣٣٧.

٢- (٤) تفسير مجمع البيان ٢ / ٣٥٦؛ تفسير جامع البيان ٤ / ٤٢؛ تفسير السمرقندى ١ / ٣٧٦؛ تفسير الواحدى ١ / ٢٢٥؛ تفسير الرازى ٢ / ١٥.

وفى روايه أخرى عن الصادق عليه السلام، قال:

«نحنُ حبلُ الله الذى قال: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» وولايه على عليه السلام البرّ، فمن إستمسك به كان مؤمناً ومن تركه خرج من الإيمان»؛<sup>(١)</sup>

أضف إلى ذلك، إنّ نفس حديث الثقلين قد جاء فيه لفظ «عصم»، حيث يقول صلّى الله عليه وآله:

«إني تارك فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلّوا من بعدى، كتاب الله وعترتى أهل بيتى».<sup>(٢)</sup>

ويمكن أن نعتبر كلمه «الحفظ» عنواناً جامعاً بين «المنع» و«المشك» وهذه تدقيقات فى المفهوم.

إذن، فالله سبحانه وتعالى قد حفظ الأئمة عليهم السلام من الزلل؛ وأنّ الله تعالى قد آمنهم من الفتن.

والفتنه فى اللغه، ما خالف ظاهره واقعه، وأوقع الإنسان فى الاشتباه.<sup>(٣)</sup>

ومن ثمّ، قسّموا الفتنه إلى بسيطه وعمياء.

ثم إنّ مفهوم «الدينس» وإن كان قريباً جداً من مفهوم «الرجس» إلّا إنّ التفاوت بينهما موجود، وإن كان دقيقاً.

ص: ١٦٦

١- (١) تفسير فرات الكوفى: ٩١، الحديث ٧٣.

٢- (٢) مفتاح النجاه (مخطوط)، نقلاً عن كتاب «المتفق والمفترق»؛ كنز العيال ١ / ١٨٧، الحديث ٩٥١، نقلاً عن «المتفق والمفترق». وهو للخطيب البغدادى، وقد حرّف هذا الحديث فى كتاب «المصنّف ٧ / ١٧٦، الحديث ١» بحذف عبارته «وعترتى أهل بيتى».

٣- (٣) راجع: النهايه فى غريب الحديث ٣ / ٤١٠؛ معجم مقاييس اللغه ٤ / ٤٧٢.

وعلى كل حال، فكلاهما يعبر عما يضاد الطهارة والنقاء. (١)

ومن الواضح أنّ كلمة «الطهر» تستعمل في مورد الطهارة بمعنى «الدفع» كما تستعمل فيها بمعنى «الرفع»، والإذهاب في الآيه دفعي لارفعي، فإن الله عزّ وجلّ طهر أهل البيت من الدنس فلم يعرض عليهم أصلاً.

مضافاً إلى إنّ «عصمكم الله» لاتأتى بمعنى الرفع، لأنّ «الرفع» لا يتناسب مع «عصم»، وكذا الإذهاب، فإنه لا يتناسب مع «عصم» إذا كان بمعنى الرفع بعد الوجود.

### العصمة اصطلاحاً

ثمّ إنّ كلمات الأعلام في تعريف «العصمة» على أساس الأدلّة العقلية والنقلية، متقاربه، والتفاوت بينها بسيط.

فمثلاً يقول الشيخ المفيد رحمه الله:

«العِصْمَةُ لطفٌ يَفْعَلُهُ اللهُ بِالْمَكْلُوفِ بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما». (٢)

ويقول العلامة الحلّي رحمه الله:

«العصمة، لطفٌ خفي يفعله الله تعالى بالمكلف بحيث لا يكون له داعٍ إلى ترك الطاعة وإرتكاب المعصية مع قدرته على ذلك». (٣)

ففي الحقيقة، إنّ العصمة التي يقول علماءنا بضروره وجودها في النبيّ

ص: ١٦٧

١- (١) راجع: لسان العرب ٦ / ٨٨ و ٩٤؛ مجمع البحرين ٢ / ٥٩ و ١٤٨.

٢- (٢) النكت الاعتقاديّة: (في ضمن مصنّفات الشيخ المفيد قدس سرّه) ١٠ / ٣٧.

٣- (٣) شرح الباب الحادي عشر: ٨٩.

والإمام لطف من الله وحاله معنويته في المعصوم بدرجة تمنع عن اختيار من صدور المعصية وترك الطاعة.

ولما كانت العصمة لطفاً إلهياً، فقد نسبت إلى الله تعالى في قوله عليه السلام:

«عصمكم الله».

هذا، وإن في القرآن الكريم آية يبدو أنها في نفس هذا المضمار، وهي قوله تعالى:

«وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ» ١

وبناءً على هذه الآية، فإن الحافظ لرسول الله صلى الله عليه وآله هو فضل الله ولطفه، والرحمة الإلهية، وهذه هي العصمة.

ثم إن جمعاً من المتأخرين من كبار العلماء، يرون أنّ أساس العصمة في المعصوم علمه. وذلك، لأنّ المعصوم عالمٌ بقبح الذنوب وآثارها السيئة، فلذا لا تصدر منه. قال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان حول العصمة:

«ظاهر الآية أنّ الأمر الذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ.

وبعبارة أخرى، علم مانع عن الضلال، كما إنّ سائر الأخلاق كالشجاعة والعفة والسخاء كلّ منها صورته علمية راسخه موجب لتحقق آثارها، مانعه عن التلبس بأضدادها، من آثار الجبن والتهور والخمود والشره والبخل والتبذير...» (١).

ص: ١٦٨

ويقول الشيخ الزرقاني المالكي في «شرح المواهب اللدنيه» في أحوال النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«إنه معصوم من الذنوب، بعد النبوه وقبلها، كبيرها وصغيرها، وعمدها وسهوها على الأصح».

ثم ينقل عن الحافظ السبكي قوله:

«أجمعت الأمة على عصمه الأنبياء في ما يتعلق بالتبليغ وغيره، من الكبائر والصغائر الخسيسه، والمداومه على الصغائر. وفي صغائر لا تحط من رتبهم خلاف...» (١).

## دراسه حقيقه العصمه

### اشاره

وعند دراسه حقيقه العصمه لابد من ملاحظه عدّه مطالب:

### المطلب الأول: العصمه عن ماذا؟

بناءً على ما ذكرناه حول عبارات الزياره الجامعه، يظهر لنا إنّ العصمه ليست عن المعصيه فقط، بل هي العصمه عن الخطأ والسّهو والإشتباه والنسيان أيضاً، وذلك، لأن من جاز عليه شئ ممّا ذكر لم يعتبر بقوله ولم يمكن جعله هادياً للأئمه، فمن نصب نبياً أو إماماً وفسّر آيه من القرآن أو بين حكماً من الأحكام الشرعيّه أو أبلغ شيئاً من الأمور الدينيه، وأمكن أن يكون ساهياً ومشتبهاً، فيفسّر آيه بعكس معناها الواقعي أو يخطأ في بيان بعض الحقائق؛ فإنّ هذا الشخص لا يمكن أن

ص: ١٦٩



يكون حجّه يحتجّ به الله تعالى على عباده ويؤاخذهم على عدم إعتداد أقواله وأفعاله وتعاليمه، بعنوان الرساله أو الإمامه؛ بل للعباد حينئذ الإعتذار عن عدم المتابعه والإطاعه له.

فلو كان الأمر كذلك، لم تتمّ حجّه الله تعالى على الناس، ويتخلف مضمون الآيتين:

«قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ»، (١) «لِنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ». ٢.

لذا، فإنّ حجّه الله على الناس، لا بدّ أن يكون معصوماً حتّى عن السّهو والخطأ والإشتباه والنسيان، لتصحّ مؤاخذة العبد يوم القيامة على تخلفه عن متابعه هذا الحجّه وإمتثال أوامره ونواهيه وترك الإقتداء والتأسى به، وإلّا لزم نقض الغرض من إقامة الحجّه.

فالغرض من نصب الإمام هو هداية البشر وإيصالهم إلى الحقيقة، لذا كانت إطاعته والإقتداء به واجباً بنحو مطلق والتأسى به فى كلّ الأحوال ضرورياً.

فالإمام، منصوبٌ لبيان الأحكام الإلهية وحقائق القرآن الكريم، حتّى المتشابهات من آياته - حيث قال: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» ٣

فقد ورد عنهم:

«نَحْنُ الرّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»؛ (٢)

ص: ١٧٠

١- (١) سورة الأنعام (٦): الآية ١٤٩.

٢- (٤) بصائر الدرجات: ٢٢٤، الحديث ٥؛ الكافي ١ / ٢١٣، الحديث ١؛ بحار الأنوار ٢٣ / ١٩٩، الحديث ٣١.

وفى هذه الحالة، لا بد أن يكون معصوماً من كل الجهات المنافية، فإنه لو احتملنا فى حقه الإشتباه فى تفسير وتأويل آيه أو بيان حكم، لم يجر لنا الأخذ بقوله، فيلزم التناقض أو نقض الغرض.

كما إن الإمام هو حجة الله على الخلق، فلو لم يكن معصوماً عن الخطأ، السهو، والنسيان، لم يمكن لله الإحتجاج بأقواله وأفعاله على الناس، وهذا نقض للغرض، وتناقض.

وأيضاً، يعتبر فى النبى و الإمام نزاهته ممياً يوجب تنفّر الناس منه، ولا شك فى أن الخطأ والإشتباه والسهو، يسقطه من أعين الناس، فلا يُعتنى بأقواله ولا يُقتدى بأفعاله.

ولتوضيح هذا المعنى نضرب مثلاً:

لو بنى أهل بلدٍ مسجداً لهم، وطلبوا من الحوزة العلميه إرسال عالم يؤمّ الناس فى المسجد، ويبين لهم الأحكام الشرعيه، ويعلمهم معالم دينهم، فأرسلت الحوزة العلميه عالماً إلى ذلك البلد، فوقع السهو من هذا الإمام فى صلاته فى اليوم الأول من وصوله، فإن الناس قد يعذرونه بحجه إنه قد وصل تَوّاً من سفره وأنه مرهق، ولو سألوا منه مسأله فلم يجر جواباً أو أجاب خطأ، فقد يعذرونه بالنسيان.

ولكن لو تكرر منه ذلك ثانيه و ثالثه ، فلن يبقى الناس مكتوفى الأيدي، وإنما سيكتبون إلى أولى الأمر فى الحوزة العلميه، يطلبون منهم استدعاء هذا الشخص واستبداله بغيره.

ولا شك أن هذا التصرف منهم طبعى ومقبول.

وكمثال آخر أوضح من الأول:

لو أنّ طبيباً علّق يافظه على مطبّه بأنه حكيم عُيون، فراجعهم أحدهم، فحاول معالجته، ولكن ليس فقط لم ينجح علاجه وإنما تسبب في عماء وفقدان بصره، ثمّ تكرر ذلك بالنسبه إلى المريض الثاني، ففي هذه الحاله لا يعاتب أهل ذلك البلد إذا ما اجتمعوا حول محلّ طبابته واثارت ثائرتهم ضده وأجبروه على تعطيل المكان.

وبعد هذين المثالين نقول إنّه لا يجوز على الإمام وخليفه الله والحجّه الإلهيه على الخلق أن يخطأ أو يسهو ولو مرّة واحده.

فالحاصل، إنّ الإمام، وبحكم العقل يجب أن يكون معصوماً عن الخطأ والنسيان والسهو، والأدله العقليه والنقلية على ذلك كثيره، وبهذا صرح كبار العلماء قديماً وحديثاً، ولا غلوّ في ذلك.

مضافاً إلى ذلك، فإنّ بعض العلماء إشتراطوا خلوه من «منافيات المروءه» أيضاً. يقول المرحوم المظفر:

«بل يجب أن يكون منزهاً حتّى عمّا ينافى المروءه، كالتبذّل بين الناس، من أكل في الطريق أو ضحك عال، وكلّ عمل يستهجن فعله عند العرف العام».(١)

### **المطلب الثاني: الاعتقاد بأنّ النبي والإمام معصومان منذ الولاده.**

ويكفينا لدرك هذا المعنى أن نعلم بأنّ العصمه شرط في الحجّيه، وأنّ الله تعالى يحتجّ على الناس بالنبي والإمام.

فمثلاً، كان عيسى على نبينا وآله وعليه السلام نبياً وهو في المهد، وحينئذٍ، لا بدّ من الإذعان بتوفّر هذا الشرط فيه منذ الولاده.

ص: ١٧٢

يقول تعالى فى كتابه المجيد:

«فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا\* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا» ١

### المطلب الثالث: هل إن العصمه إكتساب أم إعطاء؟

بناءً على تعبير «يفعله» الذى جاء فى كلام الأعظم كالشيخ المفيد رحمه الله حيث قال:

«العصمه لطف يفعله الله تعالى بالمكلف» (١).

وبالنظر لما جاء فى قوله تعالى :

«وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنِكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ» ٣

يتضح لنا بأن العصمه إعطائية ، وهذا هو ظاهر الأدله الاخرى أيضاً.

وأما بناءً على القول الآخر الذى يذهب إلى أن منشأ العصمه هو العلم، فلا بد أن نرى ما هو المقصود من هذا العلم؟

هل هو العلم الحضورى أم العلم الحصولى الذى هو اكتسابى؟

وهل يمكن للإنسان أن يصل إلى كل علم بالإكتساب؟

فعلى القائلين بهذه النظرية أن يثبتوا بأن عيسى عليه السلام - مثلاً! - كان يعلم بقبح الذنوب والمعاصى وإنه كان مختاراً فى عدم ارتكابه لها، عندما كان نبياً فى المهدي. هذا أولاً.

ص: ١٧٣

وثانياً: أليس ممكناً إجتماع العلم مع السهو؟

فالقائلون بأن العلم هو المنشأ للعصمه، وفي نفس الوقت يقولون بأن المعصوم لا بد أن يكون معصوماً عن السهو والنسيان، عليهم أن يبينوا كيفيه الجمع بين هذين الأمرين.

أجل، إنَّ العلم لا يجتمع مع الجهل، لكنّه يجتمع مع السهو، ألا يسهو العالم؟

والظاهر إنَّ القائلين بهذه النظرية، إنّما قالوا بها لعدم قدرتهم على الجمع بين العصمه والإختيار، لأنَّ علماءنا قالوا في تعريف العصمه:

«... بحيث يمتنع منه وقوع المعصيه وترك الطاعه مع قدرته عليهما... ولا تنافي العصمه القدره».(1)

المطلب الرابع: وبناءً على هذه التعريفات، تبقى شبهه «تنافي العصمه مع القدره»، فكيف يكون للمعصوم القدره على إرتكاب المعصيه، والحال أنّ الله هو الذى يفعل ذلك به، كما قالوا «يفعله الله»، أى إنّ الله هو الذى جعله معصوماً، فإذا كانت بجعل من الله، فكيف يكون مختاراً؟

ومن هنا، فإنَّ بعض علماء أهل السنّه يأخذون علينا فى هذا ويذكرون أنّ القول بأن العصمه حاله يفعلها الله بالعبء لا يجتمع مع إنكار الجبر، والقول بأن العصمه بفعل الله لا يجتمع مع التصريح بالقدره وعدم سلب الإختيار فى تعريف العصمه.

ويبدو أنّ الشيخ المفيد، السيد المرتضى، الخواجه نصير الدين الطوسى، العلّامه الحلى رحمهم الله وغيرهم من أكابرنا الذين يصرحون بعدم سلب القدره

ص: ١٧٤

١- (١) راجع: النكت الإعتقاديّه: ٣٧؛ تجريد الإعتقاد: ٢٢٢؛ كشف المراد فى شرح تجريد الإعتقاد: ٤٩٤؛ شرح الباب الحادى عشر: ٨٩، للتحقيق الأكثر فى هذا المجال راجع كتاب «العصمه» لمؤلف هذا الكتاب ودلائل الصدق: ٧٥٢ - ٧٥٥، باب عصمه الأنبياء والإمام.

والإختيار عن المعصوم، قد حلّوا هذه الشبهه بدون رفع اليد عن أنّه لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين الأمرين.

### القول بالعصمه لا يستلزم القول بالجبر

وقد ذكروا وجوهاً لحلّ هذه الشبهه. منها:

إنّ الله تعالى كان يعلم بأن هذه الذوات المقدّسه - المعصومين - مهما طالت أعمارهم فى هذا العالم، فإنّهم لن يرتكبوا مخالفه أو ذنباً، لذا عَصَمَهُمْ وطَهَّرَهُمْ من كلّ رجس ودنّس.

ولهذا نظائر فى القرآن الكريم والروايات. فمثلاً ورد فى معنى قوله تعالى :

«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يُوَفِّقُونَ»<sup>١</sup>

حيث جاءت كلمه «جعل» وكلمه «لَمَّا صبروا» بصيغه الماضى، وعندما يُسأل عن «صبرهم» متى كان؟ توجد عدّه أقوال فى الجواب، ولعلّ أفضلها ما جاء فى تفسير القمى:

«قال: كان فى علم الله أنّهم يصبرون على ما يُصيبهم فَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الخامس: هل للعصمه مراتب أم لا؟

وبعبارة أخرى، هل إنّ العصمه حقيقةً مشكّكة أم لا؟

نظراً إلى رأى العلماء فى إنّ حقيقة العصمه: هى اللّطف الإلهى، وإنّ

ص: ١٧٥

المعصوم - بلطف الله - تحصل فيه حاله ينتفى فيها وجود الداعى إلى فعل الحرام وترك الواجب، ولا يقع منه السهو والنسيان. فإنه لا يمكننا أن نتصور التشكيك في العصمه والقول بتعدد مراتبها.

ولا يخفى أن بين النبوه والإمامه وبين العصمه، عموم مطلق، فكل نبي وإمام معصوم، وليس كل معصوم نبي أو إمام، وعليه، فمن نصب من قبل الله تعالى لقياده الامه وجعله حجّه بينه وبين الخلق وأوجب عليهم طاعته وأتباعه على الإطلاق، فإنه يستحيل أن لا يكون معصوماً.

وأما فيما يرتبط بمولاتنا الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء سلام الله عليها، فإن لها الولايه الكبرى، ولكنها ليست إماماً. وقد ذهب البعض إلى أن سلمان المحمدي معصوم أيضاً، ولكن لا في حدّ عصمه الأئمه عليهم الصلاه والسلام.

ولكن على هؤلاء أولاً أن يثبتوا تشكيك العصمه.

ولا يبعد أن يكون مرادهم من عصمته، مرتبه عاليه من العدالة تتلو العصمه في درجتها، إنطلاقاً من أن إيمان سلمان كان أعلى رتب الإيمان.

وعليه، سيكون البحث لفظياً، والله العالم.

### حول آيه التطهير

لقد أشير في هذه الفقره من الزياره الجامعه إلى آيه التطهير كما ذكرنا، ومن هنا إرتأينا ضروره البحث هنا بإيجاز عن هذه الآيه.

إنّ عصمه الأئمه عليهم السلام عليها أدله كثيره في القرآن الكريم، والأحاديث الصّحيحه، فهي حقيقه إسلاميه، ومن الناس من يدعى في هذه الأيام

أَنْ مَسْأَلَهُ عَصْمَةَ الْأَثَمَةِ لَمْ تَكُنْ مَطْرُوحَةً فِي الْقُرُونِ الْأُولَى.

وللأسف، فإنَّ هؤلاء يتدخلون في أمور ليست من اختصاصهم، فهم يوقعون أنفسهم فيما يؤخذون عليه في الدنيا والآخرة، كما إنَّهم يتسببون في وقوع الآخرين في مثل هذه المآزق.

ولقد أثبتنا في مباحث الإمامه والولاية، عصمه الأنبياء في القرآن الكريم؛ وإنَّ كانت بعض الآيات الكريمة توهم بعدم العصمه.

ومن الأدلَّة على عصمه الأئمَّة عليهم السَّلام، آية التطهير، والتي أُشير إليها في هذه الفقرة من الزيارة. (١)

يقول تعالى في القرآن الكريم:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ٢

ولنوضِّح معاني مفردات الألفاظ الواردة في الآية: «إنَّما»، «يُرِيدُ»، «ليذهب»، «الرجس»، فنقول:

إنَّ «إنَّما» سواءً كانت مركبة أو بسيطة، موضوعه وبتصريح أهل اللغة لإفاده الحصر، إلَّا إذا وجدت قرينه صارفه عن ذلك.

يقول ابن منظور في لسان العرب:

«إذا اضيفت» إنَّ «إلى» ما «فإنها تدلُّ على التعيين، مثل قوله تعالى :

«إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ» ٣، فإنها تدل على إثبات الحكم لهؤلاء ونفيه عن غيرهم» (٢)

ص: ١٧٧

١- (١) قد نشر للمؤلف ثلاثه بحوث في مجال آية التطهير.

٢- (٢) لسان العرب ١٣ / ٣٢؛ صحاح اللغة ٥ / ٢٠٧٣؛ القاموس المحيط ٤ / ١٩٨.



ولكنّ الفخر الرازي، أنكر دلالة «إنّما» على الحصر في آية الولاية وهي قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» ١ قائلاً:

«ولا نسلم أنّ الكلمه» إنّما «للحصر، والدليل عليه قوله: «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ» ٢. ولا شك أنّ الحياه الدنيا لها أمثال أخرى سوى هذا المثل. وقال: «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ» ٣ ولا شك أنّ اللعب واللّهو قد يحصل في غيرها». (١)

وفي مسأله مفهوم الحصر في كتب علم الاصول طرح علماؤنا كلام الفخر الرازي على طاولة البحث، وأجابوا عنه بالتفصيل، كما قد ردّ عليه في الكتب الكلاميه والتفسير أيضاً.

### هل إنّ الإراده تكويته أم تشريعيه ؟

والمراد من كلمه «يريد» هنا هو الإراده التكوينيّه لله تعالى ، إذ لو كانت تشريعيّه، لما كانت إمتيازاً لأهل البيت عليهم السّلام.

ولذا، فإنّ ابن تيميّه يصرّ على أنّ المراد هو الإراده التشريعيّه في الآيه، لينفى مدّعى شيعة أهل البيت - وهو عصمه أهل البيت عليهم السّلام - بإنكار دلالة الآيه على ذلك. (٢)

ص: ١٧٨

١- (٤) تفسير الرازي ١٢ / ٣٠.

٢- (٥) منهاج السنّه ٧ / ١٠٦ - ١١٠.

وقد اجيب عن هذه الشبهه فى محلّه (١).

وأما كلمه «ليذهب» فهى بمعنى الدفع لا الرّفْع.

وإنّ «الرّجس» هو الأعم من النقائص والقذارات الماديّه والمعنويّه، المحسوسه وغير المحسوسه.

وبالإلتفات إلى هذه الخصوصيات المأخوذه فى الآيه المباركه، تكون الآيه دالّه على عصمه أهل البيت عليهم السّلام.

ومن جهه ثانيه، فإنّ الأفعال «يُريد» و«ليذهب» فى الآيه الكريمه، مستنده إلى الله تعالى ، كما ورد فى الزياره الجامعه «عصمكم» حيث اسند الإعصام إلى الله تعالى .

### كيفيه دلالة الآيه على العصمه

ويتّضح - ممّا ذكرناه فى بيان معنى الآيه المباركه - كيفيه دلالتها على عصمه أهل البيت الذين خوطبوا بها عليهم الصّلاه والسّلام، وذلك يتلخّص فى أنّ الله قد أذهب عن أهل البيت الرّجس بجميع مصاديقه بإرادته التكوينيّه التى لا تتخلف وطهرهم تطهيراً.

### من هم أهل البيت ؟

ومن هم أهل البيت الوارد ذكرهم فى الآيه ؟

والجواب: إنّهُ ليس المراد من «أهل البيت» فى هذه الآيه إلّا الخمسه الطيبه:

رسول الله وعلى وفاطمه والحسن والحسين، عليهم الصّلاه والسّلام.

ص: ١٧٩



اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

قالت: فأدخلت رأسى البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله !

قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير».(١)

وجاء فى صحيح مسلم: عن صفية بنت شيبة، قالت:

«قالت عائشة: خرج النبى صلى الله عليه وآله وعليه مرط من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ٢

فإذا كان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله - كما ورد بسند صحيح - قد عيّن المراد من «أهل البيت» فى الآية الكريمة، فلماذا المكابره مع رسول الله ؟

ونقرأ فى آيه كريمه أخرى:

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» ٣

وقد نقل بأسانيد صحيحه فى كتب أهل السنّه أنّ النبى صلى الله عليه وآله قد عيّن المراد من القربى وهم على وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام. ومن ذلك ما روى عن ابن عباس قال:

«لما نزلت «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟

ص: ١٨١

قال: علي وفاطمه وابناهما»(١).

هذا، ولقد فسّر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَبَاهِلَةَ تفسيراً عملياً.

فعندما نزل قوله تعالى :

«فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ...» ٢

خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَبَاهِلَةَ مع النصارى، وهذا تفسير عملي للآية المباركة.

فلماذا لم يقبل أهل السنّة هذه السنّة الواصلة إليهم بسند صحيح وقد ذكروه في كتبهم ؟

وفي روايه أخرى، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:

«أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب ؟

فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَبَاهِلَةَ؛ لأن تكون لي واحده منهنّ أحبّ إلي من حمر النعم. سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَبَاهِلَةَ يقول له وخلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله ! خلّفتني مع النساء والصبيان ؟

فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَبَاهِلَةَ: أما ترضى أن تكون منّي بمنزله هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّه بعدى ؟

وسمعه يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله.

ص: ١٨٢

١- (١) المعجم الكبير ٣ / ٤٧، الحديث ٢٦٤١؛ مجمع الزوائد ٧ / ١٠٣.

قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لى علياً.

فأتى به أرمداً، فبصق فى عينه ودفعا الرايه إليه، ففتح الله عليه.

ولمّا نزلت هذه الآيه «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» الآيه، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمه وحسيناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلى» (١).

فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عندما نزلت آيه التطهير، قد عيّن «أهل البيت» قولاً وفعلاً، وشخصهم بأشخاصهم، فهل بعد ذلك مجالاً للإنكار والمكابره؟

نعم، إنّه عكرمه البربرى الخارجى - الذى قال أهل السنّه فى حقّه أنه كذاب وجرحوه وطعنوا فيه (٢) - كان يدور فى الأسواق ويقول: لا والله!! ليس كما تقولون، وإنما نزلت آيه التطهير فى نساء النبى فقط!! (٣)

ومنه يظهر أنّ المعروف عند المسلمين فى ذلك الوقت هو أنّ آيه التطهير نزلت فى حقّ أهل البيت خاصّه، فكان عكرمه يخالف عامّه المسلمين ويدعى إنّها فى نساء النبى خاصّه!!

هذا الخارجى البربرى الذى حضر عند ابن عباس مدّه، ثمّ كذب على ابن عباس، ونسب إليه ما لم يقله، فعاقبه على بن عبد الله بن عباس وربطه بالحبل باب بيت الخلاء، هل يكون كلامه حجّه!؟

ومن هنا، كان حديث الكساء المذكور هو الخبر المشهور روايه بين أهل

ص: ١٨٣

١- (١) صحيح مسلم ٧ / ١٢٠ و ١٢١؛ سنن الترمذى ٥ / ٣٠١، الحديث ٣٨٠٨؛ فتح البارى ٧ / ٦٠؛ السنن الكبرى ٥ / ١٠٧.

٢- (٢) راجع: تاريخ مدينه دمشق ٤١ / ١٠٦؛ تهذيب الكمال ٢٠ / ٢٨٦؛ سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٨.

٣- (٣) راجع: تفسير الثعلبى ٨ / ٣٦؛ تفسير ابن كثير ٣ / ٤٩١؛ الدرّ المنثور ٥ / ١٩٨؛ فتح القدير ٤ / ٢٧٩.

السنة بتفسير الآيه، وبأسانيد صحيحه ومعتبره، كما في صحيح مسلم، مسند أحمد، تفسير الطبري وغيرها من مصادرهم، حيث أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد عين أهل البيت عملياً، ثم قال صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي» (١).

ومن جهة أخرى، فقد نصَّ غير واحدٍ من كبار علماء أهل السنة، كأبي جعفر الطحاوي - وهو فقيه محدث جليل القدر عندهم - وتقى الدين المقرئ، على هذه الحقيقة، وقالوا: إن المراد من الآيه هم أهل البيت فقط. (٢)

فها هو الطحاوي في كتابه «مشكل الآثار»، بعد نقل روايات حول اختصاص آيه التطهير بالنبي وأمير المؤمنين وفاطمه والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين وخروج أم سلمه عن عنوان أهل البيت، يقول:

«فإن قال قائل: فإن كتاب الله تعالى يدل على أن أزواج النبي هم المقصودون بتلك الآيه، لأنه قال قبلها في السوره التي هي فيها: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ...» فكان ذلك كله يؤذن به، لأنه على خطاب النساء لا على خطاب الرجال، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ».

فكان جوابنا له: إن الذي تلاه إلى آخر ما قبل قوله: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ» ...

خطاب لأزواجه، ثم أعقب ذلك بخطاب لأهله بقوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ»

ص: ١٨٤

١- (١) صحيح مسلم ١٢١/٧؛ مسند احمد بن حنبل ١٠٧/٤ و ٢٩٢/٦؛ سنن الترمذى ٣٢٨/٥؛ السنن الكبرى، البيهقي ١٥٠/٢؛ السنن الكبرى، النسائي ١١٣/٥؛ تفسير جامع البيان ٩/٢٢ - ١٠، الحديث ٢١٧٣٠؛ صحيح ابن حبان ٤٣٣/١٥؛ المعجم الكبير ٢٨١/٢٣ و ٣٣٣/٢٣؛ المعجم الأوسط ٣١٩/٧؛ المعجم الصغير ١٣٥/١؛ المستدرک على الصحيحين ٤١٦/٢؛ مجمع الزوائد ١٦٦/٩ - ١٦٩؛ الدر المنثور ١٩٩/٥.

٢- (٢) إمتاع الأسماع ٥ / ٣٨٣ - ٣٨٨.

الآية، فجاء به على خطاب الرجال، لأنه قال فيه: «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ» وهكذا خطاب الرجال، وما قبله فجاء به بالنون وكذلك خطاب النساء.

فعلنا أن قوله: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ»، خطاب لمن أراده من الرجال بذلك، ليعلمهم تشريفه لهم ورفعهم لمقدارهم أن جعل نساءهم ممن قد وصفه لما وصفه به مما في الآيات المتلوه قبل الذي خاطبهم به تعالى .

ومما دلّ على ذلك أيضاً ما قد حدّثنا... عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصّلاه يا أهل البيت «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ» الآية، وما قد حدّثنا... أبو الحمراء، قال: صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله...

في هذا أيضاً دليل على أن هذه الآية فيهم» (١).

ومع إحترامنا الخاص لامّ سلمه، لكنّها ليست مشموله بالآية (٢).

أبعد كلّ هذا، هل يمكن أن تشمل آية التطهير عائشة وحفصة بعد ورود ما ورد في حقهما في سورة التحريم، والذي وضّحناه في محله؟! (٣)

هذا، وقد ألفت كتباً خاصّة كثيرة حول آية التطهير وحديث الكساء وقدمت تحقيقات رشيقة في بعض الموسوعات، أثبتت ليس فقط بطلان القول باختصاص الآية بنساء النبي، وإنما أبطلت حتى إشراكهن مع أهل البيت فيها.

ص: ١٨٥

١- (١) مشكل الآثار ١ / ٣٣٧ - ٣٣٩.

٢- (٢) راجع: الدرّ المنثور ٥ / ١٩٨؛ تفسير ابن كثير ٣ / ٤٩٣؛ المعجم الكبير ٣ / ٥٢ و ٥٣، حديث ٢٦٦٢ و ٢٦٦٤؛ تاريخ مدینه دمشق ١٤ / ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٥؛ شواهد التنزيل ٢ / ٦٢، الحديث ٦٨٢ و ٦٨٣؛ مشكل الآثار ١ / ٣٣٦.

٣- (٣) راجع: تشييد المراجعات ٤ / ٣٧.



والحاصل: إنَّ هذا الحديث الشَّريف - الصَّحيح سنداً عند الفريقين والواضح دلالةً - يثبت اختصاص آية التطهير بأهل البيت عليهم السَّلام، وليس للمخالفين إلَّا التمسُّك بالسَّيِّاق. حيث يقولون: إنَّ آية التطهير قد وردت في ضمن الآيات المتحدِّثه مع نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

ويمكن الإجابة عن ذلك بعدّه وجوه:

الأوَّل: إنَّ السَّيِّاق قرينه عُرفيه في الموارد التي لم يرد فيها الدليل، فنرجع إلى السَّيِّاق لنعرف معنى الكلام في حال عدم الدليل؛ وأمَّا إذا قام الدليل في موردٍ على المعنى المقصود، لم يكن السَّيِّاق حينئذٍ قرينه على المعنى المخالف لمضمون الدليل.

الثاني: إنَّ قبول هذا السَّيِّاق هو أوَّل الكلام، كما ذكر غير واحدٍ من علماء أهل السنَّة، قالوا: لأنَّ الضمائر الموجوده في الآيات، ضمائر تأنيث، وعندما نصل إلى هذه الآيه نجد إنَّ الضمير للتذكير، فأين السَّيِّاق إذن؟

يقول ابن حجر المكي الشَّافعي في الصواعق المحرقة: «الفصل الأوَّل في الآيات الواردة فيهم».

الآيه الأولى، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» وأكثر المفسِّرين على أنَّها نزلت على علي وفاطمه والحسن والحسين، لتذكير ضمير «عنكم» وما بعده»(١)

وكذا قال الحافظ أبو جعفر الطحاوي وغيره

وخير شاهد على عدم السَّيِّاقيه، هو أننا إذا رفعنا آية التطهير من بين تلك

ص: ١٨٤

---

١- (١) الصواعق المحرقة ٢ / ٤٢١؛ راجع: ينابيع المودَّة ٢ / ٤٢٩.

الآيات فى خطاب نساء النبى؁ لم يحصل أى خلل فى نظم الآيات وبقى الإرتباط بين الآيات المتناوله لنساء النبى محفوظاً.

الثالته: أننا طرحنا فى محلّه بحثاً كبروياً فى أنّ ترتيب سور القرآن الكرىم وآياته الشرىفه؁ بهذا النحو الموجود؁ هل كان فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وبأمر منه أم لا؟

فهذا المطلب لابدّ من إثباته.

وعليه؁ فمجرّد أن يقال: إنّ آيه التطهير وقعت بين الآيات المتعلّقه بنساء النبى صلّى الله عليه وآله؁ ولذا؁ فإن المراد منها هو نساء النبى !! مثل هذا الكلام لا يمكن قبوله أصلاً. وكذلك القول بمشاركتهنّ لأهل البيت فى الآيه المباركه؁ بدعوى أنّه مقتضى الجمع بين السياق و الحديث الصحيح الوارد فى اختصاصها بأهل البيت؁ (١) فإنّه قول باطل؁ لأنّه على خلاف السنّه النبويّه المعتمده كما عرفت.

ومن جهه أخرى؁ فإنّ التحقيق تكرر قصه حديث الكساء؁ وأنها لم تكن لمرّه واحده؁ لأنّ الأحاديث الوارده فيها مختلفه وكلّها بأسانيد صحيحه؁ و لا يمكن الجمع بينها والقول بأنّها جميعاً ناظره إلى حادثه واحده.

وهذا الأمر ليس عجيباً من رسول الله صلّى الله عليه وآله؁ فإنه كان يُكثر من الوصيّه بأهل بيته عليهم السلام وبأنحاء مختلفه؁ وقد تكررت منه بعض المواقف؁ لبيان الأهميّه.

وكمثال لذلك؁ فإن رسول الله صلّى الله عليه وآله؁ وقبل يوم غدیر خُم؁ قال:

«من كنت مولاه فهذا على مولاه»؛

ص: ١٨٧

١- (١) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٩٢.

يقول بريدته:

«غزوت مع علي عليه السلام اليمن، فرأيت منه جفوةً، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله ذكرت علياً، فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتغير، فقال: يا بريده! ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قلت: بلى يا رسول الله!

قال: فمن كنت مولاه فعلى مولاه» (١).

فالبعض يُشكل علينا ويقول: كيف تروون حديث الغدير عن فلانٍ من الصحابة، والحال أنه كان قد مات قبل حجّه الوداع؟

ونقول في الجواب: قد ورد بسند صحيح عن طريق الصحابي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه»، ثمّ ثبت موته بعد واقعه بدر، ممّا يدلّ على تكرّر صدور هذا الكلام منه صلى الله عليه وآله.

ومن جملة المواطن التي وردت فيها هذه العبارة أيضاً، قضية المؤاخاه التي وقعت أوائل أيام الهجرة.

ففي هذه القضية قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«ما يبكيك يا أبا الحسن؟

قال: آخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله، وأنا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخ بيني وبين أحد. قال: إنّما ادّخرتك لنفسى، ألا يسرك أن تكون أخا نبيك؟

ص: ١٨٨

---

١- (١) مسند أحمد بن حنبل ٥ / ٣٤٧؛ المستدرک علی الصحیحین ٣ / ١١٠؛ المناقب، الخوارزمي: ١٣٤؛ يبايع المودّه ١ / ١٠٦؛ كشف الغمّه: ٢٩٢ - ٢٩٣؛ البدايه والنهائيه ٥ / ٢٢٨ و ٧ / ٣٧٩؛ تاريخ مدينه دمشق ٤٢ / ١٨٧؛ خصائص أمير المؤمنين، النسائي: ٩٤ - ٩٥؛ تحفه الأحوذى ١٠ / ١٤٧، بحار الأنوار ٣٧ / ١٨٧، الحديث ٧٠ و ٢١٩، الحديث ٨٨.

قال: بلى يا رسول الله، أنى لى بذلك.

فأخذ بيده وأرقاه المنبر، فقال: اللهم هذا منى وأنا منه، ألا- إنه منى بمنزله هارون من موسى، ألا- من كنت مولاه فهذا على مولاه...»(١)

إذن، فقول رسول الله صلى اله عليه وآله «من كنت مولاه فهذا على مولاه» لم يكن لمزّه واحده، ولكن واقعه الغدير اشتهرت أكثر من بقيه الموارد.

والنموذج الآخر، هو حديث الثقلين، المتواتر بين المسلمين، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنى تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.»(٢)

فهذا الحديث أيضاً قد سُمع مراراً من لسان رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعلى الإجمال، فحديث الكساء الشريف قد تكرر أكثر من مرّه، بناءً على التحقيق الذى ورد فى كتب أهل السنّه ومصادرهم المعبره؛ كما إن آيه التطهير تكرر نزولها.

وكذا، ثبت أن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله قال مراراً وفى موارد مختلفه:

«اللهم هؤلاء أهل بيتى.»

ص: ١٨٩

---

١- (١) العمده: ١٦٩ و ١٧٠، الحديث ٢٦٢؛ غايه المرام: ١١٢؛ الطرائف: ١٤٩، الحديث ٢٢٤؛ مجمع الزوائد ١١١/٩، لقد جاء بعض هذا الحديث فى: كشف اليقين: ٢٠٧ و ٢٠٨؛ المناقب، ابن المغازلى: ٩٩ و ١٠٠؛ كشف الغمّه ١ / ٣٣٥؛ بحار الأنوار ٣٧ / ١٨٦ و ١٨٧.

٢- (٢) بحثنا عن هذا الحديث سنداً ودلالةً بالتفصيل فى ثلاثه أجزاء من كتابنا الكبير نفحات الأزهار فى خلاصه عبقات الأنوار وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب لأهميته البالغه من جهات مختلفه.

فلا استبعاد لتكرار صدور مثل هذه الكلمات من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بل إِنَّ عَدَّهُ من كبار علماء أهل السنَّة قد صرَّحوا في كتبهم بتكرار وقوع حادثه حديث الكساء، مع أننا لانحتاج إلى توافقه معنا في شيء من المسائل بعد قيام الدليل. والخلاصه، هي إِنَّ الروايات المعتمده لحديث الكساء غير قابله للجمع، فلا مناص من القول بتكرار الوقعه.

### حديث الكساء عن فاطمه الزهراء

ومن جمله موارد الحديث هو الخبر الوارد في اجتماعهم تحت الكساء في بيت الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء عليها السلام، الذي يقرأ في مجالس المؤمنين منذ قديم الأيام تبركاً به.

قال المحدث الثقة الشيخ عبد الله البحراني:

«رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم، عن شيخه السيد ماجد البحراني عن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، عن شيخه المقدس الأردبيلي، عن شيخه علي بن عبد العالي الكركي، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن فهد الحلبي، عن الشيخ علي بن الخازن الحائري، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول، عن أبيه، عن فخر المحققين، عن شيخه ووالده العلّامة الحلبي، عن شيخه المحقق، ابن نما الحلبي، عن شيخه محمّد بن إدريس الحلبي، عن ابن حمزه الطوسي صاحب «ثاقب المناقب» عن الشيخ الجليل محمّد بن شهر آشوب، عن الطبرسي صاحب «الاحتجاج» عن شيخه الجليل الحسن بن محمّد ابن الحسن الطوسي، عن أبيه شيخ الطائفه، عن شيخه المفيد، عن شيخه

ابن قولويه القمّي، عن شيخه الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم ابن هاشم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي، عن أبي بصير، عن أبان بن تغلب البكري، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن فاطمه الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (١)

وهذا سند حديث الكساء عن فاطمه الزهراء عليها السلام في كتاب «عوالم العلوم» للشيخ البحراني المتوفى سنة ١١٠٧. وورد قطعه منه في كتاب «الغرر و الدرر» للشيخ الديلمي المتوفى سنة ٨٤١.

وقد أورد آيه الله السيد المرعشي روايه حديث الكساء عن الصديقه الطاهره في تعاليق كتاب «إحقاق الحق» حيث قال:

«أنقلها من رساله العالم الجليل الحجّه الزاهد الحاج الشيخ محمد تقى ابن الحاج الشيخ محمد باقر اليزدى الباقي نزيل قم». (٢)

ثم يقول: وقد نُقل هذا الحديث مسنداً في كتاب «عوالم العلوم» وهو من الكتب المعتمده التي لم تطبع وتنتشر لحد الآن.

ويضيف قائلاً:

«ثم طلبت من الفاضل الجليل الحجّه الشيخ محمد الصدوقى اليزدى أن يستكتب من نسخ «العوالم» سند الحديث ومنتته».

ثم يقول بعد ذلك:

ص: ١٩١

---

١- (١) عوالم العلوم، حياه الزهراء عليها السلام ٢ / ٩٣٠.

٢- (٢) شرح إحقاق الحق ٢ / ٥٣٣.

«وممن نقل المتن العلامه الجليل الثقة الثبت شيخنا فخر الدين محمد على الطريحي... وممن يوجد في كلماته هذا المتن العلامه الجليل الديلمي صاحب الإرشاد في كتابه الغرر والدرر، فيوجد فيه ما يقرب من نصف الخبر».

ثم يقول السيد المرعشى:

«وكذا الحسين العلوى الدمشقى الحنفى من أسره نباء الشّام، وقد رأيتُه بخطّه».(1)

ولا يخفى أنّ هذا القدر كافٍ للوثوق بوقوع القضية وصدور الخبر، فلا مجال للمناقشه فى السّند ولا فى المتن ولا فى دلالتة.

فلا يقال فى ناحيه السند، إنّ الشيخ البحرانى رحمه الله يقول: رأيت بخطّ...

فمن يضمن بصحّه تشخيصه بأنّ ذلك الخطّ هو خط السيد هاشم البحرانى رحمه الله ؟

إنّ الشيخ عبد الله البحرانى صاحب «عوامل العلوم» يشهد بأنّ هذا هو خط السيد هاشم البحرانى، والشيخ ثقة معتمد، ويقول: أنقله عن خط السيد هاشم.

فلو لم نعتد على مثل هذه الشهاده، يلزم التشكيك بكلّ النسخ الخطيه التى شهد عليها كبار علمائنا، كالشيخ البهائى والعلامه المجلسى وآخرين، حيث جاءت شهاداتهم على كتب الشيخ الصدوق و الشيخ الطوسى، وكتب أخرى غيرها فكانت دليلاً على ثبوت تلك الكتب ونسبتها إلى مصنفها.

ففى مكتبه السيد المرعشى فى قم مجلّد بخطّه من كتاب «التبيان فى تفسير القرآن» للشيخ الطوسى فهل من الجائز لغير أهل الاختصاص التشكيك فى صحّه النسبه ؟

ص: ١٩٢

أبداً، لا تصح الخدشه بهذا النحو، فإنه لا يستقر حينئذ حجرٌ على حجر، إلّا إذا ما أنكرنا وثاقه الشهود رأساً، والعياذ باللّهِ.

ولا يقال إنّ هذا السند المنسوب إلى السيد هاشم البحراني قدس سره، لم يُذكر في كتب السيد هاشم مثل كتاب «تفسير البرهان» وكتاب «غايه المرام» إذن، فالسند غير صحيح (!!)

كما لا يقال إنّ الكثير من كبار محدّثي الشيعة الذين وردت أسماءهم، في سلسله السند، كالشيخ الكليني، الشيخ المفيد، الشيخ الطوسي، ابن شهر آشوب، والطبرسي رحمهم اللّهُ، لم يذكروا «حديث الكساء» في كتبهم.

أقول:

إذا لم يذكر المرحوم الكليني - مثلاً - حديث الكساء بهذا المتن المعروف، في كتابه الكافي، فهل يعني هذا أنّ الحديث غير صحيح؟!؟

أفهل كان الكليني ملتزماً بنقل كلّ علومه في الكافي ليقال: إنّ ما نُقل في غير «الكافي» من أقوال الكليني، فهو كذب؟!؟

إذن، لا صرفُ الوجود دليلٌ على الصحه، ولا صرف عدم الوجود دليل على البطلان وعدم الصحه، وإنّما المهم هو النقل عن الثقات وصحّه سلسله السند إليه.

وكذا الكلام في الشيخ المفيد، الشيخ الطوسي، والعلّامه الحليّ فيما لو وقعوا في سند حديثٍ من الأحاديث ولم يذكروا ذاك الحديث في أيّ من كتبهم الفقهيّه والاصوليّه والروائيّه.

والحاصل، إنّ هذا الحديث معتبر ولو لم يرد في أيّ كتاب من الكتب المعروفه للفريقين، وحتىّ في الكتب المهمّه بجمع الأحاديث المنسوبه إلى أهل البيت عليهم السّلام، مثل كتاب بحار الأنوار للعلّامه المجلسي.

ص: ١٩٣



ونحن نبيُّنُ أمراً كبيراً يكون مورداً للإستفاده دائماً، وهو:

إنَّ الأمرَ العدمي لا يعتبر أبداً دليلاً على الأمر العدمي، ولا يصح الاستدلال على العدم بالعدم، فلا يقال للشخص: لست فقيهاً، لأنك لم تؤلّف كتاباً في الفقه! فعدم تأليفك في الفقه دليلٌ على عدم فقاھتك.

إنّ مثل هذا الإستدلال باطل، لأنّ عدم الكتابه في الفقه، ليس دليلاً على عدم فقاھه أبداً، بل هو لازم أعمّ .

نموذج آخر: يقول البعض: إذا كانت الإمامه مهمه إلى هذه الدرجه التي تدعون، فلماذا لم تُذكر في القرآن الكريم، ولم يصرّح فيه باسم أمير المؤمنين على ابن أبي طالب عليهما السلام؟

إذن، فإمامه على بن أبي طالب، باطله !!

نقول في مقام الجواب: إنّ القرآن الكريم لم يذكر إلّا أسماء بعض الأنبياء فقط، فهل إنّ نبوّه من لم تذكر أسماءهم، باطله؟

فبأى منطق يكون الأمر العدمي دليلاً على العدم؟!

ونموذج آخر؛ ما قيل: متى وأين قال الإمام الصادق عليه السلام، في كلامه وخطبه: «واللّعنُ الدائمُ على أعدائهم أجمعين؟»

فمادام الإمام الصادق عليه السلام لم يقل ذلك، لا يجوز لعن الأعداء في الخطب، لأنه عليه السلام لم يلعن أحداً !!

أفهل يكون الأمر العدمي دليلاً على العدم؟

ألا يحتمل أن الإمام الصادق عليه السلام كان في حال التقيّه؟

ألا تحتملون أنه عليه السلام قال ذلك ولم يصلنا؟(١)

إذن، فهذه كبرى كليله، وهى إنَّ الأمر العدمى لا يكون دليلاً على العدم.

والآن، وعوداً إلى صلب الموضوع نقول: لو قيل: إنَّ كبار علماء الفريقين لم يرووا قضية حديث الكساء، بالمتن الموجود بأيدينا، فالجواب:

من قال إنَّ علماء الفريقين لم يرووا ذلك؟ ومن المحتمل جداً أن تصل إلى أيدينا فى مستقبل الأيام كتب لم تكن قد وصلتنا لسبب من الأسباب، أو تطبع وقد كانت مخطوطه ولم تنشر لحدِّ الآن.

أين كتاب «مدينة العلم» للشيخ الصدوق، من كتب أصحابنا؟

و أين كتاب «الأحداث» لأبى الحسن المدائنى، من كتب غيرنا؟

أين مئات الكتب من هذا القبيل؟

ولماذا حالوا دون وصول هذه الكتب إلينا؟!

ولماذا لم تصل بعض فصول «تاريخ البلاذرى» إلى أيدينا، إلّا فى السنوات الأخيره؟

ولماذا لم يطبع وينشر «تاريخ ابن عساكر» إلّا أخيراً، مع إنه محشوّ بالأباطيل؟

وعندما طبَّع أهل السنّه كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد، ونشروه، لم ينشروا المجلد الخاص بالحسنين عليهما السلام، لماذا؟!

ص: ١٩٥

---

١- (١) جاء فى روايه: «سمعنا أبا عبد الله عليه السلام وهو يلحن فى دبر كلّ مكتوبه أربعة من الرجال وأربعاً من النساء. بحار الأنوار ٣٠. ٣٩٧، الحديث ١٧٠ نقلاً عن» التهذيب ٢ / ٣٢١، الباب ١٥، الحديث ١. للتحقيق راجع الكافى ٣ / ٣٤٢، الحديث ١٠؛ تفسير العياشى ١ / ٣٨٧، الحديث ١٤٠؛ رجال الكشّى: ١٣٥؛ الخرائج والجرائح ١ / ٢٩٢؛ بحار الأنوار ٢٧ / ٢٩ و ٣٠ / ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٤٧ / ٣٢٣، الحديث ١٧.

إذن، فمن أين نتيقن أنّ حديث الكساء غير موجود في تلك الكتب التي لم تصل إلى أيدينا؟

فبأى دليل يقال ببطلان قضيه حديث الكساء في بيت الزهراء الطاهره عليها السلام، و أنّها فاقده للمصدر و لا أصل لها؟

هذا، فضلاً عن الكتب الكثيره التي أتلفت فلم يبق لها عين ولا أثر، خاصّة في أحوال الرسول وأهل بيته، وحوادث صدر الإسلام!!  
ولذا، فإنّ نفى أو إثبات الأمور بهذه الطريقه باطلٌ .

وقد يقال: إنّ المحدث الشيخ عباس القمّي رحمه الله لم يذكر حديث الكساء عن الزهراء في كتابه المعروف «مفاتيح الجنان»، بل لقد ذكر في كتابه «منتهى الآمال» بأنّه لم يجد هذا الحديث في الكتب المعروفة وأصول الحديث ومجاميع المحدثين المعتمده، وأنّه يمكن القول بأن حديث الكساء عن الزهراء عليها السلام مما انفرد به كتاب المنتخب للطريحي.

ولكن الجواب:

أولاً: إنّما قال هذا قبل أن يطلع على وجود الخبر في كتاب «عوامل العلوم» وإلا لاعتمد على روايته وأدرج الحديث في كتاب المفاتيح.

وثانياً: إنه قد وضع حديث الكساء في الطبعة الثانيه التي كانت على حياته وتحت إشرافه، كما أخبرنا بذلك نجله العالم الجليل الشيخ محسن رحمه الله، ولولا ثبوته عنده لما أضافه، ولاسيما مع تنصيحه على المنع من إضافه شيء إلى كتابه من بعده.

وهذا تمام الكلام على سند حديث الكساء في دار الزهراء الطاهره.

وأما بالنسبه إلى متن هذا الحديث و مفاده:

ص: ١٩٦

فقد اشتمل هذا اللفظ على ما ليس في غيره من ألفاظ حديث الكساء، والمهم من ذلك هو ما ورد فيه عن الله سبحانه من قوله: «ما خلقت سماءً مبيتةً ولا أرضاً مدحيتةً ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئةً ولا فلماً يدور ولا بحراً يجري ولا فلماً يسرى، إلّا لأجلكم و محبتكم».

فربما يتوهم بعض الغافلين عن أنّ هذه الجمل غلوٌ، فالحديث بالتالي غير صحيح.

ولكنّ الأحاديث الواردة في كتب الفريقين بهذه المضامين كثيرة، وقد أوردنا جملةً منها عن الكتب المعروفة في هذا الكتاب بالمناسبة.

وبعد، فإنّه لا ريب في ترتب الثواب على قراءة هذا الحديث على أساس قاعده أخبار «من بلغ» التي عمل بها الفقهاء وأفتوا بناءً عليها في كثير من الموارد.

وعلى كلّ حال، فقد قامت السيرة عند أهل الولاء لأهل البيت عليهم السلام بقراءة هذا الحديث في مجالسهم والتبرك به و التوسل به إلى الله في حوائجهم.

فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ ، وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ ، وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ ، وَأَذْمَنْتُمْ ذِكْرَهُ ، وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ ، وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ ، وَنَصَّيْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ  
وَالْعَلَانِيَةِ ، وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَبَيَّذَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ ، وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ ،  
وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ، وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ،

وَجَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، حَتَّىٰ أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ وَبَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ وَنَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ ، وَسَيِّنْتُمْ سُنَّتَهُ ، وَصِرْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا ، وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَىٰ ؛

ص: ١٩٩



إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنْحَ الْأَثْمَةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ كُلِّ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ وَالْمَنَازِلِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي فِقْرَاتِ الزِّيَارَةِ السَّابِقَةِ، وَهَذَا الْمَقْطَعُ مِنَ الزِّيَارَةِ يَتَعَرَّضُ - بَفَاءِ التَّفْرِيعِ - لِبَيَانِ كَيْفِيَةِ شُكْرِ الْأَثْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى تِلْكَ النِّعَمِ وَالْعَطَايَا الْإِلَهِيَّةِ .

وَيُمْكِنُ الْبَحْثُ عَنِ مَفَاهِيمِ هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ جِهَتَيْنِ:

١ - الْمَدْلُولُ الْكُلِّيُّ لِلْمَقْطَعِ .

٢ - النِّقَاطُ الَّتِي تَتَضَمَّنُهَا كُلُّ جُمْلَةٍ مِنْ جُمْلِهِ .

### ما تفيده الفقره من حيث المجموع

إِنَّ الْمَقَامَاتِ الْجَلِيلَةَ وَالْمَنَاصِبَ الْعَظِيمَةَ الْمَذْكُورَةَ هُنَا قَدْ جَاءَتْ بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي، لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَحَقُّقِهَا عَلَى وَجْهِ الْيَقِينِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْأَثْمَةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، كُلِّهَا أَفْعَالٌ مَسْتَنْدَةٌ إِلَى الْبَارِي عَزَّوَجَلَّ: «إِجْتِبَاكُمْ، إِخْتَارَكُمْ، إِصْطَفَاكُمْ، هَدَاكُمْ...» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ.

فَمَاذَا يَنْبَغِي عَلَى الْأَثْمَةِ أَنْ يَفْعَلُوا لِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ؟ وَمَاذَا فَعَلُوا عَلَيْهِمُ السَّلَامَ؟ لَوْ أَنَّ أَحَدَ أَفْرَادِ الْبَشَرِ اعْطِيَ مَقَاماً دُنْيَوِيّاً، كَيْفَ يَتَصَرَّفُ!!؟



يقول تعالى فى كتابه الكرىم:

«كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاغِي \*أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى» ١

وهذا هو مقتضى طبع الإنسان، يطغى إذا ما حصل على مقام. وللطغيان مراتب، وهى بالترتيب:

١ - الغرور.

٢ - الإستغناء عن ولى نعمته والمتفصّل عليه، والتنكر له.

٣ - والمرتبّه الأعلى ، النّديه لولى النعمه، بأن يرى نفسه فى عرض ولى نعمته.

٤ - وقد يصل الأمر أحياناً إلى الانقلاب على ولى النعمه ومحاربتّه علناً لإفناؤه.

والأئمه الأطهار عليهم السّلام، بشرّ، لكنّهم يختلفون عن سائر البشر. لأنّ الله تعالى أعطى الأئمه كلّ تلك المقامات وجعلهم فى تلك المنزله الساميه التى لا تبيّن لأحد من البشر غيرهم، ومع ذلك، فليس فقط لم تتغير أحوالهم نحو الطغيان، بل كان خضوعهم وخشوعهم لله يزداد ويتضاعف كلّما سمت مقاماتهم أكثر فأكثر.

فكأنما هى علاقه طرديه بين الله تعالى وبين الأئمه عليهم السّلام. فكّلما إزداد عطاء الله وكثرت مقاماتهم وسمت منازلهم، كلّما إزداد إستصغارهم لأنفسهم فى قبال ولى نعمتهم، وزاد خضوعهم وتذلّلتهم له.

وكذلك العكس صحيح، فكّلما إزداد خضوعهم وتذلّلتهم لله، كلّما رفع الله مقاماتهم وزادهم جاهه وسمواً وعزه.

ص: ٢٠٢

ومن هنا قلنا سابقاً، وإستناداً إلى الروايات: إِنَّ الأئمة عليهم السّلام إذا ما وصلوا إلى مرتبه عاليه ومقام شامخ، فإن ذلك عن طريق العبوديه لله، وكذا من تربي في مدرسه أهل البيت عليهم السّلام ونال مرتبه معينه.

والحقيقه، إِنَّ رابطة العبوديه والطاعه بين العبد ومولاه، على ثلاثه أنحاء:

١ - تاره، تكون طاعه العبد وعبادته بحدّ لا تتعدى عدم التمرد على الأوامر والنواهي. وهذا المقدار من الطاعه والعبوديه جيد جدّاً، ويوصف مثل هذا الإنسان بأنه عامل بالواجبات، تارك للمحرّمات وهذه هي التقوى.

٢ - وتاره، يكون العبد بمرتبته تتعدى عدم التمرد على الواجبات والمحرّمات، بل يحاول العبد عدم مخالفه المولى في المندوبات والمكروهات وسائر ما لا يؤاخذة على مخالفته. ورتبه هذا العبد - بطبيعته الحال - أعلى من رتبه السابق، وهو أكثر قرباً إلى المولى من الأول.

٣ - وتاره، يحبّ العبد مولاه و تشتدّ علقته به، فتصل إلى درجه هي أعلى من المرتبتين السابقتين، فيحصل له به الأُنس و القرب منه بحيث يطلع على كلّ ما يحبّ و يكره، فيفعل ما يحبّ و يترك ما يكره قبل أن يصدر الأمر والنهي من المولى.

وكمثال تقريبي لهذا المعنى: عاده ما يكون في بيت مرجع التقليد عده أشخاص يعملون و يخدمون، وكلّهم محبّون عنده وأعزّاء، ولكن قد يتفق أن يكون أحدهم مقدّماً على غيره و مقرباً عنده أكثر من الآخريين. وهذا إنّما ينشأ عن معرفه هذا الشخص الموظف أو الخادم بروحيّات المرجع ومطلّعاً على تطلّعاته وما يحبّ و يكره، فهو يعلم ما هو المناسب لحال المرجع في الساعه الكذائيه، فيسرع بإحضاره إليه قبل أن يطلب.

والأئمة عليهم السّلام، ليسوا مطيعين لله تعالى في أوامره ونواهيه فحسب، ولا هم غير تاركين للأولى فحسب، بل هم مسارعون إلى فعل كلّ ما يوجب محبته الله ورضاه، حتى وإن لم يصدر حكمٌ بشأنه. كما إنهم يتجنبون كلّ ما يمكن أن يُسخط الربّ ولا يرضاه أو يُغضبّه، وإن لم يصدر النهى فيه.

ولذا فهم عليهم السّلام أقرب إلى الله من سائر خلقه، وأعزّهم عنده.

ولكن علاقته الأئمة عليهم السّلام بالله تعالى، غير قابله للدرك من قبلنا، فهي فوق حدّ تصورنا، وما ذكرناه إنّما هو لتقريب المطلب إلى الأذهان.

فالأئمة عليهم السّلام قد وصلوا - على أثر العبوديّة الحقّه - إلى مرتبه صار فعلهم وتركهم فيها دليلاً على إرادة الله تعالى، وقد اشير إلى هذه الحقيقه في الروايات الشريفه وفي بعض مقاطع الزيارة الجامعه.

يقول تعالى في كتابه المجيد في هذا المضمّن:

«بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ \* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» ١

ونقرأ في زياره الإمام صاحب الزمان عليه السّلام:

«السلام عليك يا... دليل إرادته» (١)

والحاصل، إنّ الجامع بين كلّ عبارات هذا المقطع هو الخشوع والخضوع بين يدي الله تعالى وشكر تلك النعم الإلهيّة والمقامات الربانيّه، على إختلاف ألفاظ العبارات.

ص: ٢٠٤

---

١- (٢) الإحتجاج ٢ / ٣١٦؛ المزار، محمد بن المشهدى: ٥٦٩؛ بحار الأنوار ٥٣ / ١٧١، الحديث ٥.

قال الراغب الإصفهاني في هذه الكلمة:

«الجلال: عظم القدر، والجلال - بغير الهاء - التناهي في ذلك، وخصّ بوصف الله تعالى فقيل: «ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ١ ولم يستعمل في غيره» (١).

وجاء في مجمع البحرين:

«الجليل» من أسمائه تعالى، وهو راجع إلى كمال الصفات، كما إنَّ «الكبير» راجع إلى كمال الذات، و«العظيم» راجع إلى كمال الذات والصفات» (٢).

وكما قلنا سابقاً؛ فإن جملة «إصطفاكم بعلمه» وما بعدها، إشارة إلى المقامات الإلهية المعطاه للأئمة عليهم السّلام، كالعلم، القدره، الهدايه، الحكمه، الطهاره و... .

وفي هذا المقطع بيانٌ لخشوع وخضوع وتذلل الأئمة عليهم السّلام في قبال جامعيه الحق تعالى لتلك الصفات بشأنها المطلق الكامل اللامتناهي، وإنَّ كلَّ ما عندهم عليهم السّلام هو من الله تعالى الذي عنده كلّ صفات الكمال وفي أعلى المراتب.

إنَّ العباد كلّهم، يعظّمون الله تعالى، و يتصاغرون أمام جلاله، و لكنّ كلَّ واحدٍ منهم يفعل ذلك بما يتناسب مع مقدار معرفته بالله تعالى، فأين تعظيمنا لله من تعظيم الأئمة عليهم السّلام؟

ص: ٢٠٥

١- (٢) المفردات في غريب القرآن: ٩٤ - ٩٥.

٢- (٣) مجمع البحرين ١ / ٣٨٩.

يقول الراغب الإصفهاني:

«أكبرت الشيء: رأيتَه كبيراً، قال: «فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ» ١

والتكبير يقال لذلك ولتعظيم الله تعالى بقولهم: الله أكبر...»(١)

وما هو الشأن؟

يقول الراغب الإصفهاني:

«الشأن: الحال والأمر الذي يَتَّفِقُ ويصلح، ولا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمر، قال تعالى: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» ٤٣»

وقد ورد في تفسير الآية:

عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه مرويه في الكافي والقمي قال:

«يحيى ويميت ويرزق ويزيد وينقص»

وفي المجمع عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ:

«من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين»

قيل: هو ردّ لقول اليهود، إنّ الله لا يقضى يوم السبت شيئاً أو إنه قد فرغ من الأمر. (٢)

فالأئمة عليهم السلام يعرفون شأن الله، يعنى قدرته على الامور كلّها، وأنّ كلّ ما عند العباد فهو منه تعالى ، وأنه جلّ وعلا غنى على الإطلاق، وأنّ عظمته هذه لا توصف ولا تدرك، يعلمون ذلك فيتصاغرون ويتواضعون قبالة.

ص: ٢٠٦

١- (٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٢٢.

٢- (٥) تفسير الصافي ٥ / ١١٠.

## وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ

قال الراغب الإصفهاني في «المفردات في غريب القرآن»:

«المجد: السِّعَة في الكرم والجلال... وقولهم في صفة الله تعالى: المجد أي يجرى السعة في بذل الفضل المختص به. وقوله في صفة القرآن: «ق\*وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ»،<sup>١</sup> فوصفه بذلك لكثرة ما يتضمّن من المكارم الدنيويّة والأخرويّة... والتمجيد من العبد لله بالقول وذكر الصفات الحسنه، ومن الله للعبد بإعطائه الفضل»<sup>(١)</sup>

ثمّ يفسّر «كرم» ويقول:

«إذا وُصف الله تعالى به فهو اسمٌ لإحسانه وإنعامه المتظاهر»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا، سيكون معنى هذه العبارة: إنّ الأئمة عليهم السّلام يعرفون سعة إحسان الله وكثره نعمه، فهم واقفون تماماً على هذا المعنى، ولذا، فهم يشكرونه على ذلك ويتخضعون ويتذلّلون له بأعلى مراتب التذلّل والخضوع.

## وَأَدَمْتُمْ ذِكْرَهُ

### إشاره

إنّ الأئمة عليهم السّلام دائموا الذكر، فهم مدمنون على ذكر الله تعالى .

### معنى الذكر

والذكر ما يقابل الغفلة والنسيان.

قال في مجمع البحرين:

ص: ٢٠٧

١- (٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٦٣ و ٤٦٤.

٢- (٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٢٨.

«الذكر بالكسر: نقيض النسيان».(١)

وأما الراغب الإصفهاني، فيقول في المفردات:

«الذكر ذكران، ذكرٌ بالقلب وذكُرٌ باللسان، وكلُّ واحدٍ منها ضربان، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامه الحفظ»(٢)

فالأفضل أن نقول: الذكر: عدم الغفلة

هذا، وقد أشرنا في شرحنا لعبارة «وأهل الذكر» جانباً من ذكر الأئمة عليهم سلام الله تعالى، ولكنَّ جملة «وأدتمم ذكره» جاءت لبيان دوام ذكر الأئمة عليهم السلام وديمومته.

### بيان دوام الذكر

نعم، فأئمتنا هم العاملون بالآيات الواردة في باب الذكر، وهم المصاديق التامة لـ «أهل الذكر» ومن كلِّ الجهات.

فمن جهه كثره الذكر، يقول تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا»٣.

ومن جهه حالات الذكر، يقول تعالى:

«الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ»٤.

ومن جهه الظهور والخفاء، يقول تعالى:

ص: ٢٠٨

---

١- (١) مجمع البحرين ٢ / ٩٨.

٢- (٢) المفردات في غريب القرآن: ١٧٩.

«وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً» ١.

ومن جهه الأزمئه، يقول تعالى :

«وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أُصِيلاً» ٢

وإن كان الواجب سائر على المؤمنين أيضاً أن يكونوا دائمي الذكر بتمام معانيه.

وعن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

«إن سمعت الأذان وأنت على الخلاء، فقل مثل ما يقول المؤذن ولا تدع ذكر الله عزوجل في تلك الحال، لأن ذكر الله حسن على كل حال.

ثم قال عليه السلام: لما ناجى الله عزوجل موسى بن عمران عليه السلام قال موسى: يا رب أبعد أنت مني فأناديك؟ أم قريب فأناجيك؟

فأوحى الله عزوجل إليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني.

فقال موسى عليه السلام: يا رب! إنني أكون في حال أجلك أن أذكرك فيها.

قال يا موسى: اذكرني على كل حال! [\(١\)](#).

وقال عليه السلام أيضاً:

«لا بأس بذكر الله وأنت تبول، فإن ذكر الله عزوجل حسن على كل حال، فلا تسأم من ذكر الله» [\(٢\)](#).

ولكن للذاكر شروطاً وآداباً، فإن ذكر الله ينبغي أن يكون بنحو يستتبع ذكر الله تعالى للذاكر. قال تعالى في سورة البقره:

ص: ٢٠٩

---

١- (٣) علل الشرائع ١ / ٢٨٤، الحديث ١؛ بحار الأنوار ٨١ / ١٧٥، الحديث ٦.

٢- (٤) الكافي ٢ / ٤٩٧، الحديث ٦.



«فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» ١.

وأن يكون الذكر مستتبعاً للاطمئنان والاستقرار النفسى. يقول تعالى :

«أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» ٢

### آثار دوام الذكر

وما هي آثار كل واحد من الأذكار؟

فهل إن المراد من أن الأئمة دائمو الذكر، هو قولهم دائماً «سبحان الله والحمد لله»؟

أم إن المراد هو أن هؤلاء الكرام لم يغفلوا ولو للحظة واحده عن الله تعالى ، وفى كل أحوالهم وساعاتهم ؟

ترى، أيكون الإنسان ذاكراً لله تعالى ، وهو ساكت ؟

أيكون الإنسان ذاكراً لله تعالى حتى لو كان يتكلم مع الآخرين ؟

أيكون الإنسان ذاكراً حتى لو انشغل بشغل من مشاغل الدنيا ومتطلباتها؟

نعم، يمكن ذلك، ولكن لأى طائفه من البشر؟

يمكن ذلك للذاكرين حقيقه ، اولئك الذين لا يغفلون عن الله تعالى حتى لأقل من لحظه وفى كل أحوالهم.

فالمصداق الأتم ل «ذكر الله حسن على كل حال» هم الأئمة عليهم السلام، وبذلك فقط لا يكون الإنسان منفصلاً وبعيداً عن الله تعالى .

ص: ٢١٠

يقول تعالى فى الحديث القدسى:

«أنا جليس من ذكرنى». (١)

فمن لا يغفل عن الله تعالى أبداً، هو فى محضر الله جلّ وعلا، فكيف يكون منفصلاً عنه وبعيداً منه وهو فى محضر قدسه؟  
فكل وجود الأئمة عليهم السلام، سكوتهم، نطقهم، إنشغالهم بالأمور الحياتيه العاديه، وكلّ حالاتهم هى ذكر الله تعالى، لماذا؟  
لعدم غفلتهم عن الله.

فالذكر بمعنى عدم الغفله، لذا فهم دائماً ذاكرون، فى الظاهر والباطن، وهم مع الله دائماً، وعنده. وهذا هو ما يقوله الراوى:

«قال لى أبو عبد الله عليه السلام: ألا احذثك بأشدّ ما فرض الله عزّوجلّ على خلقه؟

قلت: بلى.

قال: إنصاف الناس من نفسك ومواساتك لأخيك وذكر الله فى كل موطن.

أما إنى لا- أقول: سبحان الله والحمد لله ولا- إله إلا الله والله أكبر، وإن كان هذا من ذلك، ولكن ذكر الله فى كل موطن إذا  
هجمت على طاعه أو معصيه». (٢)

فالمهم هنا، هو أن يكون الذكر مؤثراً فى وجود الإنسان وسلوكه، بنحو يجعله مع الله دائماً وفى كلّ أحواله، فمهما واجه من امور  
- إلهيه كانت أو شيطانيه - لابد أن يتصرّف بما يرضى الله، ففى الإطاعات، عليه أن يسارع إليها ولا يتوانى، وفى المعاصى عليه  
أن يستحضر الله ويعصى الشيطان ولا يستجيب لإغراءاته.

ص: ٢١١

١- (١) الكافى ٢/٤٩٦، كتاب التوحيد: ١٨٢، علل الشرائع ١/٢٨٤.

٢- (٢) معانى الأخبار: ١٩٣، الحديث ٣؛ بحار الأنوار ٩٠ / ١٥٤ و ١٥٥، الحديث ١٧.

وإذا ما ابتلى بمفرق طريقين في حياته، أحدهما يؤدي إلى طاعة الله والثاني إلى طاعة الشيطان، فسيكون ذكر الله سبيل نجاته.

وأساساً، متى يطمع الشيطان بالإنسان ويحاول إغوائه؟

إنه يطمع فيه حينما يجده غافلاً عن ذكر ربه وغير مجالس له، فالغفلة عن الله تعالى تساوي مجالسه الشيطان والسقوط في شباكه.

وهذا هو معنى قوله تعالى :

«وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» ١

والحقيقه، هي إن الشيطان يبذل كل جهده من أجل إغفال الإنسان عن ذكر ربه. يقول تعالى :

«اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» ٢

فالأئمة الأطهار عليهم السلام، دائمو الذكر بكل ما للكلمه من معنى، فلا يدانيهم أحد في «الدوام» ولا في «الذكر»، وكل من وصل إلى مرتبه من المراتب عن هذا الطريق، فهو تابع لهم ومستفيد منهم، لأن حقيقه الذكر إنما هي عندهم، بل إن ذكرهم هو ذكر الله، ولذا يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله عز وجل ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة.

ثم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إن ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان». (١)

ص: ٢١٢

فلاحظوا المراتب التي يصل إليها أتباع أهل البيت عليهم السّلام، ولاحظوا عاقبه أمر أتباع المدارس الاخرى !!

وقد ورد في الحديث الصحيح، بل المتواتر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال:

«مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»(١)

فنحن نريد إتباع أهل البيت عليهم السّلام، ونكون معهم في مدرستهم، لا أن نكون مع أهل الحلقات الخاصّه بأفرادٍ خاصّين، وفي زمان ومكان خاصّين، وذكر خاصّ مشتمل على الفسق والفجور، فأين هذا من هذا؟

### طرق الوصول إلى الله

ولابدّ من التذكير هنا، بأنّ الذكر وإن كان له تأثير في تهذيب النفس وزيادة كمالاتها، إلّا أنّ التوسل بأهل البيت عليهم السّلام وإتباع مقام العصمه، هو أقرب الطرق الموصلة للكمال وأسرعها، وهذا ما أشرنا إليه مراراً، وكلّ من وصل إلى درجه من الكمال والقرب إلى الله، فإنما وصل ببركه التوسل بهم والسّير على طريقهم صلوات الله وسلامه عليهم، لأنّ طريق غير أهل البيت عليهم السّلام، هو طريق ضلال لا يوصل إلّا إلى المتهات.

وهذا هو صريح القرآن الكريم بقوله تعالى :

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» ٢

ص: ٢١٣

---

١- (١) بحثنا عن هذا الحديث بالتفصيل في الجزء الرّابع من كتابنا الكبير، ونذكره في هذا الكتاب بالمناسبه.

يقول بُريد العجلي:

«سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»؛

قال: إيانا عنى»؛(١)

## وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ

### إشاره

قال الراغب الإصفهاني في معنى: «الميثاق»:

«الميثاق عقدٌ مؤكَّدٌ بيمينٍ وعهد».(٢)

ومن عبارته هذه يفهم أنّ «الميثاق» ليس مرادفًا لـ «العهد»، وهذا هو ظاهر الآية المباركة:

«الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ...» ٣

والتي تتحدث عن الفاسقين، فهم الذين ينقضون العهد من بعد توثيقه.

إذن، فليس كلُّ عهدٍ «ميثاق»، فالميثاق هو العهد المؤكَّد.

هذا، وقد فسّر «العقد» بـ «العهد»، فقد ورد في ذيل قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» ٤

بسندٍ صحيحٍ عن عبد الله بن سنان أنّ الإمام عليه السلام قال: العقود، هي العهود.(٣)

ص: ٢١٤

١- (١) بصائر الدرجات: ٥١، الحديث ١؛ بحار الأنوار ٢٤ / ٣١، الحديث ٣؛ وراجع: الكافي ١ / ٢٠٨، الحديث ١؛ تفسير الصافي

٢ / ٣٨٧، الحديث ١١٩.

٢- (٢) المفردات في غريب القرآن: ٥١٢.

٣- (٥) تفسير القمي ١ / ١٦٠؛ تفسير نور الثقلين ١ / ٥٨٣، الحديث ٨.

وقد اشير فى هذه العبارة إلى إرتباط الأئمة عليهم السلام بالله تعالى فى مرحلتين:

١ - مرحلة الميثاق مع الله عزوجل .

٢ - مرحلة الدعوه والعمل بالميثاق.

## ١ - مرحلة الميثاق الإلهى

### إشاره

لقد كان هذا الميثاق فى عالم قبل عالمنا هذا، والذى يعبر عنه ب «عالم الذر».

وهذا الميثاق كان لعموم ذريته آدم عليه السلام.

يقول تعالى فى كتابه المجيد:

«وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ \* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ \* وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١»

ولكن فى بعض الآيات الاخرى، وجه الخطاب للمؤمنين خاصه، مثل قوله تعالى :

«أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ... وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ ...» ٢

وفى بعض الآيات الكريمة إخبار عن أخذ الميثاق من خصوص بعض الامم، مثل قوله تعالى :

«وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» ١

وفى بعض الآيات الاخرى، يسوق الخطاب لميثاقٍ قد اخذ من أنبياء الله تعالى ، مثل قوله تعالى :

«وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ» ٢

هذا، وقد وصف الميثاق ب «الغليظ» فى بعض الآيات، مثل قوله تعالى :

«وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» ٣

وعليه، فإن الله تعالى لم يأخذ الميثاق من النبيين ومن أشرف الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله فقط، وإنما أخذ الميثاق من الناس فرداً فرداً أيضاً فى اليوم الذى خاطب ذريته آدم عليه السلام بقوله تعالى «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ».

وهنا تطرح بعض التساؤلات؛

ما هو الميثاق ؟

وكيف كان ؟

وأين كان ؟

وهل يختلف الميثاق المأخوذ من الأنبياء عن ميثاق سائر الناس ؟

لا شك فى أن أول ميثاق اخذ من عامه أولاد آدم عليه السلام هو ميثاق توحيد الله تعالى . يقول عزوجل فى كتابه:

ص: ٢١٤

«أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» ١

ويقول فى الآيه التى تليها:

«وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» ٢

وهناك آيات أخرى فى هذا المضمار تخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. من جملة هذه الآيات، قوله تعالى :

«وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» ٣

ويقول فى آيه أخرى:

«فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ» ٤

### فى روايات عالم الذر

وهنا أمورٌ نستنتجها من روايات «عالم الذر»:

الأول: إنَّ أول من استجاب لخطاب «ألستُ برَبِّكم»، فى ذلك العالم، وقال «بلى»، هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين على بن أبى طالب والأئمة عليهم السلام. يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنَّ بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأى شئ سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟

قال: إننى كنت أول من آمن بربى وأول من أجاب، حين أخذ الله ميثاق النبيين



«وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ» فكنت أنا أول نبي قال بلى.

فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل» (١).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في روايه أخرى:

«فلما أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه، فقال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق، رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم. فقالوا: أنت ربنا.

فحملهم العلم والدين.

ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون.

ثم قال لبني آدم: أقرؤا لله بالربوبيته ولهؤلاء النفس بالولايه والطاعه.

فقالوا: نعم ربنا أقررنا...» (٢).

الثاني: إن الميثاق المأخوذ، كان - مضافاً إلى التوحيد - على نبوه رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وولايه أمير المؤمنين عليه السلام.

«عن أبي عبد الله في قول الله: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...».

قال: أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذر، فعرفهم نفسه، ولولا ذلك لن يعرف أحد ربه.

ثم قال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ» وإن هذا محمد رسولي وعلى أمير المؤمنين خليفتي وأميني» (٣).

ص: ٢١٨

١- (١) الكافي ١ / ٤٤١، الحديث ٦؛ بحار الأنوار ١٥ / ١٥ - ١٦، الحديث ٢١.

٢- (٢) الكافي ١ / ١٣٣، الحديث ٧؛ بحار الأنوار ٥٤ / ٩٥، الحديث ٨٠.

٣- (٣) بصائر الدرجات: ٩١، الحديث ٦؛ بحار الأنوار ٥ / ٢٥، الحديث ٤٠.

الثالث: إِنَّ الْمُقَرَّبِينَ بِالْوَالِيَةِ كَانُوا قَلَّةً:

«عن أبي جعفر عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام: إِنَّ النّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لَعَلِّي عَلَيْهِ السّلام: أَنْتَ الَّذِي احْتَجَّ اللهُ بِهِ عَلَيَّ ابْتِدَاءَ الْخَلْقِ حَيْثُ أَقَامَهُمْ فَقَالَ:

«أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» قالوا جميعاً: بلى، فقال: محمّد رسولى؟ فقالوا جميعاً: بلى. فقال:

وعلى أمير المؤمنين؟ فقالوا جميعاً: لا، إستكباراً وعتوّاً عن ولايتك، إلّا نفر قليل وهم أصحاب اليمين». (١)

## ٢ – مرحلة الدعوة والعمل بالميثاق

### إشاره

لقد اخذ الميثاق من الأنبياء والأئمّه عليهم السّلام على دعوه الناس إلى التوحيد وعباده الله، بعد أخذه منهم أنفسهم على ذلك.

ولذا، فإن الله تعالى يخاطب رسوله الكريم بقوله:

«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ» ٢

وفى آيه أخرى، يقول تعالى :

«قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّيَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا» ٣

ونقرأ فى آيه ثالثة:

«تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ» ٤

ص: ٢١٩

---

١- (١) اليقين: ٢١٣؛ بحار الأنوار ٢٦ / ٢٨٥، الحديث ٤٣.

ومن الواضح أنّ هذه الدعوة، لها لوازم، نشير إلى بعضها فيما يلي:

١ - إنّ هؤلاء الأطهار الذين يدعون إلى الله بالنحو الذي يتطلبه الميثاق المأخوذ منهم، عليهم أولاً أن يعملوا ويطبّقوا ما يدعون الناس إليه.

وهذا هو مفاد كلّ الآيات التي قرأناها، بل وقد صرّحت بعض الآيات بذلك، مثل قوله تعالى والذي يخاطب به رسوله الأكرم محمداً صلّى الله عليه وآله:

«لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» ١

٢ - إنّ على الأنبياء عليهم السّلام أن يستقيموا في هذا الطريق. يقول تعالى:

«فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ» ٢

٣ - إنّ عليهم أن يدعو الناس إلى مضامين الميثاق المأخوذ منهم، بالطرق الصحيحة والمناسبة لشأن هذا الميثاق.

وهذا ما تضمنته الآية المباركة:

«أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» ٣

وسنوضح بعض الحقائق في شأن هذه الآية الكريمة لاحقاً.

٤ - أن تكون دعوتهم على أساس ما يوحى إليهم فقط. يقول تعالى:

«وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» ٤

٥ - أن يصبر هؤلاء على مضمون الميثاق. ولذا خوطب النبي الأكرم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بقوله تعالى :

«فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» ١

فمن الواضح جداً أنّ الصبر والتحمل من لوازم الدعوه إلى الله، ولقد عمل النبي وأهل بيته بما كان يقتضيه الميثاق والتزموا بلوازمه، كما لا يخفى على من نظر في سيرتهم وأحوالهم.

ولا يخفى، أنّ الميثاق بين الله تعالى وبين الأئمة عليهم السلام، كان على نحوين:

١ - الميثاق العام، وهو الميثاق المأخوذ منهم جميعاً كالأنبياء وكان الأئمة يعملون به.

٢ - الميثاق الخاص المأخوذ من كل واحد من أهل البيت - ومنهم الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء عليها السلام - وفيه تكاليفه الخاصه به، والتي تعهد بالعمل بها، وقد عملوا بها على أحسن وجه.

### الفرق بين «العهد» و«العقد»

وكما قلنا آنفاً، فإنّ «العقد» جاء بمعنى «العهد»، وقد فسرت الآيه المباركه بهذا المعنى أيضاً.

ولكن، نحن نعلم بأن «العقد» يتقوم بطرفين، وهو هنا متقوم بالبارى عزوجل وبالائمه الأطهار عليهم السلام، فهما طرفا هذا العقد، والعقد يتضمن الإلتزام.

وأما «العهد» فليس كالعقد. فهو التزام كذلك، لكن يتحقق مفهومه بطرف واحد.

ومن هنا فإنَّ كلَّ عقدٍ، عهدٌ ولا عكس.

وبعبارة أخرى، إنَّ النسبة بين العهد والعقد هي نسبة العموم والخصوص المطلق. (١)

ومن جهة أخرى، فإنَّ كلمة «عقد» مأخوذة من «عَقَدَ»، هذا العقد يتناسب مع الإحكام، فلذا قال: «وأحکمتم عَقَدَ طاعته»، وأما العهد الذى يمكن أن يتقوم بطرف واحد، فلا يتناسب مع الإحكام وإنما يتناسب مع التوكيد، ولذا قال عليه السَّلام: «ووكَّدتم ميثاقه».

وهذا من ظرائف ما تحمله هذه العبارة من معان، ولطائفها.

### الناصحون فى السرِّ والعلن

إذن، فهذه المعانى متوفرة فى الأئمة عليهم السَّلام، وإنَّ هؤلاء الأطهار قد التزموا بلوازم هذا الميثاق والعهد.

ومن هنا فإننا نقرأ بعد تلك العبارة:

وَنَصَحْتُمْ لَهُ فى السَّرِّ والعلانيه

وكلمه «نصح» فى اللغة: «خلافُ الغش». (٢) يقول الراغب الإصفهاني:

«نصحت له الودَّ، أى أخلصته. وناصح العسل: خالصه». (٣)

وعلى هذا، فإنَّ الأئمة عليهم السَّلام كانوا لله فى كلِّ وجودهم، وكانوا فى أعلى درجات الخلوص له عزَّوجلَّ فى كلِّ أحوالهم.

ص: ٢٢٢

١- (١) مجمع البحرين ٣ / ٢١٧. وقد جاء فى هذا الكتاب: فكلَّ عهد عقد ولا يكون كلَّ عقد عهداً.

٢- (٢) مجمع البحرين ٤ / ٣١٨.

٣- (٣) المفردات فى غريب القرآن: ٤٩٤.

وقد يكون المراد من «نصحتهم له» هو إرادته الخير للناس في رضا الله تعالى ، ودعوتهم إلى الحق، كما قال تعالى :

«أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ...»<sup>١</sup>

فالأئمة عليهم السلام دَعَوْا الناس سراً وعلانيه، وبكلّ نحو من الأنحاء بحسب مقتضى الزمان والمكان والأشخاص.

## وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

### إشاره

وهذه العبارة إشارة إلى الآية المباركة:

«أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»<sup>٢</sup>

والأئمة عليهم السلام فعلوا نفس ما فعله النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَطَبَّقُوا بِرَنَامِجِهِ.

وقد فسّرت «الحكمه» في الروايات ب «القرآن»<sup>(١)</sup>، وهذا صحيح جداً، إذ إنّ القرآن الكريم هو خير وسيله لدعوه الناس على اختلاف مستوياتهم، ومن ثمّ صار القرآن نوراً وهدى للعالمين.

و«الموعظه» أيضاً من أسماء القرآن الكريم، حيث قال تعالى :

«...وَهُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ»<sup>٤</sup>

ص: ٢٢٣

وهذا أيضاً في غايه المتانهِ والصَّحَهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ خَيْرٌ وَعَظٌ لِمَنْ قَرَأَهُ أَوْ سَمِعَهُ وَتَدَبَّرَ فِيهِ.

«اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ...»<sup>١</sup>

### تَنوعُ الدَّعْوَةِ بِحَسَبِ اخْتِلافِ المَواردِ

وهنا نقول:

إنَّ استدلالاتِ واحتجاجاتِ الأئمَّةِ عليهم السَّلامُ، والمنقولِهِ في أصولِ الكافي، وكتابِ التوحيدِ للشيخِ الصدوقِ رحمه الله، والاحتجاجِ للطبرسي، كانتِ بنحوِ تدلِّ على أنَّ أولَ وظائفِ الداعي هو أن يدعو الآخرين بما يتناسب مع حالاتهم وأحوالهم. أي أن تكون دعوتهم مطابقه للحكمه. (١)

بمعنى أنَّه إذا دعت الحاجه إلى إقامه الدليل والبرهان المتناسب مع مستوى ثقافه الطرف المحاور، كان عليه إقامه الدليل لإقناعه وهدايته، خاصه إذا كان الطرف المقابل من أهل العلم وصاحب رأي ونظر، فيجب مباحثته طبقاً لمبانيه ومقبولاته، لدعوته إلى الله تعالى وطاعته في أوامره ونواهيهِ.

وأما إذا كان من عامَّة الناس وعوامهم، فيجب إقناعه بالموعظه الحسنه المتناسبه مع حاله وأحواله بالنحو المؤثر في هدايته.

ص: ٢٢٤

---

١- (٢) راجع: علل الشرائع ١ / ٢٥١، الحديث ٨؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٢٥٤، الحديث ١؛ الإحتجاج ١ / ١٤؛ بحار الأنوار ٩ / ٢٥٨ - ٣٤٤.

ولتوضيح هذا الأمر نقول:

تاره: يدعو الإنسان شخصاً مسلماً إلى الحق والطاعة، وحينئذٍ عليه إقامه الحجّة عليه ليقبل الحق، والحجّة هنا لا بدّ أن تكون من الكتاب والسنة، تلك السنة التي يقبلها ذلك الشخص.

ومن ثمّ، فإننا نقول في قوانين المباحثه والمناظره: إذا تحاورنا مع فرد من أبناء العامّة في موضوع معيّن ومسئله ما، فلا يصحّ إلزامه بروايات كتاب الكافي مثلاً، لأنه لا يقبل هذا الكتاب أساساً. كما لا يصحّ من ذلك الشخص أن يلزم الشيعي بقبول روايات كتب السنة. وإنما ينبغي استدلال كلّ منهما بالكتاب الكريم - وهو مقبول عندهما - وبما وقع عليه الإتفاق من السنة منهما، أو على الأقل بما يقبله الخصم من السنة في مقام الاحتجاج.

يقول الحافظ ابن حزم الأندلسي:

«لا- معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا، فهم لا يصدّقونها، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم، فنحن لا نصدّقها، وإنّما يجب أن يحتجّ الخصوم بعضهم على بعض بما يصدّقه الذي تقام عليه الحجّة به، سواء صدّقه المحتجّ أو لم يصدّقه، لأنّ من صدّق بشيء لزمه القول به، أو بما يوجب العلم الضروري، فيصير حينئذٍ مكابراً منقطعاً إن ثبت على ما كان عليه...»<sup>(١)</sup>

وهذا كلامٌ صحيح موافق للقواعد.

واخرى: لا يكون المحاجج مسلماً، فحينئذٍ، ينبغي محاججته وإقناعه بالأدلة المقبولة عنده، وإلزامه بمداليلها ومضامينها.

ص: ٢٢٥



فإن كان من أهل العقل، وجب إقناعه ودعوته بالأدلة العقلية، وإن كان من أهل الكتب والأديان السماوية الأخرى، فلا بد من إقناعه من خلال كتابه الذي يعتقد به.

ومن هنا، فإننا وجدنا الأئمة عليهم السّلام يناظرون الزنادقة بالأدلة العقلية، ويناظرون أهل الكتاب بكتابهم، ويناظرون المسلمين بالقرآن الكريم والسنة المقبولة عندهم. أي إنهم عليهم السّلام كانوا يراعون حال المناظر، فيختارون الطريق الأمثل لدعوته وإقناعه، وقد بذلوا كل ما كان يسعهم في هذا الطريق حتى وإن كلفهم حياتهم.

وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ

**والبذل: الإعطاء بطيب نفس ورضا وقناعه.**

**ومن هنا يقول عليه السلام في الزيارة:**

فلو أعطى الإنسان شيئاً ثميناً لشخص آخر، عن طيب نفس وكمال رضا، قيل: إنه بذل له ذلك الشيء. (١)

والأئمة عليهم السلام بذلوا أنفسهم العزيزة في هذا الطريق، عن طيب نفس ورضا كاملين.

فها هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام في ليله المبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، حينما قرر الهجره إلى يثرب، قد بذل نفسه في مرضات الله تعالى حتى باهى الله به الخلق، فقال في القرآن المجيد:

ص: ٢٢٤

---

١- (١) كتاب العين ٨ / ١٨٧؛ لسان العرب ١١ / ٥٠.

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...» ١

وجاء في فقرات زياره سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام:

«وَبَدَّلَ مَهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْفِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ» (١).

ولا يخفى، أن رضا الله تعالى، هو في هداية الضالين وتخليصهم من الهلكه، ونجاه الغافلين من الجهاله، ولقد كان سعى الأئمه عليهم السلام في هذا الطريق جزءاً من ميثاقهم مع الله تعالى .

**وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ**

**اشاره**

ومن جمله الشرائط الواجب توفرها في الداعي إلى الله، ولوازم الدعوه، هو الإستقامه والصبر.

فالأئمه عليهم السلام - كرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - قد تحمّلوا أنواع المصائب والإيذاءات في سبيل الله.

وفي موضوع الأذى والابتلاءات، نحن نهتم غالباً للابتلاءات الجسديه الماديّه، وكأنّها هي التي تتبادر إلى الذهن من كلمه «البلاء»، ولا شكّ أنّ الأئمه قد لاقوا ما لا يمكن وصفه من الأذى وما كان منهم إلّا الصبر.

ولكن، في الحقيقه إن الإيذاء الروحي والتعذيب النفساني قد يكون أشدّ بكثير على الإنسان، وإنّ ألمه أكبر وأعمق، فيحتاج إلى صبر أكبر بالقياس إلى العذاب الجسدي، ولقد كان الأئمه عليهم السلام كذلك.

ص: ٢٢٧

ثم إن الصبر من المفاهيم الإضافية، لذا عندما يقال: صَبِرَ فلان، يقال: صبر على ماذا؟ وتحمل ماذا؟

ومن جهة أخرى، فإنه لا بد من وجود تناسب بين الصبر وبين المنغصات والمؤلمات والموزيات من الحوادث والوقائع.

وفي هذه الحالة فقط يكون الصبر فضيله والصابر ممدوحاً.

بل، إن السر في ممدوحية الصبر إنما هو في تناسبه مع تلك البلية شدة وضعفاً، فلو كان أقل أو أكثر منها، لم يكن ممدوحاً.

وقد جاء في كتب اللغة في معنى الصبر:

«الصبر: حبس النفس عن الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة، يصبر صبراً.

وصبرته أنا: حبسته»<sup>(١)</sup>.

وجاء في كتب الأخلاق عن الصبر:

الصبر: ضبط النفس؛ أي السيطرة على تصرفاتها.

ويقول تعالى في كتابه المجيد:

«إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»<sup>٢</sup>

فمثل هذا الصبر ممدوح، ولذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنَّ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه»<sup>(٢)</sup>.

ص: ٢٢٨

١- (١) صحاح اللغة ٢ / ٧٠٦؛ لسان العرب ٤ / ٤٣٨؛ تاج العروس ٧ / ٧١.

٢- (٣) نهج البلاغة ٤ / ١٨، رقم ٨٢.

فالصبر إنما يكون ممدوحاً فيما لو كان متناسباً مع حجم الأمر الواقع من المصيبة وغيرها، ومن هنا نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«الصبر ثلاثه: صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية.

فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض.

ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين درجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش.

ومن صبر عن المعصية، كتب الله له تسعمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش» (١).

وبناءً على هذا، فإنّ الطاعة وأداء التكاليف الشرعيّة، تحتاج إلى الصبر أيضاً، ولكن ولكثره إستعمال هذا اللفظ في تحمل المصائب وضبط النفس عند البليّات والحوادث المؤلمة، ينتقل الذهن إلى هذه المعاني عند سماع الكلمه، والحقيقه غير ذلك.

فتاره: يفقد الإنسان عضواً من أعضاء جسده، فيصبر على ذلك، وتاره: يفقد محبوباً وعزيراً على قلبه، وثالثه: يفقد مالاً، ورابعه: يفقد مقاماً ومنصباً.

فعلى الإنسان أن يصبر عند كلّ هذه الحوادث بما يتناسب مع حجمها.

ولكن أحياناً يدعو الإنسان إلى الحق، ويحاوّر بالمنطق والبرهان ويقدم الحجج ويقدم الأدلّه، فلا تؤثر دعوته. ففي مثل هذه الحالة، فإن روح هذا الإنسان تتألم وتتعب، فيجب عليه أن يصبر.

أو، كمعلم يهتم بأحد طلابه المميزين المقربين اهتماماً زائداً، فيبذل وقته ولا

ص: ٢٢٩

---

١- (١) الكافي ٢ / ٩١، الحديث ١٥؛ بحار الأنوار ٦٨ / ٧٧، حديث ١٢.

يَدَّخِرُ جُهْدَهُ مِنْ أَجْلِ تَعْلِيمِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ، وَفَجْأَهُ يَنْحَرِفُ هَذَا التَّلْمِيذُ عَنِ الْحَقِّ وَيُضَيِّعُ، فَعَلَى الْمَعْلَمِ هُنَا أَنْ يَصْبِرَ عَلَى هَذَا الْأَلَمِ الرُّوحِيِّ.

فممثل هذه الامور تعدُّ أيضاً من جملة المصائب التي يجب الصبر عندها، وإن كانت لا تخطر في أذهاننا.

والأئمة الأطهار عليهم السلام قد تحمّلوا كلَّ أنواع المصائب، ولكلِّ واحده من هذه الامور مصداق في حياتهم.

فلقد واجهوا كلَّ هذه الحوادث وصبروا عليها، وهي من جملة موارد ميثاقهم مع الله تعالى .

وكما مرَّ بنا، فَإِنَّ الظَّاهِرَ إِنَّ الْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانَ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ مِيثَاقَانِ:

١ - الميثاق العام الذي يشترك فيه الجميع.

٢ - الميثاق الخاص بكلِّ إمامٍ إمام.

**إِشَارَةٌ إِلَى عِلْمِ الْأئِمَّةِ بِمَا سَيَقَعُ عَلَيْهِمُ**

أَتَظُنُّونَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالصِّدِّيقَ الطَّاهِرَ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، لَمْ يَكُونَا يَعْلَمَانِ بِمَا سَيَجْرِي عَلَيْهِمَا مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي تَحْمَلَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنَّهَا جَزْءٌ مِنْ مِيثَاقِهِمَا؟ فَفِي الْكَافِي، رَوَاهُ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ عَنِ الْإِمَامِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَيْسَ كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَاتِبَ الْوَصِيَّةِ وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَمْلُوعِ عَلَيْهِ وَجِبْرَائِيلَ وَالْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شُهُودًا؟»

قَالَ: فَأَطْرَقَ طَوِيلًا. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ قَدْ كَانَ مَا قُلْتُ، وَلَكِنْ حِينَ نَزَلَ

برسول الله صلى الله عليه وآله الأمر، نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجلاً، نزل به جبرئيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة.

فقال جبرئيل: يا محمد! مُر بإخراج من عندك إلّا وصيكت ليقبضها منّا وتشهدنا بدفعك إياها إليه ضامناً لها - يعنى علياً عليه السلام - .

فأمر النبي صلى الله عليه وآله بإخراج من كان فى البيت ما خلا علياً وفاطمه عليهما السلام فيما بين الستر والباب.

فقال جبرئيل: يا محمد! ربك يقرؤك السلام ويقول: هذا كتاب ما كنت عهدتُ إليك وشرطت عليك وشهدت به عليك، وأشهدت به عليك ملائكتى وكفى بى يا محمد شهيداً.

قال: فارتعدت مفاصل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا جبرئيل! ربى هو السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام، صدق عزوجل وبرّ، هات الكتاب.

فدفعه إليه وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: اقرأه!

فقرأه حرفاً حرفاً.

فقال: يا على! هذا عهد ربى تبارك وتعالى إلى وشرطه على وأمانته، وقد بلغت ونصحت وأديت .

فقال على عليه السلام: وأنا أشهد لك [بأبى وأمى أنت] بالبلاغ والنصيحة والتصديق على ما قلت، ويشهد لك به سمعى وبصرى ولحمى ودمى.

فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على! أخذت وصيتى وعرفتها وضمنت لله ولى الوفاء بما فيها؟

فقال على عليه السّلام: نعم، بأبى أنت وأمى، على ضمانها وعلى الله عونى وتوفيقى على أدائها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على ! إنى اريد أن أشهد عليك بموافاتى بها يوم القيامة.

فقال على عليه السّلام: نعم اشهد.

فقال النبى صلى الله عليه وآله: إن جبرئيل وميكائيل فيما بينى وبينك الآن وهما حاضران معهما الملائكة المقربون لأشهدهم عليك.

فقال: نعم، ليشهدوا، وأنا - بأبى أنت وأمى - اشهدهم.

فأشهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان فيما اشترط عليه النبى بأمر جبرئيل عليه السّلام، أمره الله عزّوجلّ أن قال له: يا على ! تفى بما فيها من موالاته من والى الله ورسوله والبرائه والعداوه لمن عادى الله ورسوله والبرائه منهم، على الصبر منك وعلى كظم الغيظ، وعلى ذهاب حقك وغضب خمسك وانتهاك حرمتك ؟

فقال: نعم، يا رسول الله !

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: والذى فلق الحبه وبرأ النسمه، لقد سمعت جبرئيل يقول للنبى: يا محمّد، عرفه أنه ينتهك الحرمه وهى حرمه الله وحرمه رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى أن تُخضّب لحيته من رأسه بدم عبيط.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: فصعقت حين فهمت الكلمه من الأمين جبرئيل حتى سقطت على وجهى وقلت: نعم، قبلت ورضيت وإن انتهكت الحرمه وعطلت السنن ومزق الكتاب وهدمت الكعبه وخضبت لحيتى من رأسى بدم عبيط، صابراً محتسباً أبداً حتى أقدم عليك.

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمه والحسن والحسين، وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين...

والله لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين وفاطمه عليهما السلام: أليس قد فهمتما ما تقدمت به إليكما وقبلتماه ؟

فقالا: بلى وصبرنا على ما ساءنا وغازنا».(١)

فهذا من الميثاق، وهكذا حال سائر الأئمة عليهم السلام.

فلقد تحمّل الإمام الحسن المجتبي عليه السلام مصائب كثيرة، ولكننا وللأسف لا ندقق في مثل هذه الامور.

فإن معاويه وقف بوجه الإمام الحسن عليه السلام، ودبر له كل تلك الدسائس التي يطول شرحها.

ومن جهه أخرى، فإن بعض أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، والذين كانوا من وجهاء القبائل ورؤساء العشائر، قد دخل على الإمام الحسن وقال له:

«السلام عليك يا مدلل المؤمنين».(٢)

ترى، أيها أصعب على الإنسان، حدّ السيف وألمه أم مثل هذا الكلام ؟

ومن جهه ثالثه، كان يوجد في بيت الإمام الحسن عليه السلام من دسّ إليه السمّ مراراً.

ص: ٢٣٣

١- (١) الكافي ١ / ٢٨١ - ٢٨٣، الحديث ٤؛ بحار الأنوار ٢٢ / ٤٧٩، الحديث ٢٨.

٢- (٢) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي ٢ / ١٢٨؛ دلائل الإمامه: ١٦٦، الحديث ٨؛ مدينة المعاجز ٣ /

٢٣٣؛ الإختصاص: ٨٢؛ بحار الأنوار ٤٤ / ٢٣ - ٢٤، الحديث ٧؛ شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد ١٦ / ١٦ و ٤٤؛ كنز العمال ١١

/ ٣٤٩ و ١٣ / ٥٨٨؛ شواهد التنزيل ٢ / ٤٥٧؛ الأخبار الطوال: ٢٢١؛ تاريخ مدينة دمشق ٥٩ / ١٥١؛ ميزان الاعتدال ٢ / ١٧١؛ سير

أعلام النبلاء ٣ / ١٤٧؛ لسان الميزان ٣ / ٥٣؛ البدايه والنهايه ٨ / ١٤٠؛ الإمامه والسياسه ١ / ١٤١ و...



وهكذا سيد الشهداء، الإمام الحسين عليه السلام، كان له عهد وميثاق خاص مع الله تعالى .

ومن خلال هذه الروايات وسائر الأدلة المعتبرة، يتضح لنا بطلان قول القائل:

لا يمكن أن تصب تلك المصائب على الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء، وكل ذلك الهتك لحرمة مكانتها، بحضور ووجود أمير المؤمنين عليه السلام.

فكل ذلك عهد وميثاق، كما إن سيد الشهداء عليه السلام قد اصطحب معه أخواته ونساءه وسائر المخدرات من المدينة إلى كربلاء، وصرن معرضاً للإهانة والهتك والسب والشتم والأسر.

فهل إن حضور زينب وسائر المخدرات في كربلاء، كذب؟

هذه موثيق وعهود خاصه بكل إمام.

وكذا الحال في خصوص الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام جعفر الصادق والإمام موسى بن جعفر وباقي الأئمة عليهم السلام.

وهكذا الحال الآن في زمن الغيبة، فإن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف عليه تعهدات خاصه مع الله سبحانه وتعالى.

فمن جهه يرى، بأن دين الله تعالى لا يعمل به، وليس فقط لا يعمل به وإنما نجد المخالفات لهذا الدين والعمل على خلاف ما يأمر به، على قدم وساق، ويشاهد كل هذا الظلم والجور الواقع في العالم.

ومن جهه أخرى، ها هي مظلوميه آبائه وأجداده وأمه وجدته رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذا مظلوميه شيعتهم في أنحاء العالم والقضايا الأخرى، التي يراها الإمام عليه السلام ويسمعها، فهذه كلها موجوده وتزداد يوماً بعد يوم والإمام عليه السلام مأمور بالصبر.

فهذا كله جزءٌ من تعهد الإمام عليه السّلام في زمن الغيبة. كما إنّ عليه تعهدات والتزامات أخرى ترتبط بزمن حضوره عليه السلام.

ولأنّ الله تعالى، قد علم بأنّ هؤلاء الأطهار سيفنون بعهدهم وميثاقهم، فقد أعطاهم تلك المقامات.

ونقرأ في دعاء الندبه:

«إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النّعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزّهد في درجات هذه الدّنيا الدّنيّة وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقربتهم، وقدمت لهم الذكر العلى والثّناء الجلى»؛(١)

نعم، لقد اعطى الله تعالى هذه المقامات للأئمّة عليهم السّلام، لأنه كان يعلم بأنهم سيصبرون، وقد صبروا حقاً.

إنّ الأئمّة عليهم السّلام هم مصداق هذه الآية الشريفة:

«وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» ٢

لقد صبروا عليهم السّلام حتّى وصلوا إلى مرتبه:

«إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (٢)

ص: ٢٣٥

١- (١) إقبائل الأعمال ١/ ٥٠٤ و ٥٠٥؛ بحار الأنوار ٩٩/ ١٠٤.

٢- (٣) سورة البقره (٢): الآية ١٥٣ و سورة الأنفال (٨): الآية ٤٦.

وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ، وَأَمَرْتُمُ

بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَيْتُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَجَاهَدْتُمُ

فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ

ويمكن القول بأن هذه الفقرة من الزيارة الجامعة قد وردت في كل زيارات المعصومين عليهم السلام.

فقد جاء في زياره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأقامت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وعبدت الله مخلصاً...»<sup>(١)</sup>

وجاء في زياره أمير المؤمنين عليه السلام:

«عبدت الله مخلصاً، وجاهدت في الله صابراً، وجدت بنفسك محتسباً، وعملت بكتابه، واتبعت سننه نبيّه، وأقامت الصلاة وآتيت

الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر...»<sup>(٢)</sup>

ونقرأ في زياره سيد الشهداء عليه السلام:

«أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وتلوت الكتاب حقّ تلاوته وجاهدت في الله

حقّ جهاده...»<sup>(٣)</sup>

ص: ٢٣٦

١- (١) بحار الأنوار ٩٧ / ١٦١.

٢- (٢) بحار الأنوار ٩٧ / ٣٦١.

٣- (٣) بحار الأنوار ٩٨ / ٢٠٩.

وجاء فى زياره الإمام الكاظم عليه السلام:

«وأقمت الصَّلاه وآتيت الزكاه وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وعبدت الله مخلصاً مجتهداً...»؛<sup>(١)</sup>

وكذلك فى زياره الإمام الرضا، الإمام الجواد، والإمام العسكرى سلام الله عليهم أجمعين، فقد وردت فقرات بنفس هذا المضمون.<sup>(٢)</sup>

هذا، وقد وردت كلمه «الصَّلاه» و«الزكاه» فى سياق واحد فى كثير من آيات القرآن الكريم.

## وَأَقِمُّمُ الصَّلَاةَ

### إشاره

وهذا، من جملة المواثيق المأخوذه منهم عليهم السلام.

وللصَّلاه كما فى الروايات - فضلاً عن بعض آيات القرآن الكريم والتى سيأتى بيانها خلال البحث - أوصاف وعناوين وألقاب كما لا يخفى على من راجع أبواب الصَّلاه فى كتاب «وسائل الشيعة».

ففى روايه قال عليه السلام:

وَجِهَ دِينِكُمُ الصَّلَاةَ.<sup>(٣)</sup>

ولمّا كان وجه الشئ معرّفه، كانت الصَّلاه معرّفهً للدين.

يقول الراغب الإصفهانى فى كلمه «وجه»:

ص: ٢٣٧

١- (١) بحار الأنوار ٩٩ / ١٥.

٢- (٢) بحار الأنوار ٩٩ / ٤٧، ٢٣، ٦٧.

٣- (٣) الكافى ٣ / ٢٧٠، الحديث ١٦؛ وسائل الشيعة ٤ / ٢٤، الحديث ٤٤١٦.

أصل الوجه الجارحه،... ولَمَّا كان الوجه أوَّل ما يستقبلك وأشرف ما فى ظاهر البدن، إستعمل فى مستقبل كلِّ شئ وفى أشرفه ومبدئه. (١)

وفى روايه أخرى، عُبِّر عن الصَّلاه ب «عمود الدين».

فعن جابر، قال الإمام الباقر عليه السَّلام:

الصَّلاه عمود الدين.... (٢)

فشبَّه الدين بالخيمه، وجعل عمود تلك الخيمه الصَّلاه، فلولاها لما بقيت الخيمه قائمه.

وفى حديث آخر، عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، قال:

الصَّلاه ميزان، من وفى إستوفى. (٣)

وفى روايه عن الإمام الرضا عليه السَّلام قال:

الصَّلاه قربانٌ كلُّ تقى. (٤)

نعم، فمن أراد التقرب إلى الله تعالى، وكان من أهل التقوى، فإنَّ الصَّلاه طريقه إلى ذلك.

وجاء فى روايه أخرى عن الصَّلاه إنَّها:

أوَّل ما يحاسب به العبد.

فقد ورد عن أبى بصير قال: سمعت الإمام الباقر عليه السَّلام يقول:

كلُّ سهو فى الصَّلاه يطرح منها غير أنَّ الله تعالى يتمُّ بالنوافل، إنَّ أوَّل ما

ص: ٢٣٨

١- (١) المفردات فى غريب القرآن: ٥١٣.

٢- (٢) الأمالى، الشيخ الطوسى: ٥٢٩؛ وسائل الشيعة ٤ / ٢٧، الحديث ٤٤٢٤؛ بحار الأنوار ٧٩ / ٢١٨.

٣- (٣) الكافى ٣ / ٢٦٧، الحديث ١٣؛ وسائل الشيعة ٤ / ٢٢، الحديث ٤٤٤٠، بحار الأنوار ٧٩ / ٢٣٥.

٤- (٤) الكافى ٣ / ٢٦٥، الحديث ٦؛ وسائل الشيعة ٤ / ٤٣، الحديث ٤٤٦٩؛ بحار الأنوار ٧٩ / ٣٠٧.

يحاسب به العبد الصَّلاه، فإن قبلت قبل ما سواها...؛(١)

وفى تعبير آخر عنها:

مثل الصَّلاه مثلُ عمودِ الفسطاط.(٢)

هذا، وقد عبّرت عنها بعض الروايات بأنها كالنهر الجارى، فكما أن النهر الجارى يطهّر البدن، كذلك الصَّلاه وسيله لطهاره الأرواح.

يقول الإمام الباقر عليه السَّلام:

«قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل منه فى كلِّ يوم خمس مرات، أكان يبقى فى جسده شئ من الدرن؟

قلنا: لا.

قال: فإنَّ مثل الصَّلاه كمثّل النهر الجارى، كلِّما صلَّى صلاه كفَّرت ما بينهما من الذنوب»(٣)

كان ذلك نظره عابره على بعض كلمات رسول الله والأئمّه الأطهار عليهم السَّلام حول الصَّلاه.

وهنا نسأل: كيف كان حال الأئمّه عليهم السَّلام مع الصَّلاه عملياً؟

### وكم كان التزامهم بالنوافل ؟

لقد وجدنا فى أخبار وحالات أمير المؤمنين عليه السَّلام والإمام الحسين، الإمام السَّجاد والإمام الرضا عليهم السَّلام، أن كلَّ منهم: «كان يصلّى فى كلِّ يوم

ص: ٢٣٩

١- (١) الكافي ٣ / ٢٦٨، الحديث ٤. وسائل الشيعة ٣ / ١٠٨، الحديث ٤٦٣٦.

٢- (٢) الكافي ٣ / ٢٦٦، الحديث ٩؛ وسائل الشيعة ٤ / ٣٣، الحديث ٤٤٣٨.

٣- (٣) تهذيب الأحكام ٢ / ٢٣٧، الحديث ٩٣٨؛ وسائل الشيعة ٤ / ١٢، الحديث ٤٣ ٨٧.

وليله ألف ركعه» (١).

وقد لا يصدّق بعض الناس أن أمير المؤمنين عليه السّلام كان يصلّي في كلّ يوم وليله في حياته الكريمه ألف ركعه من الصّلاه، ومنهم من يكذب بهذا الخبر بغضاً و حسداً، (٢) ومنهم من ينفي إمكان ذلك من حيث الوقت، و لكنّ أهل السنّه قد كتبوا هذه المنقبه بترجمه على بن الحسين السّجاد عليه السّلام، (٣) كما قد ورد بتراجم غير واحد من علمائهم أنّه:

«كان يصلّي في كلّ يوم و ليله ألف ركعه» (٤)

وجاء في روايه في أحوال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«ولم يترك على صلاه الليل قطّ حتّى ليله الهرير» (٥)

ص: ٢٤٠

١- (١) الكافي ٤ / ١٥٤، الحديث ١؛ بحار الأنوار ٧٩ / ٣١١، الحديث ١٨، نقلًا عن كتاب «الملهوف»، السيد ابن طاووس: ٧٥؛ دعائم الإسلام ٢ / ٣٣٠، الحديث ١٢٤٨؛ مستدرک الوسائل ٣ / ٦٩، الحديث ٣٠٤٨؛ المناقب، ابن شهر آشوب ٣ / ٢٩٠؛ بحار الأنوار ٤٦ / ٧٩.

٢- (٢) على رأس المنكرين لهذه القضيّه لأمر المؤمنين عليه السلام، هو ابن تيميه، حيث يقول في كتابه: هذا لا يمكن الا على وجه يكره في الشريعه، أو لا يمكن بحال، فلا يصلح ذكر هذا في المناقب (منهاج السنّه) ٤ / ٤٨ و ٤٩.

٣- (٣) شرح منهاج الكرامه.

٤- (٤) وقد ذكر الذهبي - تلميذ ابن تيميه - ذلك في ترجمه بعض العلماء. (راجع سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٩) وقد أشار العلامة الاميني في «الغدیر» إلى هذا الأمر، حيث قال: «ونحن نعرف من أصحابنا اليوم من يأتي بها في الليل تاره، وفي الليل والنهار أخرى، في أقلّ من سبع ساعات يصلّيها صلاه تامّه مع سوره التوحيد بالرغم من حسابان ابن تيميه استحالتها في اليوم والليله، فإتيان ألف ركعه في الليل والنهار لا يستوعب كلّ الليل ولا يحتاج إلى قيام تامه ولا إلى قيام نصفه...» ثم يذكر الأميني أسماء بعض التابعين والأجلاء الذين كانوا يقومون بذلك. (راجع الغدير ٥ / ٢٨ و ٣٠)

٥- (٥) بحار الأنوار ٨٠ / ٢٣ نقلًا عن المناقب، ابن شهر آشوب ١ / ٣٨٨ و ٣٨٩؛ وسائل الشيعه ٤ / ٢٤٧، الحديث ٢، نقلًا عن «إرشاد القلوب».

وليلة الهرير، احدى ليالى أيام حرب صفين، وقد بقى الجيشان يقتتلان حتى صبيحتها بلا توقف.

وهكذا كان حال سائر الأئمة عليهم السلام.

ومن ثم روى عن الصادق عليه السلام أنه قال:

«إمتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصَّلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عن عدونا، وعند أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها»<sup>(١)</sup>

## الصَّلاة فى القرآن

و وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم حول الصَّلاة وإقامتها، فى آيه نقرأ:

«قُلْ لِعِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ»<sup>٢</sup>

ونقرأ فى آيه:

«حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى»<sup>٣</sup>

وفى آيه أخرى:

«وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ»<sup>٤</sup>

وقد تكرر مضمون هذه الآيه مراراً فى القرآن الكريم بتفاوت طفيف فى الألفاظ.

وفى آيه أخرى يُقرنُ تعالى إقامة الصَّلاة بالتوبه حيث قال:

ص: ٢٤١

---

١- (١) الخصال: ١٠٣، الحديث ٤٢؛ بحار الأنوار ٨٠ / ٢٣، الحديث ٤٢؛ وسائل الشيعة ٤ / ١١٢، الحديث ١٦.



«فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ» ١

و«إن» فى هذه الآيه «شرطيّه» وهذا يعنى انتفاء المشروط - إسلام الشخص - بانتفاء شرطه وهو إقامه الصلاه، فما لم يهتم هؤلاء بالصلاه فليسوا بمسلمين.

وفى آيه أخرى يقول عزّوجلّ :

«ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ\*قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِيِّينَ» ٢

ويبدو أنّ «سقر» مرتبه خاصه من مراتب جهنم. أعادنا الله.

وعن أبى الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام، إنه قال:

«قَوْلُهُ «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ» فَوْقُوقُهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ، وَأَمَّا لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ، فَلَبَغِنِي - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا سَبْعَ دَرَجَاتٍ .

أَعْلَاهَا: الْجَحِيمُ، يَقُومُ أَهْلُهَا عَلَى الصَّفَا مِنْهَا، تَعْلَى أَدْمِعْتُهُمْ فِيهَا كَعَلَى الْقُدُورِ بِمَا فِيهَا.

وَالثَّانِيَةُ: لَطَى «نَزَاعَهُ لِلشَّوَى\*تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى\*وَ جَمَعَ فَأَوْعَى».

وَالثَّلَاثَةُ: سَقَرٌ «لَا تُبْقَى وَ لَا تَذَرُ\*لَوْاحَهُ لِلْبَشْرِ\*عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ».

وَالرَّابِعَةُ: الْحُطْمَةُ «تَزِمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَضِيرِ\*كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ»، تُدَقُّ كُلُّ مَنْ صَارَ إِلَيْهَا مِثْلَ الْكُحْلِ، فَلَا يَمُوتُ الرُّوحُ كُلَّمَا صَارُوا مِثْلَ الْكُحْلِ عَادُوا.

وَالْخَامِسَةُ: الْهَيَاوِيَةُ، فِيهَا مَاءٌ يَدْعُونَ: يَا مَالِكُ! أَغْنِنَا، فَإِذَا أَغْنَيْتَهُمْ جَعَلَ لَهُمْ آتِيَهُ مِنْ صُفْرِ مِنْ نَارٍ فِيهِ صَدِيدٌ مَاءٌ يَسِيلُ مِنْ جُلُودِهِمْ كَأَنَّهُ مِهْلٌ، فَإِذَا رَفَعُوهُ

لِيَشْرَبُوا مِنْهُ تَسَاقَطَ لَحْمٌ وَجُوهِهِمْ فِيهَا مِنْ شِدَّةِ حَرِّهَا وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ : «وَإِنْ يَشِيءُ يَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهَيْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَ سَاءَتْ مُرْتَفَقًا» وَمَنْ هَوَى فِيهَا هَوَى سَبْعِينَ عَامًا فِي النَّارِ، كُلَّمَا احْتَرَقَ جِلْدُهُ بَدَّلَ جِلْدًا غَيْرَهُ .

وَالسَّادِسَةُ : هِيَ السَّعِيرُ، فِيهَا ثَلَاثُ مِائَةِ سِرَادِقٍ مِنْ نَارٍ فِي كُلِّ سِرَادِقٍ ثَلَاثُ مِائَةِ قَصْرِ مِنْ نَارٍ، فِي كُلِّ قَصْرِ ثَلَاثُ مِائَةِ بَيْتٍ مِنْ نَارٍ، فِي كُلِّ بَيْتٍ ثَلَاثُ مِائَةِ لَوْنٍ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فِيهَا حَيَاتٌ مِنْ نَارٍ وَعَقَارِبُ مِنْ نَارٍ وَجَوَامِعُ مِنْ نَارٍ وَسِلَاسِلُ وَأَغْلَالٌ مِنْ نَارٍ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ : «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا».

وَالسَّابِعَةُ : جَهَنَّمَ ، وَفِيهَا الْفَلَقُ وَهُوَ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ إِذَا فُتِحَ أَشْرَعَ النَّارَ سَعْرًا وَهُوَ أَشَدُّ النَّارِ عَذَابًا، وَأَمَّا صِيَّ مُجُودًا، فَجَبَلٌ مِنْ صُفْرِ مِنْ نَارٍ وَسَطَ جَهَنَّمَ ، وَأَمَّا أَثَامًا فَهُوَ وَادٍ مِنْ صُفْرِ مُذَابٍ يَجْرِي حَوْلَ الْجَبَلِ فَهُوَ أَشَدُّ النَّارِ عَذَابًا. (١)

ومما سبق، يُعلم أَنَّ الصَّلَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ، هِيَ الدِّينَ.

### المراد من إقامه الصَّلَاةِ ؟

لقد جاء في القرآن الكريم تعبيران هما:

١ - القيام لأداء الصَّلَاةِ.

٢ - إقامه الصَّلَاةِ.

فالإتيان بالصَّلَاةِ يتحقق أيضاً بأدائها بدون خشوع، بل ويتحقق مع عدم حضور القلب، فيقال: إِنَّهُ صَلَّى. وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

ص: ٢٤٣

---

١- (١) تفسير القمّي ١ / ٣٧٦. نقلت هذه الرواية بتفاوت مختصر في: بحار الأنوار ٨ / ٢٨٩ و ٢٩٠، الحديث ٢٧.

«وَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى» ١

وهى تتحدث عن المنافقين ومقدار اهتمامهم بالصَّلاة.

ولكن القيام إلى الصَّلاة هو غير إقامتها.

وفى آيه أخرى يقول عزَّ وجلَّ :

«وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى» ٢

فالقيام إلى الصَّلاة هو أداؤها، وهذا يجتمع مع الكسل أيضاً. وهذا فى الحقيقه إنّما هو شكل الصَّلاة وهيئتها وصورتها فقط، لا روحها وحقيقتها.

ولكن الكلام، إنّما هو فى إقامه رسول الله والأئمّه الهداه للصَّلاة.

فإقامه الصَّلاة لا تصدق إلّا إذا تحققت الصَّلاة بالمعنى الواقعى والحقيقى لها، وذلك:

أولاً: أن يعلم الإنسان بمعنى الصَّلاة.

ثانياً: أن يؤديها بحضور القلب.

ثالثاً: أن يعلم الآخرين الصَّلاة.

رابعاً: أن يحافظ على الصَّلاة.

وهذه الجهات الأربع كانت متوفره فى صلاه الرسول الأعظم والأئمّه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإذا ما توفّرت فى غير المعصومين، فإنّما ذلك ببركتهم وتعليمهم، وبفضل التلمذ فى مدرستهم عليهم السلام.

فإذا اجتمعت هذه الجهات الأربع، فقد أقيمت الصَّلاة.

وبهذا البيان، يتضح ما تقدم من أنّ «الصَّلاة» هي «الدين»، وهذا الأمر مستفاد من الروايات بوضوح تام.

## الأئمة والصَّلاة

وهنا، نحاول أن نوضِّح وجود الجهات الأربع في صلاة الأئمة، فما هو مقام الصَّلاة علماً وعملاً عند هؤلاء الأطهار عليهم السَّلام؟ لقد وردت روايات في الباب الحادى عشر من أبواب «مكان المصلّى» في كتاب «وسائل الشيعة» تشمل على فوائد جليله في هذا المقام. (١) وهذا طرف منها:

عن ابن أبى عمير:

«رأى سفيان الثورى أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام وهو غلامٌ يصلّى والنَّاس يمرّون بين يديه. فقال له: إنّ الناس يمرّون بين يديك وهم فى الطواف، فقال له: الذى أصلّى له أقرب من هؤلاء». (٢)

وفى روايه أخرى:

«كان الحسين بن على عليهما السلام (٣) يصلّى فمرّ بين يديه رجل، فنهاه بعض جلسائه.

فلما انصرف من صلاته قال له: لِمَ نهيت الرجل؟

ص: ٢٤٥

---

١- (١) نحن نراجع كتاب وسائل الشيعة للبحث عن أدلّه الأحكام فى عمليه الاستنباط فقط، ونغفل عن وجود دقائق ولطائف المعانى فى هذه الروايات. وعندما انتهت إلى هذه القضية، قمت - بفضل الله تعالى - بتأليف كتاب يحتوى على فوائد أخبار ووسائل الشيعة غير الأحكام.

٢- (٢) وسائل الشيعة ٥ / ١٣٢، الحديث ٦١٢٩، نقلاً عن: «التوحيد»، الشيخ الصدوق، الحديث ١٤.

٣- (٣) جاء فى بعض المصادر: الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السَّلام.

فقال: يا بن رسول الله! خطر في ما بينك وبين المحراب.

فقال: وَيَحْكُ، إِنَّ اللَّهَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَخْطُرَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ»؛(١)

وفى روايه أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام يقول لولده الإمام الكاظم عليه السلام:

«يا بنى! إِنَّ الَّذِي أَصَلَى لَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي مَرَّ مِنْ قَدَامِي».(٢)

وفى روايه يقول عليه السلام:

«لَأَنَّ الَّذِي يَصَلِّي لَهُ الْمَصَلَّى أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَمُرُّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ».(٣)

وجاء فى روايه أخرى:

«قال أبو عبد الله عليه السلام: ادعوا لى موسى، فدعى فقال له: يا بنى! إِنَّ أبا حنيفه يذكر أنك كنت تصلّى والناس يمرّون بين يديك، فلم تنههم.

فقال: نعم يا أبة! إِنَّ الَّذِي كُنْتُ أَصَلِّي لَهُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيَّ مِنْهُمْ، يقول الله عزّوجلّ: «نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ».(٤)

قال: فَضَمَّهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي! يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي، يَا مُودِعَ الْأَسْرَارِ»(٤)

ص: ٢٤٦

---

١- (١) وسائل الشيعة ٥ / ١٣٣، الحديث ٦١٣٠؛ بحار الأنوار ٨٠ / ٢٩٨، الحديث ٥ و ٣ / ٣٢٩، الحديث ٣٠. نقلًا عن «التوحيد»، الشيخ الصدوق: ١٨٤، الحديث ٢٢.

٢- (٢) الإستبصار ١ / ٤٠٧، الحديث ٧، تهذيب الأحكام ٢ / ٣٢٣، الحديث ١٧٧؛ وسائل الشيعة ٥ / ١٣٣، الحديث ٦١٣٢.

٣- (٣) الكافي ٣ / ٢٩٧، الحديث ٣؛ وسائل الشيعة ٥ / ١٣٥، الحديث ١٠؛ بحار الأنوار ٨٠ / ٢٩٩، الحديث ٧، نقلًا عن «قرب الأسناد».

٤- (٤) الكافي ٣ / ٢٩٧، الحديث ٤؛ بحار الأنوار ١٠ / ٢٠٤، الحديث ٨.

اعتراض أبى حنيفه و سفبان الثورى مستند إلى ما يروونه عن النبى صلى الله عليه و آله من أنه قال:

«لو يعلم المارّ بين يدي المصلّى ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمرّ بين يديه»<sup>(١)</sup>

ولذا قال فقهاء العامّة بأنّ للمصلّى منعه من المرور. ثم قالوا: هذا فى غير مكه، أمّا فيها، فقد روى أنّ النبى صلى الله عليه و آله صلىّ حيال الحجر و التّياس يمرون بين يديه. قالوا: لأنّ الناس يكثرون بمكه لأجل قضاء نسكهم و يزدحمون فيها، و لذلك سميت بمكه...<sup>(٢)</sup>

وأما أصحابنا، ففي العروه الوثقى: يستحبّ أن يجعل المصلّى بين يديه سترةً إذا لم يكن قدّامه حائط أو صف، للحيلولة بينه و بين من يمرّ بين يديه إذا كان فى معرض المرور... وهى نوع تعظيم و توقير للصّلاه، و فيها إشارة إلى الإنقطاع عن الخلق و التوجّه إلى الخالق.<sup>(٣)</sup>

قالوا: إنّه يستحبّ جعل المصلّى شيئاً بين يديه، وأنه لا تبطل الصّلاه بمرور شىء، و قد جاء فى الصحيح عن أبى عبد الله الصّادق عليه السّلام أنه قال:

«فإنّ لم تفعل فليس به بأس، لأنّ الذى يصلّى له المصلّى أقرب إليه ممّن يمرّ بين يديه. ولكن ذلك أدب الصّلاه و توقيرها»<sup>(٤)</sup>.

ص: ٢٤٧

١- (١) أخرجه أصحاب الكتب الستّه.

٢- (٢) انظر: المغنى لابن قدامه ٢ / ٧٤ و ٧٦.

٣- (٣) العروه الوثقى. كتاب الصّلاه. مكان المصلّى، المسأله: ٣.

٤- (٤) وسائل الشّيعه ٥ / ١٣٤.

نعم، هكذا أقام الأئمة عليهم السّلام الصّلاه، ثمّ علّموا ذلك لأصحابهم، فكتب علماؤنا كتباً مستقلّةً خاصهً في «أسرار الصّلاه». وهى مأخوذه من نهج الأئمة عليهم السّلام وسيرتهم الشريفة.

### إشاره إلى البحث عن الصّلاه

ويمكن البحث حول الصّلاه فى ثلاث جهات:

١ - أحكام الصّلاه.

٢ - أسرار الصّلاه.

٣ - آثار الصّلاه.

فإذا ما اقيمت الصلاه بهذه الجهات الثلاث، كانت التى قال عنها عزّوجلّ :

«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ»<sup>١</sup>

وهى الصّلاه التى ورد فى الروايه:

«الصّلاه معراج المؤمن»<sup>(١)</sup>

فلو داوم المرء على مثل هذه الصّلاه فى فرائضه و نوافله، كان كمن وصفه الحديث القدسى:

«لا يزال العبد يتقرّب إلى بالنوافل حتّى أكون سمعُه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به...»<sup>(٢)</sup>

ولو صار العبد كذلك، كان دائماً فى حال المعراج، بعيداً عن الفحشاء والمنكر.

ص: ٢٤٨

١- (٢) بحار الأنوار ٧٩ / ٢٤٨؛ مستدرک سفینه البحار ٦ / ٣٤٣؛ تفسير الرازى ١ / ٢٦٦.

٢- (٣) راجع الكافى ٢ / ٣٥٢، الحديث ٧؛ بحار الأنوار ٧٢ / ١٥٥، الحديث ٢٥.

أجل... لقد جاء النبي الأكرم والأئمة الأطهار صلوات الله عليهم، ليقموا مثل هذه الصلاة، ويُشيعوها بين الناس، ويعلموهم إياها، وهذه الصلاة هي الدين و بها قوام الدين.

ويبدو أنّ الصلاة كانت مفروضة على الامم السابقة في كلّ الأديان. ولكن الصلاة التي جاء بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وعلمها لأمته، تختلف بلا شك عن صلاة اولئك الامم، من حيث أحكامها و أسرارها، و آثارها.

ولأنّ الصلاة هي الدين - كما ذكرنا - فقد اتخذها الكفار هزواً كما اتخذوا الدين هزواً، قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُوبَهُ مُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَ لَعِباً» ١

ولا يخفى دلالة الآية المباركة على أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كانوا يتخذون الكفار أولياء لهم، والعجيب أن تكون هذه الحالة موجودة عند بعضهم وحتى آخر عمره الشريف، لأنّ الآية في سورة المائدة، وقد ورد في روايات الفريقين و قام الإجماع على أنّ آخر سورة نزلت من القرآن هي سورة المائدة. (١)

وهذا يعنى إنّ بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله بقوا إلى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وآله يقيمون علاقات الودّ مع الكفار وأهل الكتاب الذين كانوا يسخرون و يهزأون بالدين و بالصلاة !!

ص: ٢٤٩

---

١- (٢) مسند أحمد بن حنبل ٦ / ١٨٨؛ الدر المنثور ٢ / ٢٥٢؛ المحلى ٩ / ٤٠٧؛ المستدرک علی الصحيحین ٣١١/٢؛ تفسير العياشى ١ / ٢٨٨؛ بحار الأنوار ١٨ / ٢٧١، الحديث ٢٧؛ تفسير التبيان ٣ / ٤١٣.



وفى آيه أخرى، يقول تعالى :

«إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى» ١

وهذا يعنى إنّ بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يتظاهرون بالدين، ويقومون إلى الصلاة ويخادعون. وقد كشف الباري جلّ وعلا بصراحه عن أمثال هؤلاء، فى سورة الجمعة حيث يقول عزّ وجلّ :

«وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا» ٢

إذن، فهذا هو حال هؤلاء مع الصلاة، ولو بحثنا وحققنا فى هذه القضية أكثر، فإننا سنصل إلى حقائق مذهله.

ثم إنه جاء فى روايات عديده، وبأسانيد صحيحه، إنّ الإمام الباقر عليه السلام قال:

«ألا أحكى لكم وُضوء رسول الله صلى الله عليه وآله» (١)

وهذا يعنى إنّ الوضوء كان قد حرّف قبل زمن الباقر عليه السلام.

وفى زمن حكومه أمير المؤمنين عليه السلام، أراد أن يمنع من صلاه التراويح، فضجّ الناس ينادون: وا عمراه... وا عمراه!! (٢)

ص: ٢٥٠

---

١- (٣) الكافى ٣ / ٢٤، الحديث ٢؛ وسائل الشيعة ١ / ٣٨٧، الحديث ١٠٢١؛ بحار الأنوار ٧٧ / ٢٨٤، الحديث ٣٤، نقلًا عن تفسير العياشى ١ / ٣٠٠، الحديث ٥٦.

٢- (٤) شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد ١٢ / ٢٨٣؛ بحار الأنوار ٣١ / ٨؛ نهج الحق: ٢٩٠؛ كتاب الموطأ ١ / ١١٤؛ صحيح البخارى ٢ / ٢٥٢؛ كتاب صلاه التراويح، باب فضل من قام رمضان.

وهذه نماذج من تحريف المنافقين الصّلاه.

ولمّا وصلت النوبه إلى حكومه معاويه وبنى أميّه، فحدّث ولا حرج.

ولا أظنّ إن شخصاً دافع عن بنى أميّه أكثر من ابن تيميه، ومع ذلك يقول:

«أعظم ما نقمه الناس على بنى أميّه شيان: أحدهما تكلمهم في على، والثاني تأخير الصّلاه عن وقتها»<sup>(١)</sup>

وفي المقابل، يقول أنتمتنا عن الصّلاه:

«إمتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصّلاه...»<sup>(٢)</sup>

وما ذلك إلّا لكي تتمييز الخطوط عن بعضها البعض.

إن ابن تيميه يعترف بوقوع التحريفات، ولكنه يُقصرها على تأخير الصّلاه.

والحال إن التحريف لم يقتصر عليها، ولكنه إنما قال ذلك لأنه يقف دائماً موقف الدفاع عن معاويه وبنى أميّه.

فمن جمله التحريفات، أداء صلاه الجمعه يوم الأربعاء<sup>(٣)</sup> وإرسال الجاربه الفاحشه لتصلّى بالناس، ووقوف والى الكوفه سكراناً

يوم المصلين، حتّى تقياً فى المحراب!!<sup>(٤)</sup>

ص: ٢٥١

١- (١) منهاج السنّه ٨ / ٢٣٨؛ راجع شرح منهاج الكرامه.

٢- (٢) وسائل الشيعه ٤ / ١١٢ الحديث: ١٦.

٣- (٣) راجع: الغدير ١٠ / ١٩٥، نقلاً عن مروج الذهب ٢ / ٧٢.

٤- (٤) راجع: الأغاني ٤ / ١٧٨ و ١٧٩؛ الغدير ٨ / ١٢٣؛ بحار الأنوار ٣١ / ١٥٢ و ١٥٣؛ العقد الفريد ٢ / ٢٧٣؛ فتح الباري ٧ / ٤٤؛

تاريخ الخلفاء: ١٠٤؛ شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد ١٧ / ٢٤٥؛ الإصابه ٣ / ٦٣٨؛ أسد الغابه ٥ / ٩٢؛ الوافى بالوفيات ٢٧ /

٢٧٧ و....

هؤلاء، هم الذين أقسم لهم أبو سفيان قائلاً:

«فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب ولا جنه ولا نار ولا بعث ولا قيامه»<sup>(١)</sup>

حتى إذا وصلت النوبه إلى يزيد قال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحى نزل<sup>(٢)</sup>

إذن، فأهل البيت عليهم السلام هم المقيمون للصلاه أى الدّين، وأمّا بنو أميّه فقد أضعوا الصّلاه، بل كانوا بصدد تغيير الكثير من شعائر الإسلام، حتى أنّهم أرادوا نقل منبر الرسول صلى الله عليه وآله من المدينه إلى الشام (!)، وقرّروا إرسال الناس لحجّ بيت المقدس بدلاً من الكعبه، وقد فعلوا ذلك.

حتى أنّهم قالوا بأن عبد الملك بن مروان - العياذ بالله - أفضل من رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله !

لماذا؟ لأن عبد الملك خليفه الله !! وأمّا محمد بن عبد الله، فهو رسول الله، وخليفه الرجل أفضل من رسوله. وبناءً على هذا، فإن عبد الملك بن مروان أفضل<sup>(٣)</sup>

فالأئمّه عليهم السلام حفظوا شعائر الإسلام والصّلاه في قبال دعوات

ص: ٢٥٢

---

١- (١) شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد ٩ / ٥٣؛ تاريخ الطبرى ٨ / ١٨٥؛ مروج الذهب ٢ / ٣٤٢؛ الإستيعاب ٤ / ١٦٧٩؛ بحار الأنوار ٣١ / ١٩٧ ومصادر أخرى.

٢- (٢) روضه الواعظين: ١٩١؛ تاريخ الطبرى ٨ / ١٨٨؛ البدايه والنهايه ٨ / ٢٤٦.

٣- (٣) البدايه والنهايه ٩ / ٩١ و ٩٢؛ العقد الفريد ٢ / ٣٥٤. جاء في هذا المصدر: «كتب الحجاج إلى عبد الملك إنّ خليفه الرجل فى أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين! أعلى منزله من المرسلين».

المنافقين، ووقفوا بوجههم مع كل قدراتهم وإمكاناتهم وجبروتهم، وهذا هو نتاج صبر الأئمة واستقامتهم وتحملهم، ولذلك نقول لهم:

«بذلتكم أنفسكم في مرضاته» و«صبرتم على ما أصابكم في جنبه»

فالدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد حفظه أهل البيت عليهم السلام، وبقى قائماً ببركه وجودهم وتحملهم وصبرهم، ففشلت كل محاولات أعداء الإسلام والمبتدعين والمنافقين، وعلى الرغم من قله أهل الدين، فإن الدين باق.

وعلى الجملة، فإن خطابنا للنبي وآله بقولنا: «أقمتم الصّلاه» إشاره إلى أنّ الصّلاه هي الدين، وإلى الجهود التي بذلها أعداء الدين من أجل تفويضه، وإلى ما تحمّله أهل البيت عليهم السلام في سبيل حفظ الدّين، ولذا كان من حارب أهل البيت محارباً لله سبحانه وتعالى.

## وَأَتَيْنُمُ الزَّكَاةَ

### إشاره

وحفظ الزكاه من جملة المواثيق أيضاً.

والمستفاد من الأدله هو أنّ حكم إيتاء الزكاه حكم إقامة الصّلاه من جميع الجهات.

ولذا نجد أنّ القرآن الكريم في أكثر الموارد يُقرن إيتاء الزكاه بإقامه الصّلاه ويجعلهما في سياق واحد، وفي بعض الآيات ورد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك.

يقول تعالى في كتابه المجيد:

«وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

ففى هذه الآيه أشير إلى أصل من أصول الدين وهو التوحيد، ثم ذكر إقامة الصَّلاه وإيتاء الزكاه فقط، وجعل ذلك دين القيمه.  
وفى آيه أخرى، إشاره إلى أن إقامة الصَّلاه وإيتاء الزكاه، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، من شرائط الإمامه ووظائف الإمام، فالإمام الحق يجب أن تتوفر فيه هذه الامور. يقول تعالى :

«الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» ٢

فالإمامه جعل من الله تعالى ، ومن نصب للإمامه والرئاسه الإلهيه يعتبر أن تتوفر فيه هذه الصفات والشرائط.  
ومن ثم ، نخاطب الأئمه عليهم السلام ونقول: أقمتم الصَّلاه وآتيتم الزكاه وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر.

### المراد من إيتاء الزكاه

وفى تفسير المؤتون الزكاه عدّه احتمالات، وأمّا إخراجهم زكاه غلاتهم من أراضيهم التى كانوا يمتلكونها، فهذا واضح.  
الإحتمال الأوّل: إنّ الأئمه عليهم السلام، كما أقاموا الصَّلاه بالمعنى الذى تقدم بيانه، كذلك آتوا الزكاه، إذ كانوا يعلمون الناس أحكام الزكاه، ويأمرون الناس

بإخراجهم زكواتهم، فحافظوا على أحكام الزكاه من التحريف والتشويه والتغيير، وأحبطوا محاولات المنافقين وأعداء الإسلام في هذا المجال، وذلك لأنّ الزكاه مثل الصّلاه من دعائم الدين.

الإحتمال الثاني: إنّ المراد من «الزكاه» هنا هو الأعمّ من الزّكاه الواجبه والمستحبّه، فقد يراد من الزّكاه الصّدقه المستحبّه أيضاً كما تقرّر في محلّه، فالمقصود حينئذٍ هو رعايه الأئمّه عليهم السّلام فقراء المؤمنين و العنايه بهم من النّاحيه المادّيّه، فهم بالإضافه إلى إيصال الزكوات الواجبه إلى مستحقيها كانوا، يحملون الطعام إلى بيوت الفقراء و المعوزين، كما هو مذكور بتراجمهم في كتب الموافقين و المخالفين، ممّا لم نجده في أحوال غيرهم.

الإحتمال الثالث: أن يكون المراد من الزكاه هو المعنى العام لها، فامتياز الأئمّه عليهم السّلام على باقى الناس هو إنّهم عليهم السّلام كانوا يؤتون كلّ أنواع الزكاه، ذلك، لأنّ للزّكاه أنواعاً:

١ - زكاه المال.

وقد ذكرت أحكام هذه الزكاه وأنصبتها وخصوصياتها في كتب الفقه.

٢ - زكاه المقام والجاه.

٣ - زكاه العلم.

ففى الحديث عن أمير المؤمنين على عليه السّلام قال:

«زكاه العلم نشره، وزكاه الجاه بذله، وزكاه المال الإفضال وزكاه القدره الإنصاف...»<sup>(١)</sup>.

ص: ٢٥٥

---

١- (١) بحار الأنوار ٩٣ / ١٣٦ نقلاً عن عدّه الداعى: ٦٣؛ مستدرک الوسائل ٧ / ٤٦، الحديث ٦، نقلاً عن غرر الحكم: ٤٢٤.

فالأئمة عليهم السلام قد آتوا الزكاه بكل أنواعها وعلى أتم الوجوه.

وزكاه المال، معلومه وواضحه.

وأما زكاه الجاه والمنزله، فهي بأن يتوسط الإنسان ويشفع لإخوانه في قضاء حوائجهم وحل مشاكلهم، مستفيداً من جاهه ووجاهته عند الناس.

وزكاه العلم نشره وبثه، وهو واضح أيضاً.

فالأئمة عليهم السلام كانت لهم ممارسات في كل أنواع الزكاه وقد أدوا زكاتهم على أحسن وجه، وقد تفضل عليهم الباري عز وجل بكل هذه الشؤون.

فوظيفه الإمام، وشرط الإمامه، أن يؤدي الزكاه في كل موارد بالنحو الذي تقتضيه الضروره وبالترتيب الذي تتطلبه وظيفته.

ولا يخفى أن تطبيق «آيتيم الزكاه» على هذا المعنى له ثلاث جهات:

١ - أن يكون للإمام عليه السلام هذه الامور الثلاثه، أي المال، العلم والمقام.

وقد كان للأئمة عليهم السلام ذلك.

٢ - أن يعرف كيف يضع الحقوق في محلها المناسب، وكيف يصرف كل قسم من أقسامها بشكل صحيح ونافع.

٣ - أن تكون له القدره على تطبيق الإيتاء في الأقسام الثلاثه المذكوره.

ولقد كانت هذه الجهات الثلاثه متوفره في الأئمة عليهم السلام، فقاموا بإيتاء الزكاه على أتم وجه.

ومن هنا، فإن «وآيتيم الزكاه» من خصائص الأئمة عليهم السلام.

وإنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهي عن المنكر هو من جملة المواثيق المأخوذة من الأئمة عليهم السّلام، وقد عملوا به على أحسن وجه وأدوا وظيفتهم حياله.

فكلنا نعلم بأن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطاً وأحكاماً، وقد ذكرت في كتب الفقه بالتفصيل؛ ولكن المراد من الأمر بالمعروف هنا وفي الآيه المباركه التي مرّ ذكرها وكذا في زياره النبي الأكرم والأئمة عليهم السّلام، لا بدّ أن يكون فوق كلّ هذه المعاني، وأكبر من هذا المجال.

فظاهر الآيه المباركه، هو إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شؤون الإمامه ومن صفات الإمام.

إنّ المنكر هو ما يقابل المعروف. يقول الراغب الإصفهاني:

«عرف: المعرفه... ويضاده الإنكار»<sup>(١)</sup>.

فإذا ما فهمنا المعروف، سنفهم المنكر لامحاله، بقريته المقابله.

ومن جهه ثالثه، فإنّ الأمر مقابل النهي. فإذا فهمنا معنى الأمر، سنفهم معنى النهي قهراً.

إنّ الأئمة عليهم السّلام أمروا بالمعروف، ومن الواضح أنّ الأمر بالشئ، لا بدّ أن يتناسب مع ذلك الشئ، إذ ليس الأمر، قول: «إفعل» فقط، بل إنّ الأمر بمعنى إيجاد داعي الفعل عند المأمور، وهذا ما حُقِّق في علم الاصول أيضاً.

ومن جهه أخرى، فإنّ المعروف مصداقاً، عباره عن المعروف الاعتقادي، العملي والأخلاقي.

ص: ٢٥٧



وعليه، فالأئمة عليهم السلام أمروا الناس بالمعروف الإعتقادي، العملي والأخلاقي، وأوجدوا فيهم الدواعي إلى ذلك.

ولتوضيح هذا الأمر نقول:

لقد قرأنا في آية النفر:

«فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» ١

### ما معنى التفقه في الدين ؟

وإنَّ التفقه في الدين له أبعاد ثلاثة:

١ - البعد الإعتقادي.

٢ - البعد العملي.

٣ - البعد الأخلاقي.

وما يُدرس في الحوزات العلمية هو بُعد واحد من الفقه.

لقد ثبت أنَّ أفعال الله تعالى معلَّلة بالأغراض، فلا عبث على الإطلاق. قال تعالى في القرآن الكريم:

«مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» ٢

وقال عزَّ وجلَّ :

«وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ» ٣

ص: ٢٥٨

وقال فى خصوص خلق الإنسان:

«أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» ١

وعليه، فإنَّ لله تعالى غرضاً من خلق الإنسان، ولم يخلقه عبثاً.

فقال فى آخر الآيه:

«وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ»

وهذا إشاره إلى وجود الثواب والعقاب فى عالم الآخرة.

إذن، فى هذا العالم يوجد معروف ومنكر، يستتبع المعروف فى عالم الآخرة ثواباً والمنكر عقاباً، فلكلُّ منهما أثره.

والغرض من خلق الإنسان إنما يتحقق على الوجه التام فيما إذا بلغ حدَّ الكمال.

ولكنَّ وصول الإنسان إلى الكمال إنما يكون بوصوله إليه فى الأبعاد الثلاثة المذكوره للمعروف، وبذلك يتحقق التفقه فى الدين.

والبعد الأول: إستقامه الإنسان وعدم إنحرافه فكرياً وعقائدياً، بأنَّ يستند إعتقاده إلى مبانٍ صحيحه ومتقنه، وأدله وبراهين قاطعه.

والبعد الثانى أن يكون الإنسان فاعلاً للواجبات تاركاً للمحرمات عملياً، بأنَّ يكون عاملاً بالمعروف وتاركاً للمنكر، فإذا ما جاء وقت «إلينا ترجعون» سيكون الثواب والعقاب على أساس الأعمال ولا يكون ذلك جزافاً.

والبعد الثالث: الأخلاق، أى إنَّ الإنسان إنما يصل إلى الكمال فيما لو إتصف بالصفات الحسنه وتنزّه عن الرذائل والسيئات.

مما سبق يتبين أنَّ المراد من الأمر بالمعروف، هو إنَّ الإمام يقود الناس إلى الكمال في الأبعاد الاعتقاديَّة والعملية والأخلاقية، فإنَّ مثل هذا الأمر بالمعروف هو من مسؤوليات الإمام عليه السَّلام وإيصال الأئمة إلى الكمال هو الغرض الأقصى من نصبه.

### لماذا الأبعاد الثلاث ؟

وإنَّما كانت الأبعاد ثلاثة، لأنَّ الإنسان مركب من قلبٍ ونفسٍ وجسد.

فمعروف النفس، إتصافها بالصفات الحسنة وخلوها من الرذائل والصفات السيئة.

ومعروف الأعضاء والجوارح الجسديه، إتيانها بالواجبات الإلهية واجتنابها عن المحرّمات.

ومعروف القلب، الاعتقاد الصحيح المستند إلى النظر في الأدلَّة الثَّقَلِيَّة والعقلية بقدر الوسع، والإيمان الثابت على العقيدة الحقَّة.

وبطبيعته الحال، فإنَّ الإنسان إذا ما اجتنب المكروهات، وجاء بالمستحبات وعمل بها، فإنه سيقترق رتبه إضافيَّة في طريق الكمال.

كما إنَّ الإنسان إذا ما اجتنب الشبهات - مضافاً إلى المحرّمات والمكروهات - فإنه سيحظى برتبه أعلى ويصل إلى منزله أرفع.

وهكذا الحال في الجهات الاعتقادية، فإنه كلِّما تفحص وحقق في الجوانب العقائدية ودقائقها، كانت معرفته باللَّه وبرسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكبر، وأنَّه سينال درجات كمال أعلى.

إذن، فطبقاً للآية الكريمة الآنفه الذكر، فإن الإنسان إذا وصل إلى الكمال في أبعاده الثلاث، فسيكون من المترين في مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

ومن الواضح، إن الإمام لابد أن يكون في أعلى مراتب هذه الأبعاد الثلاثة، إذ كيف يدعو الآخريين إلى مكارم الأخلاق والأعمال الصالحة والعقائد الصحيحة قبل أن يكون واجداً لها؟

يقول القرآن الكريم:

«أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ» ١

فهذا ما لا يتحقق أبداً.

وعليه، فلما كانت هذه المعاني العالیه التي لا يمكننا درك حقيقتها، متوفره في الأئمة عليهم السلام، كان المراد من المعروف هو نفس الإمام وكان أعظم المنكرات مخالفه الإمام عليه السلام.

ويعنى هذا تجسد المعروف بأعلى مراتبه في وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وفي الإمام من بعده، فكلمة قاله النبي والإمام أو فعله هو المعروف، وكلمة نهيا عنه أو تركاه هو المنكر، والنبي والأئمة هم الآمرون بالمعروف والنهون عن المنكر بمعناهما الحقيقي الواقعي، كما تقدم من أنهم المقيمون للصلاه والمؤتون للزكاه، وإن كانت الصلاه والزكاه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفرائض المكتوبه على كل فرد من أفراد المسلمين، على ما تقرّر في محلّه.

ومن هنا يتبين وجه قراءه أهل البيت عليهم السّلام كلمه «خير أمّه» في قوله تعالى:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» ١

بكلمه: «خَيْرَ أُمَّة» (١)

وهذا هو الواقع حقاً، وإن كانوا عليهم السّلام قد قالوا: «إقرؤوا كما يقرأ الناس»، (٢) إذ كيف يمكن لكل فردٍ فردٍ من الأمّه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالمعنى الذى ذكرناه؟

أليس كل هؤلاء الظلمه والفسّاق مرتكبوا الجرائم والذنوب، من هذه الأمّه؟

هذا، وقد فسّرنا الآيه فى بعض أبحاثنا وعلى ضوء كلام بعض المفسّرين كالفخر الرازى بما يتطابق مع قراءه أهل البيت عليهم السّلام. (٣)

وخلصه الكلام، إنّ هذا المعنى من خصائص النبى الأكرم والأئمّه الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين، وهو إحدى الشهادات الواردة فى الزيارات لهم كالشهاده لهم بإقامه الصّلاه وإيتاء الزّكاه.

ص: ٢٤٢

١- (٢) تفسير العياشى ١ / ١٩٥، الحديث ١٢٩؛ بحار الأنوار ٢٤ / ١٥٣، الحديث ٢.

٢- (٣) بصائر الدرجات: ٢١٣؛ الكافى ٢ / ٦٣٣، الحديث ٢٣؛ بحار الأنوار ٨٩ / ٨٨، الحديث ٢٨. جاء فى هذا المصدر: قال سالم بن أبى سلمه: قرأ رجل على أبى عبد الله عليه السّلام وأنا أسمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأها الناس. فقال أبو عبد الله عليه السّلام: مه، مه، مه، كف عن هذه القرائه. إقرء كما يقرأ الناس حتّى يقوم القائم؛ فإذا فقام، فقرأ كتاب الله على حدّه واخرج المصحف الذى كتبه على عليه السّلام....

٣- (٤) راجع: تفسير الرازى ٨ / ١٩٠.

إن فقرات الزياره الجامعه ناظره فى الأعم الأغلب إلى الآيات القرآنيه أكثر من نظرها للروايات. ومن هنا، فإننا نراجع الآيات الكريمه قبل الرجوع إلى الروايات فى شرح الفقرات، وفى حاله الضروره واللزوم نرجع إلى الروايات وأحياناً نرجع إلى الأدعيه والزيارات الاخرى.

وهذه الفقره من الزياره، إشاره إلى قوله تعالى فى سوره الحج:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ

١»

### الجهاد فى القرآن والروايات

وقد جاء ذكر الجهاد فى القرآن الكريم على أنواع:

١ - الجهاد فى سبيل الله بنحو مطلق.

٢ - الجهاد فى سبيل الله بالأموال والأنفس.

٣ - الجهاد الكبير، كما فى قوله تعالى :

«فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا» ٢

٤ - الجهاد فى الله. كما فى قوله تعالى :

«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» ٣

٥ - الجهاد في الله مع وصف «حقَّ جهاده» كما جاء في قوله تعالى :

«وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ» ١

ونبيّن الآن حقيقة الجهاد:

والجهاد الوارد في الشريعة على قسمين:

١ - جهاد العدو.

٢ - جهاد النفس، والذي عبّر عنه في الرواية بالجهاد الأكبر. (١)

وعلينا هنا أن نتأمّل جيداً.

١ - ما معنى الجهاد في الله ؟

٢ - ما معنى حقَّ جهاده ؟

### معنى الجهاد في الله

لابدّ من التدقيق في كلّ آيات القرآن الكريم، وعلى حدّ قول بعض أساتذتنا، علينا أن نأنس بالقرآن، لأن في القرآن الكريم لطائف ودقائق وإشارات من المهم جداً الإلتباه إليها، لأنها تفتح للإنسان أبواباً للمعرفة.

ففي هذه الآية المباركة، يقول تعالى «جاهدوا في الله» وهذا التعبير يختلف عن «جاهدوا في سبيل الله».

ففي القرآن الكريم جاءت كلمة «في» في عدّة موارد، فمثلاً جاء في الآية الكريمة:

ص: ٢٦٤

---

١- (٢) راجع: معانى الأخبار: ١٦٠، الحديث ١؛ مستدرک الوسائل ١١ / ٣٢٤، الحديث ١٢٦٣٩؛ كنز العمال ٤ / ٤٣٠ و ٤٣١، الحديث ١١٢٦٠ و ١١٢٦٥.

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ١

فلماذا قال «فى القربى» ولم يقل: «إلّا المودّة للقربى» أو «إلّا المودّة بالقربى» أو «إلّا مودّة القربى»؟

فما هى النكته لمجئ كلمه «فى» فى الآيه ؟

إن هذه الآيه - المعروفة بآيه المودّة - من أحسن أدلتنا على إمامه أهل البيت عليهم السّلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد استشكل بعض المتعصّبين فى الإستدلال عن الجهل أو التجاهل لمعنى «فى»، فقد نعذر صاحب التحفه الإثنى عشرية لكونه هندياً لا يعرف دقائق الإستعمالات فى اللغه العربيّه.

وإن كنّا نؤاخذه من جهه أنّ على الجاهل أن يسأل العالم لا أن يعترض على ما لم يعلم!

ولكن ماذا نقول لإبن تيميّه العربى الذى يدعى له العلم بالقرآن؟ إنّه ليس إلّا التعصّب للباطل والعناد للحقّ وأهله.

لكنّ غير واحد من المفسّرين كالزمخشري وأبى حيان الأندلسى النحوى والفخر الرازى ذكروا نكته لمجئ «فى» فى آيه المودّة جديره بالإلتفات، والأصل فيها هو الزمخشري وسنورد كلام بعضهم لاحقاً.

ونظير هذه الآيه، ما جاء فى قوله تعالى :

«وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَرَأْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ» ٢

فلكلمه «فى» دلالة خاصه.



هذا، وقد إدعى بعض المعاصرين أننا أيضاً من مصاديق «الراسخون في العلم»، ولكن الأئمة عليهم السلام هم المصدق التام لهذه الآية !!

لقد اشتبه هذا الشخص من عدّه جهات:

الاولى: إنّه جاء في ذيل هذه الآية المباركه، عدّه روايات في بيان المراد من الراسخين، منها ما رواه أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«نَحْنُ الرّاسِخُونَ فِي العِلْمِ وَنَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ».(1)

فلسان هذه الروايات ينفي أن يكون غير الأئمة عليهم السلام معنيين بهذه الآية، حتّى بنحو المصدق غير التام .

الثانية: إنّ لكلمه «في» في الآية الشريفه، دلالة خاصه ونكته ظريفه، سنيّنها، ومع وجود هذه النكته يخرج غير الأئمة من مصاديقها، ولا يحقّ لأحد أن يدعى ذلك.

الثالثة: إنّ مجيء كلمه «الرسوخ» في هذه الآية الشريفه، مع الالتفات إلى مفهوماها في اللغة العربيّه، يدلُّ على إنّ العلم بالقرآن الكريم ينحصر فقط بالأئمة المعصومين عليهم السلام.

الرابعة: إنّ هذه الآية الكريمه، في مقام بيان أنّ القرآن المجيد يشتمل على المحكمات والمتشابهات، فهل يستطيع أحد غير الأئمة عليهم السلام أن يدعى أنّ عنده شيئاً من العلم بمتشابه القرآن الكريم ؟

إنّ كلمه «في» هنا وفي الموارد المماثله لها دلالة خاصه مع الحفاظ على

ص: ٢٦٦

---

١- (١) نقل هذا الحديث في بصائر الدرجات: ٢٢٤، الأحاديث ٧٥٦ و٧٥٧ عن الإمام الباقر عليه السلام؛ الكافي ١ / ٢١٣، الحديث ١؛ بحار الأنوار ٣٢ / ١٩٨، الحديث ٣١ و٣٢؛ تفسير العياشي ١ / ١٦٤، الحديث ٨.

المعنى الموضوعه له وهو «الظرفيه».

والنكته ما ذكره الزمخشري في تفسيره «الكشاف» في ذيل آيه الموده، قال:

«فإن قلت: هلا قيل «إلا موده القربى» أو «إلا الموده للقربى»؟ وما معنى قوله «إلا الموده فى القربى»؟

قلت: جعلوا «قربى» مكاناً للموده ومقرراً لها. كقولك: «لى فى آل فلان موده» ولى فيهم هوى وحبّ شديد، تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله، وليست «فى» صله للموده كاللام إذا قلت: «إلا الموده للقربى» إنما هى متعلقه بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك: «المال فى الكيس» وتقديره «إلا الموده ثابتة فى القربى وتممكته فيها»<sup>(١)</sup>.

ثم قال فى «الكشاف»:

«رؤى أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال صلى الله عليه وآله: على وفاطمه وابناهما»<sup>(٢)</sup>.

وها هو الفخر الرازى يشير إلى هذا المعنى أيضاً ويقول:

«أورد صاحب «الكشاف» على نفسه سؤالاً فقال: هلا قيل: «إلا موده القربى» أو «إلا الموده للقربى» وما معنى قوله: «إلا الموده فى القربى»؟

وأجاب عنه بأن قال: جعلوا مكاناً للموده ومقرراً لها، كقولك: «لى فى آل فلان موده»، ولى فيهم هوى وحبّ شديد. تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله»<sup>(٣)</sup>.

فكان الحبّ والموده مظروف يحتاج إلى ظرف ومحلّ، وهذا المظروف لابدّ

ص: ٢٤٧

١- (١) تفسير الكشاف ٣ / ٤٤٧.

٢- (٢) تفسير الكشاف ٣ / ٤٤٧.

٣- (٣) تفسير الرازى ٢٧ / ١٤٧.

أن يستقر في ظرفه. والمراد من الظرف هنا، أهل البيت وذوو القربى، فهم المختصون بمودتي لا أودّ غيرهم كمودتي لهم وهي مستقرّهم ولا تتزلزل ولا تنفصل عنهم.

وهكذا قال أبو حيان وغيره من المفسرين. (١)

وجاء في تفسير النيشابوري:

«أى الموده ثابتة في القربى متمكنة». (٢)

وبناءً على هذا، فمن الواضح أنّ المراد من «الراسخون في العلم» ليس إلّا الأئمة عليهم السّلام، فإنهم لا ينفصلون عن العلم، كما إنّ العلم لا ينفصل عنهم.

فانفصال العلم عن الأئمة عليهم السّلام يعنى الجهل والشك، ومتى شك الأئمة عليهم السّلام؟ ومتى جهلوا شيئاً؟ ومتى تكلم الأئمة عليهم السّلام اعتماداً على الحدس والظنّ؟

إنّ أعلم العلماء، حينما يستنبط حكماً شرعياً أو يختار مطلباً علمياً، وذلك بعد مدّة مديده من التحقيق والتّديق والفحص، لا يتكلم بصيغه الجزم و إنّما يقول: الأظهر، الأقوى، والله العالم، وكثيراً ما يتفق عدوله عمّا ذهب إليه.

وبتعبير بعض أساتذتنا: إنّ أعلم العلماء هذا - وبمجرد أن يغفو إغفاه قصيره - يفقد كلّ علمه، فكيف يكون من الراسخين في العلم ومن مصاديق الآيه؟

إذن، فمعنى «في» في هذه الآيه المباركه، وكذا في قولنا في الزّياره:

«وجاهدتم في الله» هو ما ذكرناه.

ص: ٢٤٨

١- (١) تفسير البحر المحيط ٧ / ٤٩٤؛ تفسير النسفى ٤ / ١٠١؛ تفسير أبى السعود ٨ / ٣٠.

٢- (٢) تفسير النيشابورى (المطبوع فى حاشيه تفسير الطبرى) ٢٥ / ٣٣.

ثم ، لماذا نقول: «جاهدتم في الله» ولا نقول: «جاهدتم في الرحمن» أو «في الرحيم»؟

لعلَّ النكته في ذلك هي إنَّ لفظ الجلاله «الله» عَلِمَ للذات المستجمعه لكلِّ الكمالات، والأئمه عليهم السَّلام - مع الأخذ بنظر الاعتبار لما ذكرناه في فائده «في» - قد جاهدوا لتحصيل جميع الكمالات الإلهيه، وإنَّ تلك الكمالات قد رسخت فيهم ولن تنفصل عنهم بحال من الأحوال، فهي متمكَّنه ومستقرَّه فيهم.

إنَّ الأئمه عليهم السَّلام، لهم شأن مع الذات الربوبيه، وكانوا مرتبطين بالله تعالى ومتوجهين إليه بكلِّ وجودهم.

وقد ذكرنا آنفاً إنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام كان يقول:

«إنَّ قوماً عبدوا الله رغبه فتلك عباده التجار، وإنَّ قوماً عبدوا الله رهبه فتلك عباده العبيد، وإنَّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عباده الأحرار»؛<sup>(١)</sup>

وجاء في روايات العامه:

«على مُخْشَوْشٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ»

ماذا تعني هذه الروايه ؟ وهي في مسند أحمد، تاريخ الطبري والمستدرک علی الصحيحين.<sup>(٢)</sup>

وروى الطبراني وأبو نعيم الإصهاني:

«على مَمْسُوسٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ».<sup>(٣)</sup>

ص: ٢٦٩

١- (١) نهج البلاغه ٤ / ٥٣؛ بحار الأنوار ٤١ / ١٤، الحديث ٤.

٢- (٢) مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٨٦؛ تاريخ الطبري ٢ / ٤٠٢؛ المستدرک علی الصحيحين ٣ / ١٣٤.

٣- (٣) المعجم الأوسط ٩ / ١٤٢ و ١٤٣؛ المعجم الكبير ١٩ / ١٤٨؛ حليه الأولياء ١ / ٦٨؛ مجمع الزوائد ٩ / ١٣٠؛ كنز العمال ١١ / ٦٢١، الحديث ٣٣٠١٧.

نعم، هكذا كان الأئمة عليهم السّلام، فلم تكن علاقتهم مع الله تعالى مبتنيه على أساس الخوف أو الطمع، بل كان جهادهم في الله عزّ وجلّ، ولا- نقول «في سبيل الله» ليقع الفصل، فلقد حصل الأئمة عليهم السّلام على كلّ الكمالات الإلهيّة، فصاروا مظهرًا لصفات الحقّ تعالى، وكلّ ما عند الناس من كمالات فهو يبركه الأئمة عليهم السّلام.

كما إنّ الأئمة عليهم السّلام جاهدوا من أجل الدعوه إلى الله وحفظ دينه.

وفي مجال جهاد النفس، كانوا هم القاده والقدوه لكلّ سالكي هذا الطريق.

### معنى «حقّ الجهاد»

لقد ذكر الراغب الإصفهاني نقاطاً لطيفه في كتابه «المفردات في غريب القرآن». إنّه يقول:

«والجهاد ثلاثه أضرب: مجاهده العدوّ الظاهر، ومجاهده الشيطان، ومجاهده النفس. وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: «وَ جَاهِدُوا

فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» ٢١١

ويقول في كلمه «حقّ»:

«والرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب».(١)

فإذا ما وقع الفعل في الوقت المناسب له وبالشكل المناسب وبالمقدار المناسب وفي الحال المناسب، قيل فيه: حقّ .

ص: ٢٧٠

إذن، فالجهاد له أبعاد، و«الحق» له خصوصيات، فإذا ما إنتفت إحداها لم يُعد حقاً.

وفى القيام بأمر «الجهاد» راعى الأئمة عليهم السّلام كلّ الخصوصيات الواجب توفرها فى الجهاد، ولذا، كان جهادهم «فى الله» و«كان» حقّ الجهاد.

إنّ الأئمة عليهم السّلام عرفوا وظائفهم بكلّ دقّه ووضوح، فكانوا يقومون بواجبهم فى كلّ مكان ومقام، ومع كلّ شخص، بالشكل المطلوب والتام.

وهذه الخصوصيات هى من مختصات الأئمة ومنحصره فيهم، فحتى أعقل عقلاء العالم يصادفه الاشتباه فى حساباته وتخطيطه وفعله، فيفشل فى مرحله من مراحل عمله.

والحاصل، إنّ الأئمة عليهم السّلام مارسوا الجهاد بكلّ أقسامه فى المكان والمقدار والكيفيه اللّازمه والمناسبه لكلّ حال من الأحوال. ولذا فإنّهم عليهم السّلام يقولون فى ذيل الآيه التى قرأناها، إنّهم هم المعيتون.

فعن يزيد العجلي عن الإمام الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى :

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ  
١»

قال عليه السّلام:

«إيانا عنى ونحن المجتّبون».(١)

وفى روايه أخرى فى قوله تعالى :

ص: ٢٧١

---

١- (٢) الكافى ١ / ١٩١، الحديث ٤؛ تفسير الفرات الكوفى: ٢٧٥، الحديث ١؛ بحار الأنوار ٦٦ / ٣٥٩.

«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» ١

قال عليه السلام: «نزلت فينا أهل البيت». (١)

أى إن المقصودين في هذه الآية هم أهل البيت فقط، لا إنهم أحد مصاديقها أو مصداقها الأتم، إذ إن غير الأئمة لا يصلح لأن يكون مصداقاً لها إطلاقاً.

نعم، من جاهد في هذا الطريق، نقول عنه: إنه سائر في هذا الطريق، لا إنه مصداق للآية الكريمة.

وقد روى عن الإمام الباقر عليه السلام، إنه قال:

«هذه الآية لآل محمد ولأشياعهم». (٢)

ولكن لا على نحو الإطلاق، فإن ذلك من مختصات الأئمة عليهم السلام، فهم الذين «جاهدوا في الله حق جهاده» مطلقاً.

لأن هذا التعبير بهذه الخصوصيات لا يصدق على غير المعصومين.

فإذا ما سار أتباعهم وأصحابهم في هذا الطريق، فهذا لا يكسبهم مصداقيه الآية ليقال: هذا مصداق، وذاك مصداق، ولكن الإمام هو المصداق الأتم !!

وبعبارة أخرى، إن مصداقيه الآية إنما تتحقق في مقام العصمة، فهذا الرسوخ في العلم، وهذا «الجهاد في الله حق جهاده» ملازم للعصمة ولا- يكون إلّا من المعصوم، ولذا لم يتحقق الجهاد حق الجهاد - بالمعنى الذى ذكرناه - خارجاً إلّا من المعصومين من أهل بيت رسول الله عليهم السلام.

ص: ٢٧٢

١- (٢) الاختصاص: ١٢٧؛ بحار الأنوار ٢٤ / ١٥٠، الحديث ٣٥ نقلاً عن كنز الفوائد: ٢٢٣؛ شواهد التنزيل ١ / ٥٦٩، الحديث ٦٠٧.

٢- (٣) تفسير القمى ٢ / ١٥١؛ بحار الأنوار ٢٤ / ٤٣، الحديث ٣.

أجل، هناك في كلِّ زمان طائفه من أصحاب الأئمة وتلامذتهم والمترين في مدرستهم عليهم السّلام، ساروا في سبيل الله عزوجلّ وفي طريق تزكيه النفس وجهاد أعداء الحق بالمال والأنفس، ومدرسه أهل البيت عليهم السّلام مستمرّ والحمد لله- في إتياء هذه الثمرات، ولكنّ هؤلاء ثمره لتلك الشجره الطيبه، لا إنّ الثمره تكون في حكم الشجره، ولا يجوز أن نصف الثمره بما توصف به الشجره.

ص: ٢٧٣





فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ ، وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ .

وَمِيرَاثُ النَّبِيِّ عِنْدَكُمْ وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ ، وَفَضْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ .

وَآيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ ، وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ ، وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ .

مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ ، وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ ، وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ ، وَمَنْ  
اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ؛

ص: ٢٧٥



**فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ ،**

**وَالْمَقْصَرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ**

**الأئمة بشأن الأئمة على طوائف**

هذه «الفاء» هي فاء التفریع، أى إنَّ هذه الفقرة مترتبة على ما سبقها من فقرات، وهى تشتمل على ثلاث جمل تركبت كل واحد من موضوع ومحمول وصله.

فالموضوع فى الجملة الأولى: «الراغب» و المحمول «مارق» والصله «عنكم». وفى الثانية: «اللازم» و المحمول هو «لاحق» و الصله «لكم». وفى الثالثة:

«المقصر» و المحمول هو «زاهق» و الصله «فى حقكم».

فأفادت الفقرة أنّ الأئمة هم الميزان للأئمة، و ذلك لأنَّ الله تعالى قد نصب الأئمة هداةً للخلق وأدلاءً على الله، وليبينوا الفرائض و يقيموا الحدود، وينشروا شرائعه، فتكون أقوالهم أقوال الله وأفعالهم تجليات لإرادته الله تعالى، فمن الطبيعى أن يكون الراغب عنهم مارقاً و اللازم لهم لاحقاً و المقصر فى حقهم زاهقاً، فإنَّ هذا نتيجة كونهم منصوبين من قبل الله.

ص: ٢٧٧

وهكذا أصبحت الأمة بشأن أئمة أهل البيت عليهم السلام على ثلاثة طوائف.

فطائفهم هم:

### المعرضون عن الأئمة

فَالرَّاعِبُ عَنكُمْ مَارِقٌ

يقول الراغب الإصفهاني:

«رغب: أصل الرغبه السعه في الشيء ... فإذا قيل: رغب فيه وإليه يقتضى الحرص عليه... وإذا قيل: رغب عنه إقتضى صرف الرغبه عنه والزهد فيه»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد كلا الإستعمالين في القرآن الكريم.

قال تعالى :

«إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ»<sup>٢</sup>

وجاء في آيه أخرى:

«أَرَاغِبُ أَنتَ عَنِ آلِهَتِي»<sup>٣</sup>

ونقرأ في آيه ثالثة:

«وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ»<sup>٤</sup>

ففي هاتين الآيتين جاءت الرغبه متعدية ب«عن» فهي بمعنى الإعراض والإدبار.

ص: ٢٧٨

وفى الحديث المعروف عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال:

«النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى».(١)

والمستفاد من هذا الحديث، مضافاً إلى محلّ الشاهد، إنّ الإعراض عن سنّ النبي الأكرم هو إعراض عن نفس النبي صَلَّى الله عليه وآله.

وسنقرأ من الكتاب والسنة، كيف إنّ الإنسان وبركه حبّ وطاعة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله سيكون من رسول الله. وأنّ الزّاعب عن سنّته سيكون معرضاً عن نفس رسول الله صَلَّى الله عليه وآله.

إذن، فإذا كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول إنّ المعرض عن سنته ليس منه، فكيف سيكون حال من يعرض عن أهل بيته؟ فهل له أن يدعى إنّ من رسول الله ومن أمّته صَلَّى الله عليه وآله؟

من هنا كان المعرض عن أهل بيت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله «مارقاً» عن الدّين، وهذا ما ذكرناه مراراً و أكدنا عليه.

### المروق لغه

وقد فسّر أهل اللّغه كلمه «المروق» بمعنى «الخروج».

ويبدو أنّ المروق أخصّ من الخروج، فهو خروج ولكنّه ليس مطلق الخروج. يقول الجوهرى:

«مرق السّهم من الرّميّه مروقاً، أى خرج من الجانب الآخر، ومنه سمّيت

ص: ٢٧٩

---

١- (١) الكافي ٥ / ٤٩٦، الحديث ٥؛ بحار الأنوار ٢٢ / ١٢٤، الحديث ٩٤؛ فتح البارى ٩ / ٩٦.

الخوارج مارقه، لقوله عليه السّلام: يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّميه» (١).

فكلمه «مَرَقَ» تستعمل فى الشئ الداخلى فى الشئ من جانبٍ والخارج عنه من جانبٍ آخر، كما فى الحديث الصحيح عن أمير المؤمنين عليه السّلام يقول:

«أمرتُ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» (٢).

وفى حديث آخر: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لامّ سلمه:

«إسمعى يا أمّ سلمه قولى واحفظى وصيتى واشهدى وأبلغى (أنّ عليّاً) هذا أخى فى الدنيا والآخرة، نيط لحمه بلحمى ودمه بدمى، منى ابنتى فاطمه ومنه ومنها ولدائى الحسن والحسين، وعلى أخى وابن عمّى ورفيقى فى الجنّه، وهو منى بمنزله هارون من موسى غير أنّه لا نبى بعدى... يا أمّ سلمه! على يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدى» (٣).

والمراد من الناكثين: أصحاب الجمل، ومن القاسطين: أهل الشام، ومن المارقين: أهل النهروان (٤).

ص: ٢٨٠

١- (١) صحاح اللغه ٤ / ١٥٥٤؛ لسان العرب ١٠ / ٣٤١؛ قاموس المحيط ٣ / ٢٨٢.

٢- (٢) الخصال: ١٤٥؛ عيون أخبار الرضا عليه السّلام ١ / ٦٦، الحديث ٢٤١؛ المسترشد: ٢٦٩، الحديث ٧٩؛ بحار الأنوار ٢٩ / ٤٣٤، الحديث ١٩ و ٢٠؛ كنز العمّال ١١ / ٢٩٢، الحديث ٣١٥٥٢ و ٣١٥٥٣؛ المعجم الأوسط ٨ / ٢١٣؛ الكامل ٢ / ٢١٩؛ تاريخ مدينه دمشق ٤٢ / ٤٦٩.

٣- (٣) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام ١ / ٣٥٥؛ التحصين: ٦٢٨ وقد جاء فى كتاب تاريخ مدينه دمشق ٤٢ / ٤٧٠ و ٤٧١، أجزاء من هذا الحديث.

٤- (٤) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام ٢ / ٥٤٤، الحديث ١٠٥١؛ كنز العمّال ١١ / ٢٩٢، الحديث ٣١٥٥٣؛ تاريخ مدينه دمشق ٤٢ / ٤٦٩.

ولقد أنكر ابنُ تيميه هذا الحديث، لأنه يدلّ على وجوب قتل طلحه و الزبير و معاويه، وأتباعهم. (١)

ولكنّ الحديث صحيح ولا مجال للخدش في سنده، وقد أثبتنا ذلك بنحو مبسوط. (٢)

لقد كان «المارقون»، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام، وكانوا من المنذفعين في ولايته، والمستحكّمين إلى حدّ ما فيها، ولكنّهم مرقوا وخرجوا عن الولاية والدين، إلى درجة تجعل أهل السنّه - الذين يدافعون عن الناكثين والقاسطين - أيضاً يقولون بضلالتهم وإنحرافهم، فمروق أهل النهروان عن الحق متفق عليه بين كلّ المسلمين.

لقد انقلبوا على أعقابهم ومارقوا عن الدين حتّى شاركوا في سفك دم الإمام على والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السّلام.

إذن، فمن خالف أهل البيت عليهم السّلام وحاربهم كانت عاقبته نفس عاقبه أهل النهروان ومصيره مصيرهم وحكمه حكمهم، فلا فرق بين الذين حاربوا أمير المؤمنين عليه السّلام في صفّين والذين حاربوه في البصره، والذين حاربوه في النهروان، فكّلهم مشركون كما سيأتى بشرح: «ومن حاربكم مشرك».

لكنّ أهل النهروان كانوا من أصحابه فعبّر عنهم في الأحاديث ب«المارقين»، وأهل البصره عبّر عنهم ب«الناكثين»، لأنّهم نكثوا البيعه مع أمير المؤمنين. وعبّر عن أهل الشّام ب«القاسطين» أي: «الجائرين» و«الباغين».

ص: ٢٨١

١- (١) منهاج السنّه ١١٢ / ٦.

٢- (٢) راجع: محاضرات في الإعتقادات ٨٠٥ / ٢؛ دراسات في منهاج السنّه.



واضحٌ أنَّ الملازمه هنا لا- يراد منها الملازمه الجسديّه، كما يقال: فلان ملازمٌ لفلان، أى إنهما معاً دائماً؛ وإنّما المقصود هو الملازمه المعنويه، أى الكون مع الأئمه عليهم السلام و الإنقياد لهم فى العقيده و العمل و الأخلاق، و من البديهي أنّ هذه المتابعه هى فرعُ المعرفه. ولذا، فإنّه كلّما إزدادت معرفه الإنسان بأهل البيت عليهم السّلام كلّما إزدادت طاعته و متابعتهم لهم. و من هنا، كانت مراتب الطاعه و المتابعه متفاوتة تبعاً لتفاوت درجات المعرفه بالأئمه عليهم السلام.

والمشاهد على أنّ المراد هو الكون مع الأئمه بمعنى المتابعه، قوله تعالى فى القرآن الكريم:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» ١

وهذا الخطاب موجّهٌ إلى كلّ المؤمنين وإلى يوم القيامه، فيجب عليهم الكونُ مع الصادقين. فمن الواضح، أنّ المراد، ليس الكون والمعنيّه الجسديه، بل المراد هو المعنيّه الروحيه المعنويه، أى المتابعه و الانقياد فى العقيده و الفكر و الرأى و العمل.

وكم لهذه المعنيّه و الكون من نظائر فى علاقات الناس الاجتماعيه، السياسيه، الأخلاقيه، فحينما يقال فلانٌ مع فلان، فالمراد أنّه متابع له فى أفكاره و عقائده.

وحيثُ، فإذا ما عرفنا من هم الصادقون، فإننا سنكون المخاطبين بالآيه و المأمورين بملازمتهم و طاعتهم، و كلّما إزدادت معرفتنا بهم، كلّما إستحكمت معيتنا لهم و ملازمتنا إياهم و تعذر مروقتنا عنهم.

وقد ثبت من خلال الأحاديث الواردة عند الفريقين، أنّ المراد من «الصّادقين» في الآية الشريفه هم أئمه أهل البيت عليهم السلام. (١)

فيتضح حينئذٍ أنّ الله تعالى قد أمرنا بأن نكون - معنوياً - معهم ولا نفرقهم.

ومن جهه أخرى، فإنّ إطاعتهم «مطلقه»، لأنه تعالى قال: «وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» ولم يقيد بزمان أو مكان أو حال أو فقه أو حديث أو تفسير، وإنّما أطلق وجوب المتابعه والكون والمعنيه، وهذا يوجب المتابعه في أفعالهم وأقوالهم وتروكهم وحركاتهم وسكناتهم وعقائدهم وأحكامهم وسننهم وآدابهم.

ومن ثمّ قلنا بعصمه الأئمه عليهم السّلام وإستدللنا عليها بهذه الآية في جملة الأدلّه الاخرى، لأنّ الأمر بمعيتهم مطلقٌ وغير مقيد بأى قيد، وكلّ من كان كذلك فلا بدّ وأن يكون معصوماً.

### المعنيه والملازمه تنتهى إلى الخلطه

وهذا المعنى هو مضمون خطاب الإمام الرضا لابن أبى محمود، حيث قال عليه السّلام:

«يا ابن أبى محمود! إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طاعتنا، فإنّه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه...» (٢)

ص: ٢٨٣

---

١- (١) بصائر الدرجات: ٥١، الحديث ١ و٢؛ الكافي ١ / ٢٠٨، الحديث ١؛ بحار الأنوار ٢٤ / ٣٠؛ شواهد التنزيل ١ / ٣٤١، الحديث ٣٥٧.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ٢ / ٢٧٢، الحديث ٦٣؛ بحار الأنوار ٢ / ١١٥، الحديث ١١؛ وسائل الشيعه ٢٧ / ١٢٨، الحديث ٣٣٣٩٤؛ بشاره المصطفى: ٣٤٠ - ٣٤١.

ومنه يظهر إنَّ القضية ذات طرفين، والإقبال من طرف يقابله الإقبال من الطرف الثاني، وهو نظير ما جاء في قوله تعالى :

«فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» ١

وبالتدقيق في إستعمال كلمه «الملازمه» في الموارد المختلفه، نستكشف أمراً آخر وهو: أنَّ الملازمه بالمعنى الحقيقي والواقعي تنتهى إلى المخالطه، وبتعبير آخر يصير المتلازمان على أثر شدّه الملازمه واحداً. ولذا جاء في اللغه:

«وعانقه معانقه وعناقاً: التزمه فأدنى عنقه من عنقه» (١).

فإذا تعانق إثنان بمحبّه، التصقوا، فكأنهما يختلطان و يصيران بعد الإثنيته واحداً.

ومن هذا الباب تسميه «الملتزم» من الكعبه المشرفه، حيث يلتصق به الحاج و يحتضنه، قال في المصباح:

يقال لما بين باب الكعبه و الحجر الأسود الملتزم، لأنَّ النَّاسَ يعتنقونه أى يضمّونه إلى صدورهم. (٢).

والأصل في كلّ ذلك هو الحبّ ، فإنّه المحرّك نحو الطّاعه، وكلّما اشتدّ الحبّ ازدادت الطّاعه، حتّى تتحوّل «الملازمه» و «المعيه» إلى أن يكون التابع «من» المتبوع.

وهذا معنى قول النبي الأكرم صلى اله عليه وآله في حقّ سلمان:

ص: ٢٨٤

---

١- (٢) لسان العرب ١٠ / ٢٧٢؛ تاج العروس ١٣ / ٣٦٣.

٢- (٣) المصباح المنير: ٥٥٣.

«سلمانٌ منّا أهل البيت».(١)

ومن الشواهد على أنّ الحبّ هو المحرّك الأصلي للطّاعة ثم الوصول إلى أعلى مراتب القرب:

«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» ٢

فالمحبّة تأتي بالمتابعه، وإذا ما تحققت المتابعه، تبدأ المحبّه من طرف المحبوب، فكلّما ازدادت من هذه الجبهه ازدادت من الجبهه الاخرى حتّى يصل الإنسان إلى مقام «منّا».

هذا، وقد ذهب بعض الأجلّاء إلى القول بعصمه سلمان رضى الله تعالى عنه بالنظر إلى ما ورد في حقّه عن النّبي وآله عليهم السلام، ولنا بحث في ذلك.

ومن أظهر المصاديق للمعنى المذكور ما حصل لأمير المؤمنين من رسول الله صلى الله عليه وآله على أثر الملازمه المستتبّه الطّاعه و المتابعه له:

سئل القثم بن العباس - أخو عبد الله بن العباس - عن سبب أقربيته إبن عمّه على عليه السّلام من رسول الله صلى الله عليه وآله دون سائر عشيرته، فصار وارثاً له ؟

فقال في الجواب:

«لأنّه كان أولنا برسول الله صلى الله عليه وآله لحوقاً وأشدّنا به لزوقاً».(٢)

ص: ٢٨٥

١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ١ / ٧٠، الحديث ٢٨٢؛ مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام ٢ / ٣٨٤، الحديث ٨٥٨؛ بحار الأنوار ١١ / ٣١٢ - ٣١٣.

٢- (٣) الفصول المختاره: ٢٤٦؛ الطرائف: ٢٨٤؛ بحار الأنوار ٣٨ / ٢٧١؛ المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٢٥؛ المصنّف ٨ / ٣٤٨؛ السنن الكبرى ٥ / ١٣٩، الحديث ٨٤٩٤؛ المعجم الكبير ١٩ / ٤٠؛ كنز العمال ١٣ / ١٤٣، الحديث ٣٦٤٤٧، وقد جاء في بعض المصادر بدلاً عن كلمه «لزوقاً»، كلمه «لصوقاً».

ومن هذا الباب حالات النبي وآله الأطهار عليهم الصلاة والسلام مع الله، كما سيأتي بيان طرفٍ من ذلك بشرح: «وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم» إن شاء الله.

وهكذا كان حال طلاب الحوزة العلميّة وحتى الآونة القريبه. فلقد كانوا يلازمون الأساتذة قدر الإمكان، فمضافاً إلى حضور الدرس والبحث، فإنهم كانوا يحضرون معه في منزله، ويصاحبونه في سفره.

وقد نقل لي أحد أساتذتي أنّ الميرزا محمد تقى الشيرازي كان يلازم استاذة «الفاضل الأردكاني»، حتّى عند ذهابه للاستحمام، فكان يحمل ملابس استاذة ليعينه في شيخوخته وليؤدى حق الاستاذ وليستفيد من علمه حتّى في طريق ذهابه وإيابه.

وهذا درس تعلّموه من أمير المؤمنين عليه السلام الذى كان يلازم رسول الله صلّى الله عليه وآله ويذهب معه إلى بيته، كما إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يذهب إلى بيت أمير المؤمنين ويحدثه ويعلمه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام فى هذا الشأن:

«وقد كنت أدخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله كلّ يوم دخله وكلّ ليله دخله فيخلىني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيرى، فربما كان فى بيتى يأتينى رسول الله صلّى الله عليه وآله أكثر ذلك فى بيتى. وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاىني وأقام عني نساءه فلا يبقى عنده غيرى، وإذا أتانى للخلوه معى فى منزلى لم يقم عني فاطمه ولا أحداً من بنى، وكنت إذا سألته أجابنى وإذا سكّ عنه

فهل بلغ أحدٌ من رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله غير علي عليه السَّلام ما بلغه ؟

ولذا يقول عبد الله بن العباس: إنَّ العلوم قسمت إلى عشرة أقسام، تسعه منها عند علي بن أبي طالب، وقسم واحد قَسَم بيننا جميعاً وعلى شريكنا في هذا القسم أيضاً.(٢)

هذا، وقد جاء في روايات أهل السنَّة أنَّ النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عليه وآله قد أشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام وقال:

«مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي».(٣)

ولكنَّ البعض ليس مؤهلاً لدرك أنَّ حبَّ أهل البيت عليهم السَّلام يصل بالإنسان إلى هذه النتيجة.

وعلى الجملة، فإن قولنا «واللَّازم لكم لا-حق»، كلام تدعّمه الأدلَّة عقلاً- و نقلاً- و تشهد به الآيات و الروايات و سيره الأئمّه الطَّاهرين و عباد الله الصَّالحين، وملخّص معناه: إن الملازمه للأئمّه تستتبع المتابعه لهم و المتابعه تستتبع اللّحاق لهم، قال تعالى:

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» ٤

ص: ٢٨٧

- 
- ١- (١) الكافي ١ / ٦٤، الحديث ١٠؛ الاعتقادات، الشيخ الصدوق: ١٢١؛ الخصال: ٢٥٧؛ بحار الأنوار ٢ / ٢٨، الحديث ١١.
  - ٢- (٢) النجاه في القيامه في تحقيق أمر الإمامه: ١٦٢، ابن ميثم البحراني؛ مطالب السئول في مناقب آل الرسول: ١٦٩؛ ينابيع المودّه ١ / ٢١٣ و ٢ / ١٧١ و ٣ / ١٤٤ و ٢١٠ و ٢٢١؛ الإستيعاب ٣ / ١١٠٤؛ أسد الغابه ٤ / ٢٢؛ سبل الهدى والرشاد ١١ / ٢٨٩؛ تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٣٤٦.
  - ٣- (٣) المناقب، ابن شهر آشوب ٣ / ١٥٣ و ١٥٤؛ العمده: ٢٧٤، الحديث ٤٣٦؛ ذخائر العقبى ك ٩١؛ بحار الأنوار ٢٣ / ١١٦، الحديث ٢٧؛ مسند أحمد بن حنبل ١ / ٧٧؛ كنز العمال ١٣ / ٦٣٩، الحديث ٣٧٦١٣.

كلمه «قَصَّر» فى اللغه، جاءت متعدية بنفسها تاره، ومتعديه بحرف الجرّ تاره أخرى.

ومعانى لفظه «قَصَّر» بلحاظ حرف الجرّ، متعدده.

فإنّ جاءت «قَصَّر» متعديه بنفسها، أعطت معنى التحديد.

وإنّ جاءت متعديه بحرف الجرّ «من»، أعطت معنى النقصان.

وإنّ جاءت متعديه بحرف الجرّ «على»، أعطت معنى الاكتفاء.

وإنّ جاءت متعديه بحرف الجرّ «عن»، أعطت معنى العجز.

وإنّ تعدت بحرف الجرّ «فى»، أعطت معنى الإهمال العمدى. (١)

«المقصر فى حقكم»، أى إنّ المتخاذل والمتماهل فى معرفه الأئمه عليهم السلام، يُحرّم من ملازمتهم.

ولعلّ أظهر مصاديق الملازمه، ما كان عليه سلمان، فقد كانت بنحو استدعت صيرورته من أهل البيت.

يقول زراره: سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«أدرّك سلمان العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحرٌّ لا ينزح وهو ممّا أهل البيت، بلغ من علمه أنّه مرّ برجل فى رهط...» (٢)

إذن، فالمقصر فى حقّ أهل البيت عليهم السلام هو الذى تماهل فى معرفتهم

ص: ٢٨٨

١- (١) راجع: المفردات فى غريب القرآن: ٤٠٥.

٢- (٢) الاختصاص: ١١، بحار الأنوار ٢٢ / ٣٧٣، الحديث ١١، نقلاً عن رجال الكشّى: ٨، وتوجد هذه الروايه فى الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ / ٨٥ و٨٦، بسند آخر عن أمير المؤمنين على عليه السلام ولكن جاء فيها: «كان بحراً لا ينزف».

مع تمكنه من ذلك، و هذا يؤدّي قهراً إلى عدم متابعتهم وعدم طاعتهم والانقياد لهم. وحينئذ ستكون الفاصله بينه وبينهم كبيره وسيتعد عنهم كثيراً.

وتوضيح ذلك:

إنّ الإنسان إمّا عالمٌ أو جاهل، والجاهل إمّا مقصّر أو قاصر، وقد كان الجاهل القاصر موجوداً في الأزمنه الماضيه. وأمّا في زمننا هذا، فهل يوجد مصداق للجاهل القاصر أم لا؟ فيه بحث وخلاف. اللهم إلّا أولئك الذين يعيشون في الغابات والمناطق المنقطعه عن العالم، وهم اليوم قلّه قليله، ولسنا الآن بصدّد التحقيق عن هذه القضيه، وإنّما نقول: إنّ من كان قاصراً عن معرفه الله تعالى، أو معرفه النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله، أو معرفه الأئمّه عليهم السّلام، أو أى نوع من المعارف الدينيه، وكان عاجزاً عن الوصول إلى الحقائق، فإنه - وبحسب القواعد - سيكون حسابه على الله.

ولكنّ كلامنا في الجاهل المقصّر، فما هو تكليف مثل هذا الفرد؟

إذا كان الإنسان جاهلاً، وكان يعلم بأنّه جاهل، ولم يتحرك باتجاه المعرفه عن عمدٍ وإرادته مع قدرته على ذلك، فبقي في ظلمات الجهل والضلال، فإنّ الشرع والعقل والعقلاء يذمّون هذا الفرد ولا يعذرونه.

إنّ الإنسان إذا ما ابتلى بصداع طفيف، فإنه سيسارع إلى التداوى والعلاج لرفعه. فإن لم يكن في بلده طبيب أو مشفى أو صيدليه، فإنه سيذهب إلى أقرب بلده يتوفر فيها ذلك، من أجل معالجه حالته.

أجل، فأبسط حاله مرضيه، تدفع الإنسان إلى التحرك السريع والجدّ للمعالجه، فإن لم يفعل لام نفسه ولامه الناس على تقصيره.

أفلا يستحقّ تحصيل المعارف الدينيه والوصول إلى الحقائق المعنويه



المقومه لحياء الإنسان، أن يكون داعياً ومحفزاً ومحركاً له باتجاهها؟

فمن البديهي أن نلوم الإنسان الجاهل الذي لا يتحرك - على فرض المُمكنه والقدره - باتجاه المعرفه وتحصيل الحقائق، ولا تُقبل منه دعوى العجز عنها، ولا نَعذرُه في ذلك.

ومن جهه أخرى، فإنَّ بعض الجهَّال، ليس فقط يجهلون أنهم جهَّال، وإنما يرون أنفسهم من العلماء، فيستكبرون عن السؤال ويستنكفون عن التعلُّم، كمثّل من يسير أياماً وليالي بكلِّ همّه وجدُّ بقصد مكه، غافلاً عن إنّه يسلك طريق الهند لا الحجاز، ولكنه يزعم بأنه عالم بالطرق فيستنكف من السؤال عن الطريق فلا يسأل أحداً: أين طريق مكه؟ ظنّاً منه بأنه عالم به. اللهم إلاً أن يصادف شخصاً في طريقه فيعرِّفه باشتباهه، وحينئذٍ سيخرج من الجهل المركب إلى الجهل البسيط، فيحتاج إلى عالم يخرجّه من جهله البسيط هذا فيأخذ بيده ويُقرّه في الطريق الصحيح الموصل إلى مكه.

### جهل الناس بأهل البيت عليهم السّلام

والناس من حيث المعرفه بأهل البيت، على طوائف:

١ - الشيعة، وهم قسم من الناس لازموا أهل البيت عليهم السّلام، وهم الذين نعبّر عنهم ب«الموالين» وهم أولئك الذين يحملون معرفه بأهل البيت عليهم السّلام، وأحقّيتهم، وتبعاً لهذه المعرفه تابعوا أهل البيت وأطاعوهم في جميع الأبعاد والشؤون وثبتوا وصبروا على هذه الطاعه والإنقياد، وهو معنى التشيّع حقيقهً .

٢ - الخوارج، وهم قسم من الناس أعرضوا عن أهل البيت عليهم السّلام،

وانفصلوا عنهم تماماً، بعد أن كانوا من الموالين لهم وهو ما بيّناه في شرح «الراغب عنكم مارق» حيث ذكرنا أن «المروق» ليس مطلق الخروج، وإنما خروج خاص، وإن كان بمعناه في ظاهر كلمات اللغويين.

إنّ هؤلاء، كانوا يقرؤون القرآن، ويؤدّون صلواتهم بخضوع وخشوع، ويلتزمون بالظواهر.

فقد جاء في روايه إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم بين أصحابه في المسجد، فدخل رجل ولم يسلم عليه وأخذ زاويه من المسجد فوقف يصلى بها. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من يقوم لهذا الرجل فيقتله؟

فقال أبوبكر: أنا يا رسول الله!!

فلمّا سلّ أبوبكر سيفه ليقتله، وجدّه في حال الصّلاه، وأى صلاه!! صلاه بخشوع وخضوع، فقال في نفسه: كيف أقتل رجلاً يصلى مثل هذه الصّلاه؟!

فرجع إلى مكانه دون الامتثال.

فقال رسول الله ثانيه: من يقوم لهذا الرجل فيقتله؟

قال عمر: أنا يا رسول الله!

فقام إليه كما قام الأول، فرآه على ما رآه الأول، فلم يقتله ورجع.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله ثالثه: من يقتله؟

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: أنا يا رسول الله!

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«أنت إن أدركته»!

وعندما ذهب على عليه السّلام ليقتله، وجدّه قد انصرف.

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله:

«لو قُتِلَ ما اختلف من اُمّتي رجلا».

ثم قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في ذلك الشخص:

«إنّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرّميّه ثم لا يعودون فيه».(1)

ويظهر من هذه الروايه مدى إخلاص وطاعه أبى بكر وعمر لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله، وعمق إعتقادهما بنبوّته وحقّانيته، و مقدار إنقيادهما لأوامره الحكيمه التى يجب إمتثالها بدون تباطؤ أو نقاش.

٣ - الغلاه، وهؤلاء هم الذين يزعمون الحبّ لأهل البيت عليهم الصّلاه والسّلام، فقالوا بألوهيه النّبى الأكرم صَلَّى الله عليه وآله ونبوه بعض أهل البيت وألوهيه البعض الآخر، فحكّم الأئمّه عليهم السّلام بكفرهم و حدّروا أتباعهم منهم.

٤ - النواصب، وهم الذين يعلنون العداه الصريح لأهل البيت عليهم السّلام.

٥ - المقصّرون، وهم الذين يغمطون حقّ أهل البيت عليهم السّلام ويقصّرون فى ذلك، فلا يعترفون بمقاماتهم، بل ينزلونهم عن مراتبهم وقد يُساوونهم بسائر الناس.

ولابدّ من التذكير بأننا - وفى مقدّمات الكتاب - تحدّثنا عن «الغلو» و«التقصير»، وبيننا المراد منهما على ضوء الروايات الوارده عن

ص: ٢٩٢

١- (١) مسند أحمد بن حنبل ٣ / ١٥؛ مسند، أبى يعلى ١ / ٩١ و ٧ / ١٦٩؛ الإصابه ٢ / ٣٤١؛ مجمع الزوائد ٦ / ٢٢٧ / ٦٠٠ وغيرها.

أهل البيت عليهم السّلام، ونقلنا في نهايه المطاف هناك كلاماً للعلّامة المجلسي رحمه الله في هذا المجال. (١)

وخلاصه الكلام: إنّ علينا أن نعرف الأئمة عليهم السّلام حتّى نتابعهم عن بصيره و نلازمهم عن وعى كامل، فنصل عن طريقهم إلى معرفه الله وطاعته ونكون من الفائزين.

### الأئمة هم الطريق لمعرفةهم

ثمّ إنّ الطريق الصحيح لمعرفة أى شخص من الناس هو ذلك الشخص، فإنه إن كان صادقاً ويقول الواقع، فما المبرر لمعرفة من خلال غيره؟ فقد تكون آراء الآخرين فيه نابعه من حبّ مفرط أو بغضٍ أو حسد، أو قد تكون مستنده إلى ظنون و حدس، أو مسموعات وما شابه.

وأما إذا ما قام الشخص بتعريف نفسه، وكان صادقاً، فإن ذلك سيكون مدركاً و حجّه.

أمّا في خصوص النّبي الأكرم والأئمة الأطهار عليهم السّلام، فليس هناك من بإمكانه أن يعرفهم، لأن عقول العقلاء قاصره عن درك منازلهم وفهم مقاماتهم، إلّا أن نرجع إلى الآيات الواردة بشأنهم في كلام الله المجيد، والروايات الواردة بالطرق المعتمده عنهم في وصف حالاتهم، وهم الصادقون حقّاً في أقوالهم وأفعالهم وسيرتهم الحسنه، وهذا مما أجمعت الأئمة عليه.

وبناءً على هذه المقدمات الثلاث، فإن كانت الروايه حاكيه عن شأن من

ص: ٢٩٣

١- (١) راجع المجلد الأول من هذا الكتاب: ٧١ - ٨٢.

شئون الإمام عليه السّلام، وكان هذا الشأن غير مخالف للموازن الشرعيّ والعقليّ، فإننا سنكون ملزمين بالاعتقاد بالإمام طبقاً لتلك الروايه، فإذا ناقش أحدٌ في تلك المقدمات ولم يكن معانداً، كان علينا مجادلته بالتي هي أحسن وإفهامه بها وإزاله الشكوك عنه.

ولا نتصور وجود شيعي، أو غير شيعي منصف، يخالف هذه المقدمات أو إحداها ويرفضها.

وبناءً على ما مرّ، فإنه لا يمكننا تعيين مقامات ومنازل الأئمة عليهم السّلام من خلال عقولنا القاصره، ولا تعيين حدودٍ لمقاماتهم، إذا ما تجاوزناها اتهمنا بالغلو!!

فإذا ما عرفنا الأئمة كما في الكتاب والسّنه، وكلّما تقدّمنا في معرفتهم ازداد إيماننا بهم، فلا نرغب عنهم فحسب، بل نزداد ملازمه لهم، ونعوذ بالله من التقصير في حقّهم، فإنّ المقصّر في حقّهم كان زهوقاً.

### ولماذا يكون المقصّر في حقّهم زهوقاً؟

إنّ كلمه «زهق» تعنى هلكك، تَلَف، بَطَل. (١)

وسرّ القضيّه إنّما هو في أصل وجوب نصب الإمام.

فبناءً على مباني العدلّيه، يكون نصب الإمام واجباً على الله تعالى لأنه مقتضى عدله، وإن معرفه الإمام واجبه عقلاً ونقلاً.

ص: ٢٩٤

---

١- (١) كتاب العين ٣ / ٣٦٣؛ صحاح اللغه ٤ / ١٤٩٣؛ لسان العرب ١٠ / ١٤٧؛ القاموس المحيط ٣ / ٢٤٣؛ مجمع البحرين ٢ / ٢٩٨؛ تاج العروس ١٣ / ٢٠٤.

ففى الحديث القطعى الصدور عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه».(١)

وعليه، فمن الطبيعى أن تكون ميتة المقصّر فى معرفه الإمام ومتابعته المستنده إلى تلك المعرفة، ميتة جاهليه، وميتة الجاهليه مساوقه للتلف والزهاق والهلكه.

فإذا ما إتضحت حكمه نصب الإمام وتعيينه فى الأمة، وإذا ما عرفنا فائده معرفه الإمام، سنعلم قطعاً أن عدم معرفته تؤدى إلى نتائج وخيمه وعواقب سيئه.

وفى روايه أخرى عن النبى الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، قال:

«إنما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينه نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».(٢)

فالركوب فى سفينه أهل البيت عليهم السّلام - يعنى أن الكون معهم وملازمتهم - مساوٍ للنجاه، وأن مفارقتهم وعدم ملازمتهم مساوٍ للهلكه.

وإذا انحصر النجاه والفلاح والصّلاح بطريق أهل البيت عليهم السّلام، كان كلُّ طريقٍ آخر غير طريقهم ضلالاً وباطلاً ومؤدياً إلى الهلكه.

ص: ٢٩٥

---

١- (١) جاء هذا الحديث بألفاظ متفاوتة فى منابع متعدده. منها: المحاسن ١ / ١٥٤، الحديث ٧٩؛ الإمامه والتبصره: ٢؛ كفايه الأثر: ٢٩٦؛ وسائل الشيعه ١٦ / ٢٤٦، الحديث ٢٣؛ المناقب، ابن شهر آشوب ١ / ٢١٢ و ٣ / ١٨؛ الكافى ١ / ٣٧٧، الحديث ٣؛ الخصال: ٤٧٩؛ عيون أخبار الرضا عليه السّلام ٢ / ٥٩، الحديث ٢٠؛ كمال الدين ٤٠٩؛ بحار الأنوار ٣٢ / ٣٢١، الحديث ٢٩٢؛ العمده: ٤٧١، الحديث ٩٩١؛ مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٩٦؛ مجمع الزوائد ٥ / ٢٢٤؛ مسند، أبى داود: ٢٥٩؛ المعيار والموازنه: ٢٤؛ المصنّف ٨ / ٥٩٨، الحديث ٤٢؛ مسند، أبى يعلى ١٣ / ٣٦٦، الحديث ٧٣٧٥؛ صحيح، ابن حبان ١٠ / ٤٣٤؛ المعجم الكبير ١٩ / ٣٨٨، المعجم الأوسط ٦ / ٧٠؛ كنز العمال ١ / ١٠٣، الحديث ٤٦٤.

٢- (٢) للتحقيق، راجع: المجلد الرابع من كتاب نفحات الأزهار - للمؤلف -

ولذا، فَإِنَّ الْعَلَّامَةَ الْحَلِّيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، يَنْقُلُ أَنَّ الْمُحَقِّقَ الْعَظِيمَ الْخَوَاجَةَ نَصِيرَ الدِّينِ الطُّوسِيَّ لَمَّا سُئِلَ عَنْ سَبَبِ حَصْرِ طَرِيقِ نَجَاهِ الْأُمَّةِ بِطَرِيقِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الطَّرِيقِ؟

قال في الجواب: إذا جمعنا حديثين إلى بعضهما البعض، فإن النتيجة ستكون الحصر في طريق أهل البيت عليهم السّلام. فمن جهه، ورد عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إنه قال «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقه، فرقه ناجيه والباقون في النار» (1).

ومن جهه أخرى، روى عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أنه قال:

«إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينه نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».

حقاً، أى واحد من هذين الحديثين، فيه إشكال سندی أو دلالي؟

ففى هذه الحاله، تكون النتيجة واضحة وطبيعيه.

يقول تعالى في كتابه المجيد:

«إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» ٢.

ص: ٢٩٦

---

١- (١) ونجد موارد قريبه لهذا المضمون في المصادر التاليه: كفايه الأثر: ١٥٥؛ المناقب، ابن شهر آشوب ٢ / ٢٧؛ الطرائف: ٤٣٠؛ الصراط المستقيم ٢ / ٩٦؛ وسائل الشيعه ٢٧ / ٥٠، الحديث ٣٠؛ بحار الأنوار ٣٠ / ٣٣٧ و ٣٦ / ٣٣٦، الحديث ١٩٨؛ عمده القارى ١٨ / ٢٢٤؛ سنن، أبى داوود ٢ / ٣٩؛ تحفه الأحوذى ٧ / ٣٣٣؛ كنز العمال ١١ / ١١٤؛ تفسير القرطبي ١٤ / ١٦٠؛ تفسير الثعالبي ٢ / ٩٠. وغير هذه المصادر من كتب الفريقين المعتمده فى مختلف العلوم.

ومن هنا، فإنه عليه السّلام يقول بعد تلك الفقرة:

«وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ»

فإذا ما كان من سوى أهل البيت باطلاً، وكان الباطل زهوقاً، كان أهل البيت هم الحقُّ، لا الآخرون، لأنَّ الحقَّ واحدٌ لا أكثر.

### ما هو الحقُّ؟

والحقُّ فى اللغة: الثبوت، الاستحكام، الصّحّة والمطابقه.

يقول الراغب الإصفهاني فى معنى الحقِّ :

«أصل الحقّ المطابقه والموافقه».(١)

وجاء فى المصادر اللغويه الاخرى:

«وهو يدلّ على إحكام الشئ وصحّته، فالحق نقيض الباطل».(٢)

وفى علم الفقه، فى كتاب البيع، يبحث عن «الحق» وحقيقته والفرق بينه وبين «الحكم» والآراء فى ذلك مختلفه.

ومن جهه أخرى، فإنَّ أحد أسماء الله تعالى هو «الحقُّ».

وعليه، فكلُّ شئٍ ثابت ولا شك فيه أبداً، يعبّر عنه ب «الحقِّ»، ونشهد له بأنّه حقٌّ . وكمثال على ذلك نقول:

«إِنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَالْبَعْثَ حَقٌّ وَالْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ»

فنحن نشهد على هذه الامور الثابته، ولا يجوز التشكيك فيها فضلاً عن إنكارها.

ص: ٢٩٧

١- (١) المفردات فى غريب القرآن: ١٢٥؛ تاج العروس ٦ / ٣١٥.

٢- (٢) معجم مقاييس اللغة ٢ / ١٦؛ العين ٣ / ٦.



ومن جهه أخرى، فإنَّ «الحقَّ» نقيض «الباطل» كما تقدّم. فالشئ الزائل يقال له باطل.

فالباطل زائل والحقّ ثابت وباقٍ ولا يزول أبداً ولا يتغيّر ويبقى محفوظاً.

## الحقّ في القرآن

وإليك آيات من القرآن الكريم، نتعرف أكثر على الحقّ وأحكامه.

لا ريب في إنّ أعزّ الخلق على الله تعالى وأحبّهم إليه من الأولين والآخرين هو رسول الله محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومع ذلك يقول تعالى في كتابه، مخاطباً إياه

«أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ» ١

أيّها النبي، إنك مع كلّ قربك وعزيز شأنك عندنا، لا تقدر على أن تفعل شيئاً بعد الحقّ، فإذا ما حقّت كلمه العذاب على شخص وصدر الحكم عليه بذلك، فليس لأحدٍ أن يُغيّر ذلك زياده أو نقصاناً، حتّى لو كان أشرف المخلوقات.

فعلى الإنسان أن يتعامل مع ربّه بنحو لا يقطع علقه الاتصال والإرتباط به فتصدق كلمه العذاب عليه ويكون مصداقاً لها، فإنه لا يُغيّر مصيره حينئذٍ شئٌ أبداً، حتّى وساطه الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله.

وهذا من خصوصيات الحقّ، فهو ثابت لا يزيد ولا ينقص. لماذا؟

لأنه لو اضيف إليه الشئ أو نقص منه شئٌ، فإن ذلك سيخرجه من كونه حقّاً، فإذا خرج من الحق، دخل في الباطل، والقرآن الكريم يقول:

ص: ٢٩٨

«وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» ١

ولابد من قبول الحق والتسليم به و التمكين له، وهذا من جملة أحكام الحق في القرآن الكريم، فإن قبول الحق واجب في كل حال، سواء كان مطابقاً لميول الإنسان أو لم يكن. فلا يجوز رفض الحق من أجل الأهواء والرغبات أو أى حيث من الحيثيات. يقول تعالى في كتابه المجيد:

«وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ» ٢

فالأفكار، والآراء، وأنظار الإنسان في مقابل الحق مهما كانت و ممن كانت، ليس لها وزن ولا قيمة.

فلو اجتمع كل الناس واتفقوا على مخالفته الحق، لم يكن لإجماعهم أي قيمة، بل عليهم إتباع الحق.

فالحق ثابت ولا يتغير أبداً ولا يميل مع الأهواء والميول، بل كل الحيثيات تنصهر في الحق، وتميل إليه. قال تعالى :

«وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ» ٣

فيظهر من ذلك، أن من يقف بوجه الحق ، فهو داعيه الفساد في الأرض، وأى موضوع تبين أنه الحق، فلا نقاش ولا مماراه فيه، ولا معنى لتغييره. يقول تعالى :

«يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ» ٤

فلا مناص من إطاعة الحق واتباعه، بلا تغيير ولا تبعض ولا زياده ولا تعدد.

إذن، فأولئك الذين يقولون: إِنَّ الْحَقَّ يَتَعَدَّدُ، وَإِنَّ الْكُلَّ يَصِلُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَقْوَالِ أَوْ الْأَحْزَابِ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْحَقِّ، كُلُّ ذَلِكَ بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ وَمُخَالَفٌ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. يقول تعالى :

«فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ» ١

ومن جملة خصوصيات الحق أيضاً، إنه معرّفٌ لنفسه، ولا- يحتاج إلى ما يعرفه، بل الآخرون يحتاجون إلى تعريفهم بالحق، لا العكس، فالحق هو الميزان لمعرفة الآخرين، لا أن يكون الآخرون ميزاناً لمعرفة الحق، فإن من يريد أن يعرف الحق لا يخرج عن أحد حالين: إما أن يكون عالماً وإما أن يكون ظاناً.

فإن كان كلامه وتعريفه عن علم، فإن ذلك يعنى إنه أخذ كلامه من الحق.

وإن كان ما يقوله ظناً منه، فلا قيمة لكلامه حينئذٍ. يقول تعالى :

«إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً» ٢

ومن هنا، فإن ذلك الشخص الذى جاء إلى أمير المؤمنين على عليه السلام يوم حرب الجمل وقال له: يا أمير المؤمنين، لقد شككت في الأمر، فطلحه والزبير وعائشه في جانب، وأنت وأصحابك في المقابل، فأين الحق؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ» (١)

وفى روايه أخرى، قال عليه السلام له:

ص: ٣٠٠

---

١- (٣) أنساب الأشراف: ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٧٤؛ فيض القدير ١ / ٢٧٢ و ٢٣ / ٤، رقم ٤٤٠٩؛ تفسير الكشاف ٤ / ٥؛ تاريخ يعقوبى ٢ / ٢١٠.

«إعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال».(١)

فلا يجوز أبداً أن نقول: لأن فلاناً وفلاناً...و... فعلوا كذا أو يفعلون كذا، فهذا هو الحق إذن !!

بل لا بد من معرفه فلان وفلان من خلال الحق .

فالحق لا يدور مدار الأشخاص، بل إن الأشخاص لا بد أن يدوروا مدار الحق .

فلا يجوز لنا أن نحترم الأشخاص بمجرد شخصياتهم، وإنما المناط هو إتباعهم الحق .

ومن خصوصيات الحق أيضاً، هو إنه لا يستوحش ولا يضعف مع قله أهله والعاملين به، فلو أن كل الناس أعرضوا عن الحق لم يتأثر بذلك ولا يتغير بل يبقى ثابتاً راسخاً. وبطبيعته الحال، فإن الحق يهضم إذا ما هجره الناس ومالوا عنه، ولكن ذلك لا يؤثر بمقدار ذره في حقايقته وواقعته.

يقول تعالى :

«وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ»٢

ولذا، علينا نحن أن نتحرك ونتجه إلى الحق ونطلبه، وأن نجدّه ونتبّعهُ، فإنه موجود دائماً ومستقر في محله.

وينبغي أن لا نتوقع ونتنظر أن يأتي الحق ويطرق أبوابنا، بل علينا نحن أن نبحث عنه ونطرق بابه.

ص:٣٠١

وهذا يفسد لنا ما جرى في قضيه السقيه والأحداث اللاحقه لذلك، فهل كان أمير المؤمنين عليه السلام مكلفاً بدعوه الناس إلى نفسه وحمل السيف والقتال؟ يقول الإمام عليه السلام:

«يا جابر، مثلُ الإمامِ مثلُ الكعبه إذ يُوتى ولا يأتي»<sup>(١)</sup>

وفي روايه أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«يا على أنت بمنزله الكعبه توتى ولا تأتي»<sup>(٢)</sup>

وهذا هو القرآن الكريم:

«قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ»<sup>٣</sup>

ويخاطب تعالى رسوله الكريم بقوله:

«وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»<sup>٤</sup>

أى: يا أيها الرسول إذا لم يأت إليك الناس ولم يتبعوك، فقد أدت الذي عليك من الصدع بالدعوه والله أحكم الحاكمين.

والعجيب هو إنه - وعلى مَرَّ التاريخ ودائماً - يكون النزاع قائماً بين الحق والباطل. يقول تعالى في كتابه:

«كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ»<sup>٥</sup>

ص: ٣٠٢

١- (١) كفايه الأثر: ٢٤٨؛ بحار الأنوار ٣٦ / ٣٥٨، الحديث ٢٢٦.

٢- (٢) المسترشد: ٦٧٥؛ المناقب، ابن شهر آشوب ٣ / ٣٨؛ الصراط المستقيم ٣ / ١١١؛ بحار الأنوار ٣٩ / ٤٨؛ أسد الغابه ٤ / ٣١؛ ينابيع الموده ٢ / ٨٥، الحديث ١٥٨.

والأعجب، هو أنّ أكثر الناس يُعرضون عن الحق ويميلون إلى الباطل.

يقول عزّ من قائل:

«بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ» ١

ويقول أيضاً في آية أخرى:

«بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ» ٢

ومع كلّ ذلك أيجوز للإنسان العاقل أن لا يرغب في الحقّ؟

ولماذا يكون الحقُّ مُراً كما في الخبر؟

فهل إنّ نفس الحقِّ مرٌّ في ذائقة الإنسان، أم إنّ نفس الإنسان تراه مُراً؟

هذا بيان القرآن الكريم حيث يقول:

«بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ»

وبملاحظة آيات القرآن المجيد، يُعلم أنّ الإمام والإمامه أيضاً كذلك، فلا بدّ أن نفهم الإمامه و نعرف الإمام، و أن نعلم أنّ إعراضنا لا يضرُّ الإمام كما أنّ معرفته و الإتياع له لا ينفعه، ولن ينقاد الحقُّ أبداً لأهوائنا ولأفكارنا وميولنا.

والعجيب هو إنّ سيره أمير المؤمنين - كما تدلّ على ذلك الروايات والتاريخ والسيره - لم تتغيّر أبداً، سواءً في وقت إعراض الناس عنه أو وقت التفافهم حوله وإلحاحهم على مبايعته وتصديّيه للحكم، فعلى الحاكم هو نفسه على المجلس في الدار، لأنّه الحق، وشأن الحقّ عدم التّغيير، والحق مع أهل البيت عليهم السّلام، لم يفارقهم ولم يفارقه أبداً.

كما ورد في الحديث الشريف القطعي الصدور أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال:

«علي مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ» (١).

وقد روى هذا الحديث أكثر من عشرين صحابي، عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم، وكان لأُم سلمة رحمها الله دور كبير في هذا الشأن. (٢).

جاء في التاريخ:

أن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص - وكان قد تخلف عن الخروج مع علي عليه السلام في حروبه - أنت يا سعد الذي لم تعرف حقنا من باطل غيرنا فتكون معنا أو علينا.

فقال له - فيما جرى بينهما - : أما إذا أبيت، فإنني سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: أنت مع الحق والحق معك.

فكذّبه معاوية في ذلك وتوعّده، إن لم يأت بمن سمع ذلك معه؛

فاستشهد سعد بأُم سلمة رضوان الله عليها.

فقالت: نعم، في بيتي قال ذلك رسول الله صَلَّى الله عليه وآله. (٣).

ص: ٣٠٤

١- (١) راجع: المجلد الأول من هذا الكتاب، الصفحة ٤١١.

٢- (٢) وإني أشعر بوجود تعلق قلبي شديد عندى بهذه السيدة الجليلة، حتّى إنني نبت عنها وعن عمار بحجّه كامله قربه إلى الله تعالى .

٣- (٣) كشف الغمّه ١ / ١٤٦؛ كتاب الأربعين: ٩٨؛ بحار الأنوار ٣٨ / ٣٦؛ مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن مردويه: ١١٨، الحديث ١٤٤؛ المناقب، الخوارزمي: ١٧٧، الحديث ٢١٤؛ المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٢٤؛ مجمع الزوائد ٩ / ١٣٤؛ المعجم الأوسط ٥ / ١٣٥؛ المعجم الصغير ١ / ٢٥٥؛ كنز العمال ١١ / ٦٠٣.

وقد روى أهل السنّة هذا الحديث الشريف فى كتبهم بأسانيد صحيحة.

يقول الحاكم النيشابورى فى «المستدرک على الصحيحين» بعد عدّه أسانيد لهذا الحديث:

«هذه الأحاديث كلّها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه». (١)

وقد جاءت فى هذا الحديث جمل ظريفه، منها: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد دعا بهذا الدعاء:

«اللهم أدِر الحقّ معه حيث دار». (٢)

فأينما كان أمير المؤمنين عليه السّلام، ومهما قال أو فعل، وكلّ حركة وسكنه منه، فهو الحقّ وعلى الحقّ.

وفى روايه أمّ سلمه، جملة أخرى، وهى أنه صلّى الله عليه وآله قال:

«لن يفترقا حتّى يردا على الحوض».

وينظرى إنّ هذه العبارة ظريفه جداً، وفيها سرٌّ.

ثم تقول أمّ سلمه، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«مَنْ اتَّبَعَهُ اتَّبَعَ الْحَقَّ وَمَنْ تَرَكَهُ تَرَكَ الْحَقَّ، عَهْدًا مَعَهُودًا قَبْلَ يَوْمِهِ هَذَا».

ولقد كان الأئمّة كذلك، ومنذ اليوم الأوّل لوجودهم عليهم السّلام.

إذن، فالحقّ مع أهل البيت عليهم السّلام.

ص: ٣٠٥

---

١- (١) المستدرک على الصحيحين ٣ / ١١٩.

٢- (٢) العمدة: ٣٠٠؛ كتاب الأربعين: ٩٢؛ بحار الأنوار ٢٩ / ٣٤٣ و ٣٨ / ٣٥ و ٤٠ / ٧٥؛ الصراط المستقيم ١ / ٢٩٨؛ المستدرک

على الصحيحين ٣ / ١٢٤ - ١٢٥؛ شواهد التنزيل ١ / ٢٤٦؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد ١٠ / ٢٧٠. سورة الشورى (٤٢):

الآية ٢٣.



فإن كانت كلمه «الحق» فى هذه الفقره هى بمعنى نقيض «الباطل»، إذن فكلّ حقّ هو مع أهل البيت عليهم السّلام، فغيرهم باطل وهم الحقّ .

وإن كان المراد من «الحق»، مصاديق الحقّ : الله، القرآن والدين، فإن الله والقرآن ودين الإسلام مع أهل البيت عليهم الصّلاه والسلام لا مع غيرهم.

ولا يخفى، إنّ كلمه «فى» فى «فيكم» فى هذه الفقره، هى مثل كلمه «فى» الوارده فى آيه المودّه:

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» ١

أى إنّ الحقّ مستقرُّ هنا، وهذا محلّه، ومستودع فيه؛ فإذا ما انكشفت القضايا واتّضحت الأمور، وتميّز الحق عن الباطل، فسيكون الحقُّ هنا.

تقول أم سلمه: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«ومن تركه ترك الحقّ، عهداً معهوداً قبل يومه هذا».

وعليه، فالبحث ليس فقط فى حرب على عليه السّلام ومعاويه، أو غضب أبى بكر للخلافه ويوم السقيفه، بل إنّ ذلك مقرّر من قبل يومه.

ومن ثمّ جاء فى كتب الشيعة والسنة معاً، أنّ النبى الأكرم محمداً صلّى الله عليه وآله قال له:

«والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمى ودمى».(١)

ص: ٣٠٦

---

١- (٢) الأمالى، الشيخ الصدوق: ١٥٧، الحديث ١٥٠؛ الغارات ١ / ٦٢؛ مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام ١ / ٢٥١ و ٢٦٦؛  
بشاره المصطفى: ٢٤٦، الحديث ٣٥؛ كشف الغمّه ١ / ٢٩١؛ المسترشد: ٦٢٠، الحديث ٢٨٨؛ المحتضر: ٩٦، الحديث ١٩٩؛ بحار  
الأنوار ٣٨ / ٢٤٨ و ٦٥ / ١٣٧، الحديث ٧٥؛ المناقب، الخوارزمى: ١٢٩؛ ينابيع المودّه ١ / ٢٠٠ و ٢٠١.

أجل، فلقد كان الأمر كذلك من أصل الخلقه، فهل إنَّ هذا الفهم وهذا المعتقد ينتهى إلى القول بالجبر؟!

هذا كله بحسب ظاهر العبارة و الأخذ بـ«أصالة الحقيقة».

وأما إذا أخذنا بالمجاز، فسيكون المعنى «والحقُّ فى إتِّباعِكُمْ» أو «والحقُّ فى الاقتداءِ بِكُمْ»، و هذا التفسير واضح ولا شبهه فيه.

ثم يقول عليه السَّلام:

**وَمِنْكُمْ وَإِيَّكُمْ**

**إشاره**

نعم، الحق بدأ من أهل البيت و إليهم يعود و ينتهى، وهم رسول الله و آله الأطهار - كما بينا ذلك فى آيه التطهير - وهذا ممَّا ريب فيه عند المحقِّق المنصف.

وإذا راجعنا كلمات وخطب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَآمُرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ المرويَّه فى نهج البلاغه، وتأمَّلنا فى مفاهيمها فى التوحيد، النبوه، المعاد، وسائر المعارف الدينيه، سندعن بأنَّ أهل البيت هم السابقون فى بيان هذه الحقائق و أنَّهم هم الأصل لها فى الإسلام، و أن سائر الناس - من الصَّحابه فمن بعدهم - منهم تعلَّموا و عنهم أخذوا.

وقد نقل لنا التاريخ أنَّ الحجاج بن يوسف كتب يوماً كتاباً إلى أربعه من كبار علماء زمانه - أحدهم الحسن البصرى - يسألهم عن رأيهم فى مسأله الجبر والإختيار؛ أحدهم فى البصره، والثانى فى الكوفه، والثالث فى بلد ثالث والرابع فى مكان آخر، فجاء جواب كلِّ واحدٍ من الأربعه عن هذه المسئله بكلام لأمير المؤمنين على بن أبى طالب فيها؛ فقال الحجاج:

ص: ٣٠٧

لقد أخذوها من عينٍ صافية!!(١)

إذن، إن كان المراد من «الحق»، هو الله تعالى، الإيمان، القرآن، والمعتقدات الصحيحة الحقة والعلوم الدّيبية من التفسير والأحكام والحديث والأخلاق وغيرها، فكلُّ هذه مأخوذة عن أمير المؤمنين والأئمّة الأطهار عليهم السلام، فهم الذين عرّفوا الحقَّ ودَعَونا إلى الحقائق وعَلّمونا بها ونشروها بين المسلمين.

لقد ذكر ابنُ أبي الحديد في مقدمه شرح نهج البلاغه إجمالاً إنّ كلّ العلوم الإسلاميّه مأخوذة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.(٢)

ولكنّي اثبُتُ بالتفصيل بأنّ العلوم الإسلاميّه في صدر الإسلام قد إنتشرت على يد أمير المؤمنين عليه السلام في البلاد الإسلاميّه، وتحقيقي هذا مستند إلى كتب أهل السنّه، ردّاً على ابن تيميّه.(٣)

### نظرة إلى علم أمير المؤمنين عليه السلام

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في الحديث الشريف:

«أنا مدينة العلم وعلى بابها».(٤)

وفي حديث آخر عنه صلّى الله عليه وآله، قال:

ص: ٣٠٨

١- (١) الهدايه: ١٩ و ٢٠؛ الطرائف: ٣٢٩؛ بحار الأنوار ٥ / ٥٨، الحديث ١٠٨.

٢- (٢) راجع: شرح نهج البلاغه: ابن أبي الحديد ١ / ١٧ - ٢٠.

٣- (٣) راجع: نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار ١٢ / ٤٨ - ٤٢.

٤- (٤) بحثنا عن هذين الحديثين من حيث السند والدلاله بالتفصيل في ثلاثه أجزاء من كتابنا الكبير: نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار ومن شاء التحقيق فليرجع إليه.

«أنا مدينة الحكمه وعلى بابها».(١)

وفى حديث ثالث يخاطب به أمير المؤمنين عليه السلام:

«أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدى».(٢)

كما إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول:

«سلوني قبل أن تفقدوني».(٣)

وهذه الأحاديث كلها منقوله فى كتب الفريقين بأسانيد مختلفه.

### وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ

إن أهل البيت عليهم السلام هم أهل الحق ومعدينه، والحق عندهم ومعهم أين ما كانوا، وأينما كان الحق فهو عندهم.

وقد عبّر عنهم عليهم السلام فى هذه الزياره، تاره بالمعدن، وتاره بالخزان، وثالثه بالعيبه.

ص: ٣٠٩

١- (١) بحثنا عن هذين الحديثين من حيث السند والدلاله بالتفصيل فى ثلاثه أجزاء من كتابنا الكبير: نفحات الأزهار فى خلاصه عبقات الأنوار ومن شاء التحقيق فليرجع إليه.

٢- (٢) المسترشد: ٦٠٢؛ مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ١ / ٤٤١، الحديث ٣٤٢؛ الإرشاد ١ / ٤٦؛ اليقين: ١٩٦؛ بحار الأنوار ٣٧ / ٣٠٠، الحديث ٢١؛ كتاب المجروحين ١ / ٣٨٠؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٣٨٧؛ المناقب، الخوارزمي: ٣٢٩، الحديث ٣٤٦؛ ينابيع المودّه ٢ / ٨٦، الحديث ١٥٩؛ ميزان الاعتدال ٢ / ٣٢٨، رقم ٣٩٥١؛ الدرّ النظيم: ٢٨٩؛ كشف الغمّه ١ / ١١٢. وراجع: المجلد الأول من هذا الكتاب: الصفحه ١٢٨.

٣- (٣) بصائر الدرجات: ٢٨٦، الحديث ١؛ نهج البلاغه: كلام ١٨٩؛ كامل الزيارات: ١٥٥، الحديث ١٦؛ الأمالى، الشيخ الصدوق: ١٩٦، الحديث ٢٠٧؛ التوحيد، الشيخ الصدوق: ٣٠٥؛ الإرشاد ١ / ٣٥؛ روضه الواعظين: ٣٢؛ العمده: ٢٦٤؛ بحار الأنوار ٣٩ / ١٠٨، الحديث ١٣؛ المستدرک على الصحيحين ٢ / ٣٥٢؛ شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد ٧ / ٤٦، المعيار والموازنه: ٨٢؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٣٩٧؛ كتر العمال ١٣ / ١٦٥.

وعليه، فالأئمة عليهم السلام هم ذلك العلم وتلك المعرفة التي لا يشوبها جهل، وهم النور الذي ليس للظلمه إليه من سبيل، وهم الكمال الذي لا يعتريه نقص، والعدل الذي لا ظلم معه، والهداية التي ليس بعدها ضلال.

والحاصل، إنَّ أهل البيت عليهم السلام هم الحق المحض.

ونظرة واحدة في سيره أمير المؤمنين عليه السلام في سائر المراحل و الأدوار كافيته لإثبات هذا المدعى، وإنَّها لخير مدرسه للأئمة، ولوطبققتها في مختلف مجالات الحياه لما كان حالها على ما هو عليه الآن.

ففى الوقت الذى يعلن عليه السّلام عن حقّه فى الخلافه بعد النبى و غضب القوم و كما يقول ابن عباس قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام يوماً، فتحدّثنا عن أمر الخلافه، فقال عليه السلام:

«أما والله، لقد تَمَمَّصها ابن أبى قحافه أخوتيم وأنه ليعلم أنّ محلى منها محلّ القطب من الرحي... فما راعنى إلّا انثيال الناس إلى كعرف الضبع، قد انثالوا على من كلّ جانب حتّى لقد وطىء الحسان وشق عطفای...»(١) لم يوافق على طلب الناس المبايعين له إمهال معاويه وعدم عزله عن الشام و إن لم يبايع له، حتى تستقرّ الأمور ويستتب له الحكم والسلطان والرئاسه والخلافه والإمامه، فى بلاد الحجاز!!

فقال عليه السلام:

«أتأمرونى أن أطلب النصر بالجور؟ لا والله، ولا أفعل ما طلعت شمس ولاح فى السماء نجم...»(٢).

ص: ٣١٠

- 
- ١- (١) علل الشرائع ١ / ١٥٠ و ١٥١؛ معانى الأخبار: ٣٦١؛ بحار الأنوار ٢٩ / ٤٩٧ - ٤٩٩، الحديث ١.
  - ٢- (٢) الأمالى، الشيخ المفيد: ١٧٦، الحديث ٦؛ الغارات ١ / ٧٥؛ بحار الأنوار ٤١ / ١٠٨ - ١٠٩، الحديث ١٥؛ وسائل الشيعه ١٥ / ١٠٧، الحديث ٣٠؛ جاء هذا الحديث اللطيف مع تفاوت قليل فى شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد ٢ / ٢٠٣؛ الإمامه والسياسه ١ / ١٣٢.

نعم، إنَّ ولايه معاويه على الشَّام كانت جوراً على الإسلام والمسلمين منذ اليوم الأول، أمَّا الآن، فليس له أن يبقى على الشَّام ولا لحظَةً واحده في حكمه على عليه السَّلام، وإنَّ أدَى ذلك إلى ضعفها وتفرَّق الناس عنها وخروج الأمر من يده. ولكنَّ بعض الجهال ينتقدون أمير المؤمنين عليه السَّلام ويقولون إنَّ علياً عليه السَّلام كان لا يعرف السياسة !!

## وَمِيرَاثُ النَّبِيِّ عِنْدَكُمْ

### إشاره

إنَّ القضايا المذكوره هي من مواريث وخصائص النبوه، ولذا قال:

«وميراث النبوه» ولم يقل «وميراث الأنبياء».

فصحيح أنَّ ميراث الأنبياء عندهم، ولكن «ميراث النبوه» شئ آخر وهو يستبطن سرّاً مهتماً، فالحق المحض والعدل الخالص والنور التام والهدايه الكامله والعلم المطابق للواقع هي ميراث النبوه، وأهل البيت عليهم السَّلام يمتلكون خصائص النبوه، وعندهم كلُّ ما يلزم للنبوه من الكمالات والمنازل في أعلى مراتبها ولكنهم ليسوا بأنبياء.

وإن كان المراد من «ميراث النبوه»، هو «مواريث» الأنبياء، فإنَّ مواريث الأنبياء أيضاً موجوده عند أهل البيت عليهم السَّلام، وهذا التعبير صحيح وتام أيضاً. وذلك، لأنَّ كلَّ واحدٍ من الأنبياء له ميراث أو مواريث، فمثلاً: قد ورث موسى عليه السَّلام العصا، وورث سليمان الخاتم، وهكذا غيرهما، ونحن نتحدّث عن الحيثيه الماديّه لتلك المواريث. وإلّا، فإنَّ رموزها لها معاني وجهات أخرى،

فسواء كان المراد من «خاتم سليمان» عليه السَّلام هو نفس الخاتم، فهو

موجود عند الأئمة عليهم السلام، أو كان رمزاً وإشارة لمعانٍ خاصه ومتميزه، فتلك الحقائق موجودة عندهم كذلك.

هذا، وقد ذكرنا بعض هذه المطالب في شرح عبارته «وورثه الأنبياء».

### أهل البيت وحساب الناس يوم القيامة

وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ.

يقول الراغب الإصفهاني في معنى كلمة «إياب»:

«الأوب: ضربٌ من الرجوع، وذلك أنّ الأوب لا يقال إلّا في الحيوان الذي له إرادته، والرجوع يقال فيه وفي غيره»<sup>(١)</sup>.

وعليه، فإنّ «الإياب» أخصّ من الرجوع وهو الصحيح، لأنّه لا يحاسب في الآخرة إلّا الحيوان الذي له إرادته وهو الإنسان. وهذه الجملة اشارته إلى الآية المباركة: قال الله عزّ وجل في القرآن المجيد عن يوم القيامة:

«إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» ٢

فظاهر الآية أنّ إياب كلّ الخلاق إلى الله، وإنّ حساب كلّ المكلفين الذين يحاسبون على الله، فهو الذي يحاسبهم في يوم القيامة.

### شبهه حول فقره

#### إشارته

فسئل بعض من يدعى العلم - على أساس هذا الظاهر - عن رأيه في الزياره الجامعه.

ص: ٣١٢

١- (١) المفردات في غريب القرآن: ٣٠.

قال: ليست صحيحه.

لماذا؟

قال: لأنّ فيها عبارته تخالف النص القرآني القائل:

«إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ»

لكنّ الذي جاء في هذه الزيارة:

«وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم».

ومن جهة أخرى، فإنّ هذا غلوّ في الأئمة عليهم السلام، والغلوّ باطل، إذن فالزيارة الجامعه غير صحيحه (!!)

أقول:

لا- شك في أنّ كلّ ما عارض القرآن الكريم وباين مفاده مفاد آية من آياته، فهو زخرف، ولكن، هل بين هذه الفقره والآيه المذكوره مباينه ومنافاه؟

وهل أنّ مضمونها غلوّ في الأئمة؟!؟

### الجواب عن الشبهه

وسنجيب عن هذه الشبهه ضمن مطالب، وستكون في نفس الوقت شرح هذه الفقره من الزيارة، وسيظهر من خلال ذلك طرف من منازل الأئمة الأطهار عليهم الصلاه والسلام.

ولكن، لا بدّ من تقديم نقاط في مقدّمتين:

الاولى: إنّ على الإنسان المؤمن أن يهدف في بحثه ونقاشه الوصول إلى الحقيقه، لأنّ من وظائفنا الإيمان بالعقائد الحقه الثابته عن طريق النّظر في

ص: ٣١٣



الأدلة النقلية والعقلية والإستدلال بها على طبق الأصول العلميّه ولا يجوز فيها التقليد، بخلاف الأحكام الشّرعيّه العمليّه، فإنه يجب التقليد على المكلف غير المجتهد والمحتاط، بأن يرجع إلى المجتهد ويعمل على طبق فتاواه على ما هو المقرّر فى الفقه.

وكما يجب التقليد فى الفروع وجوباً شرعياً أو عقلياً، كذلك النظر والإستدلال فى الأصول العقائديّه، فإنه واجب على كلّ مكلف بحسب استعداده، ابتغاءً لمرضاة الله والنّجاه فى الآخره.

وعليه، فإنه يجب علينا الأخذ بالإحتياط فى كلّ مجال و التزام التقوى فى العقيدة والعمل، ولا يجوز التّعصّب و التقليد الأعمى و متابعه الهوى.

الثانيه: فى خصوص النّبى الأكرم والأئمّه عليهم أفضل الصّلاه والسّلام ومنازلهم و معارفهم و شئونهم، علينا أيضاً رعايه الإحتياط الكامل والتّقوى فى التحقيق عن ذلك، حتى تكون عقائدنا فيهم مستنده إلى الحجّه.

### نقاط مهمه

وبالإلتفات جيّداً إلى هاتين المقدمتين نقول:

إنّ عقيدتنا فى النّبى والأئمّه عليهم السّلام هى أنّهم عباد لله تعالى ، مخلوقون؛ فليسوا شركاء له جلّ وعلا، ولا إنّ الله تعالى حلّ فيهم، ولا- إنّهم اتّحدوا به عزّ وجلّ ، ولا- إنّهم أولاد لله تعالى ، وليس بينه وبينهم قرابه، وإنّما هم عباد مكرّمون، أكرمهم الله ببركه عبادتهم وعبوديتهم وخضوعهم وخشوعهم الفريد له عزّ وجلّ ، وأعطاهم مقامات ومنازل وقربهم من حضرته، ووصلوا إلى حالات خاصّه لهم معه.

والروايات فى هذا الشأن كثيرة. فقد روى أصحابنا بالأسانيد عن الإمام السّجّاد عليه السّلام، قوله:

«كان على عليه السّلام - والله - عبداً لله صالحاً، أخو رسول الله صلّى الله عليه وآله، ما نال الكرامه من الله إلّا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله الكرامه من الله إلّا بطاعته». (١)

إذن، فنحن نعتقد أنّ أهل البيت عليهم السّلام، عبادٌ ولكنّهم عبادٌ مكرمون، لانقول هذا لئلاّ ننتهم بالغلوّ ويقال بأننا نمنح الأئمّه عليهم السّلام أكثر مما هم عليه من المقامات. أبداً، ليس الأمر كذلك، بل إنّ أهل البيت عليهم السّلام نفوا عن أنفسهم الألوهيته والرّبوبيّته، وكذبوا قول الغلاة وأبطلوه وردّوه.

هذه عقيدتنا فى أهل البيت.

ولكن ظهر فى زماننا من بدأ يشكك فى منازل ومقامات الأئمّه عليهم السّلام الثابتة بالأدله المتقنه.

ولا يخرج هؤلاء عن أحد حالين:

إمّا أنّهم يريدون تخريب المذهب وتضعيف عقيدته المؤمنين لأغراضٍ دنيويّه، وإمّا أنّهم لم ينظروا فى الأدله الموجوده فى أيدينا ولم يدرسوها بشكل صحيح. فإنّ هذه الامور - كما أشرنا من قبل - لا يتوصل إليها الإنسان بسهولة، كما هو الحال فى سائر العلوم، فالفقيه مثلاً- إذا ما أراد استنباط حكم من الكتاب والسّنّه، ومن بين مختلف الروايات والقواعد والأصول، مع إختلاف كلمات الفقهاء، ودعاوى الإجماع، فإنّ عليه أن يمارس ذلك كلّه مع الدقه العاليه

ص: ٣١٥

والفحص المتواصل، ومع توفر كل الأدوات، فإنه يحتاج إلى وقت، وبذل قدر كبير من الجهد المتواصل للوثوق من النتيجة.

فعلى فرض إن هؤلاء المشككين هم من أهل التقوى، لكن الحقيقة أنهم لم يقوموا بكل هذه الممارسه المعقده والتحقيق فى كل هذه الامور، للوصول إلى ما تدل عليه الدلائل والبراهين.

ومن هذا المنظار نقول:

أولاً: إن مقتضى التقوى، هو أن يسعى هؤلاء على قدر وسعهم وطاقاتهم وسعه نظرهم وإستعداداتهم، ليصححوا معتقداتهم، ويستمدوا العون من نفس الأئمه عليهم السلام.

ثانياً: فإن حاولوا ولم يصلوا إلى نتيجة، فليراجعوا الحوزه العلميه، فإن فى الحوزه متخصصين فى كل الفنون والعلوم، وليطرحوا الموضوع مع أهل الخبره فيه ويأخذوا الأجوبه اللأزمه على إشكالاتهم، فإن هذا هو مقتضى قاعده التقوى، وإلّا كانوا على خلافها.

وعلى الأقل، إن على هؤلاء أن يسكتوا، ولا يعلنوا تشكياتهم فضلاً عن أن ينكروا المقامات والمنازل المعنويّه الثابته للنبي وآله، بحجّه أن هذه الامور ليست من ضروريات المذهب، فلا يحتاج الإنسان إلى الإيمان بها، بل إن مقتضى التقوى لغير المتخصص هو السكوت. فكيف لو بادر بعضهم إلى الطعن فيها فى أجواء أعداء أهل البيت عليهم السلام؟

وعلى الجملة، فإن هذه مسائل تخصصيه، ويشترط فى التحقيق فيها أن يعتمد على الأدله المتقنه من النقل والعقل لاعلى الظنون الشخصيه والآراء الشاذه، والله الهادى.

وبه يتّضح عدم المنافاه بين هذه الفقره و القرآن الكريم، وهو فى مطالب:

المطلب الأول: فى القرآن الكريم، ضمائر تعود إلى الله تعالى - المتكلم وحده - جاءت تاره: بصيغه المفرد، واخرى: بصيغه الجمع. كما أن الحال بالنسبه إلى الأفعال كذلك، فإنّ الأفعال المسنده إليه تعالى ، جاءت تاره بصيغه المفرد، واخرى بصيغه الجمع.

فما هو السرّ فى ذلك ؟ هل المقصود من الإيتان بصيغه الجمع فى موارد هو التعظيم كما قد يقال أو أنه أمر آخر؟

ثم إن الله عزوجلّ فى سوره الكهف من القرآن الكريم، يذكر قصّه أن «عَبِيداً مِنْ عِبَادِنَا» التقى به نبيّ الله موسى عليه السّلام، فصدرت منه ثلاثه أفعال، فلمّا سأله موسى عن الأسباب لتلك الأفعال، ذكر الفاعل لها بثلاثه أنحاء، فأوضح الفعل الأوّل ناسباً إياه إلى نفسه بقوله «أردت»:

«أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا» ١

وأجاب عن الثانى قال «أردنا»:

«وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا» فَأَرَدْنَا» ٢

وقال عن الثالث «أراد ربك»:

«وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ

أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا» ١

لقد كان هو المباشر للأفعال جميعاً، فلماذا قال مرّة: «أردت» و مرّة «أردنا» أى هو و الله، و مرّة «أراد ربك»؟

أمّا فى الأوّل، فهو الفاعل و هو المرید، و هذا واضح، وأمّا الثانى، فقد وقع بإرادته و إرادة الله و بصيغه الجمع؟ وأمّا الثالث، فمع صدوره منه ينسبه إلى الله، وهذا هو محلّ الشاهد فى بحثنا!

لقد جاء فى الأخبار أن المقصود من «العبد» فى القصة هو «الخضر».

فإذن، هناك أشخاص يكون فعلهم فعل الله و ارادتهم مظهراً لأرادته الله كالملائكة، كما قال عزّوجلّ «وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» ٢

المطلب الثانى: فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم، نجد أنّ البارى عزّوجلّ يحكى عن فعل صادر من فاعل، بصيغه الجمع، مع إتفاق المفسّرين على صدور هذا الفعل من شخص واحدٍ معيّن .

و مواضع قد صدر الفعل من شخصين معيّنين، ومع ذلك يحكيه تعالى ويسنده إلى ضمير الجمع.

ولقد تحدثنا بنحو الإجمال آنفاً فى ذيل آية الولاية، عن أن التصدّق حال الركوع قد صدر من شخص أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، ولكنّ القرآن الكريم ذكر ذلك الفعل مسنداً إلى فاعلٍ جاء بصيغه الجمع، حيث يقول عزّوجلّ:

«الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ١

وقد جمع العلامة الأميني رحمه الله في كتاب «الغدير» نظائر كثيرة لمثل هذا الإستعمال في القرآن المجيد، على أساس الروايات والأحاديث المعتمدة وأقوال العلماء. (١)

إن هذه الموارد تحتاج إلى إعمال دقه نظر وتأمل لمعرفة السرِّ في مثل هذا الإستعمال، فلماذا يأتي بصيغه الجمع في الفعل الصَّادِر من شخص واحد بعينه في القرآن المجيد وهو كلامُ الله تعالى؟

فلا بدَّ من وجود حكمه في مثل هذه الموارد، وإلَّا يلزم مخالفه الواقع، لأنَّ الفعل الصادر من الشخص الواحد لا يصح أن يُنسب إلى مجموعته من الأشخاص، والقرآن الكريم يعرِّف نفسه بقوله تعالى :

«لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» ٣

المطلب الثالث: في القرآن الكريم موارد وقع فيها الإخبار عن صدور بعض الأفعال مع نسبتها تارة إلى الله تعالى واخرى إلى غيره عزوجلّ ، مع إنَّ الفعل نفس الفعل.

ففي آيه من القرآن الكريم نقراً:

«اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» ٤

فهنا نسب قبض الأرواح مباشرة إلى نفسه عزوجلّ .

ص: ٣١٩

١- (٢) راجع: الغدير ٣ / ١٦٣.

وفى آيه أخرى يقول عزوجل :

«قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ» ١

فنسب الفعل وهو قبض الأرواح إلى ملك الموت.

ولكن، ينبغى هنا الالتفات إلى أن الله قد فوض وأوكل هذا الأمر لملك الموت حيث قال عزوجل :

«قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» ٢

وهذا يعنى إنَّ لله تعالى فى ملكه وجهاز سلطنته، من يوكل إليه القيام ببعض الأعمال والوظائف، ويكون فعله فعل الله تعالى ، ولذا يُنسب إلى الله تعالى باعتبار، وينسب إلى الملك باعتبار أنه مُوكل بالقيام بهذا الفعل.

المطلب الرابع: من خلال تأملاتنا فى القرآن الكريم والسنة الشريفة، وجدنا أنَّ هناك إرتباطاً دقيقاً بين الله تعالى ورسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله.

فقد يصدر أمرٌ من الله سبحانه وتعالى، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وفى مقام الإمتثال، يترجم الأمر عملياً.

وكمثال لذلك، قوله تعالى فى آيه المباهله المباركه:

«فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» ٣

ففى هذه الآيه، نجد أنَّ كلمه «أبناءنا» و«نساءنا» و«أنفسنا» جاءت بصيغه الجمع، ولم يذكر فيها اسم أحدٍ بعينه. ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج

ومعه على وفاطمه والحسان عليهم السّلام، ففسّر الآية عملياً وطبقها ميدانياً وأرشد إلى المراد منها.

لقد كان للنبي صلّى الله عليه وآله عدّه زوجات، وقوله «نساءنا» يصدق عليهنّ وعلى النساء من أقربائه، ولكنّه ترجم المراد من «نساءنا» عملياً، فلم يخرج معه إلّا إمراً واحده، وهى الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء عليها السّلام.

وكذا «أبناءنا»، وقد فسّرها بالحسن والحسين عليهما السّلام. (١)

وكذا «أنفسنا» وقد فسّرها بعلى بن أبى طالب عليه السّلام.

وهذا هو الإرتباط الوثيق بين الله تعالى والرّسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، حيث عرف مراد الله تعالى ، وفسّر الآية بهم دون غيرهم.

وقد يقوم النّبي صلّى الله عليه وآله بفعل و يصرّح بتعيين أهل بيته بأشخاصهم، فيصدّقه الله سبحانه فيما قال و يمضى ما فعل.

ومن ذلك: أنه جمع علياً وفاطمه والحسن والحسين عليهم السّلام تحت الكساء، وقال:

«اللهمّ هؤلاء أهل بيتي». (٢)

ص: ٣٢١

---

١- (١) تفسير العياشى ١ / ١٧٦ و ٢ / ١٢٨؛ تفسير الفرات الكوفى: ٨٩؛ تفسير جوامع الجامع ١ / ٢٩٢ - ٢٩٣؛ كشف الغمّه ٣ /

٤٥؛ مطالب السؤل: ١٠١؛ روضه الواعظين: ١٦٤؛ تاريخ الإسلام ٣ / ٦٢٧.

٢- (٢) الطرائف: ١١٦؛ ذخائر العقبى: ٢٣؛ بحار الأنوار ٢٣ / ١٠٩، الحديث ١٢؛ المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٤٧؛ السنن

الكبرى ٢ / ١٥٠؛ مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٠٧؛ سنن الترمذى ٥ / ٣١؛ مجمع الزوائد ٩ / ١٦٧.



ونزلت الآيه المباركه:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ١

وعندما يرجع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من منى بعد الفراغ من مناسك الحج ، نزل قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » ٢

فما علم الناس بما كان يجب على الرسول إبلاغه حتى وصل غدِيرخَمْ، فلما امتثل هذا الأمر الإلهي عملياً بتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام وولايته، نزلت الآيه الشريفه:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...» ٣

فكانت بمعنى الإمضاء لفعل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وترجمته لآيه التبليغ المباركه.

إذن، فهناك إرتباط وثيق بين الله تعالى و المعصوم، فتارةً : فعل المعصوم مفسّر لكلام الله عزّوجلّ ومبين لإرادته سبحانه كترجمه عمليته للكلام الإلهي، وأخرى: يقع الفعل من المعصوم ويصدّقه القرآن الكريم، وثالثهً : يكون بين الله أوليائه إرتباط وثيق بحيث ينسب فعل هذا إلى ذاك، كما في قصه الخضر عليه السلام، وكما في قوله عزّوجلّ لرسوله الأكرم:

«وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» ٤.

بل وأكثر من ذلك، فإنه قد ينسب الفعل الواحد إلى الله تعالى ورسوله، كما في قوله تعالى :

«وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ» ١.

وذات يوم سألت أحد أساتذتي أطال الله بقاءه، عمّا لو وافق الوهابيون على قدره النبيّ على التصرّف في الامور التكوينية وعلى الشفاعة، والتوسّل به، لكنّهم خصّوا ذلك بحال الحياه، فما هو الجواب ؟

فقرأ لى الاستاذ هذه الآيه: «وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قال: هي مطلقه تعمّ حياته وبعد مماته.

وفي آيه أخرى يقول تعالى :

«وَمَا ظَلَمْنَا وَلَا لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» ٢

فما معنى «وما ظلمونا»؟

فعن زراره أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن معنى هذه الآيه فقال:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَظْلَمَ، وَلَكِنْ خَلَطْنَا بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَ ظَلَمْنَا ظَلَمَهُ وَوَلَايَتْنَا وَلَايَتَهُ حَيْثُ يَقُولُ: «إِنَّمَا وَرِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» يَعْنِي الْأَثْمَةَ مِنَّا؛(١)

وقد مرّ بنا في شرح عبارته «واللّازم لكم لاحقاً»، إنّ الملازمه قد تنتهي إلى الخُلطه، وهذا ما جاء في متن هذه الروايه.

ص: ٣٢٣

والآن، ينبغي أن نفهم معنى هذا المقام السامى، حيث يصل الإنسان إلى منزله يعبر عنها «خلطنا بنفسه»، كما إن الخضر عليه السلام عندما قام بذلك الفعل، قال: «أردنا»، هو والله.

المطلب الخامس: هو أن كل من كان من جملة الكادر التنفيذى فى طاقم إداره الكون، بأمر من الله، سواء كان نبياً أو ولياً أو ملكاً، كما قال تعالى:

«فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْراً» ١ فإنه قد وصل إلى منزله تكون معاداته معاداة لله تعالى ، ويكون الله عدوًّا له، ومن هنا يقول تعالى :

«مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ» ٢

وهذا هو مقتضى الحال، وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فى خصوص أمير المؤمنين كما جاء فى الأحاديث المعبره، إذ قال:

«من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعنى، ومن عصى علياً فقد عصانى» (١)

وقال:

«يا على، أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة، من أحببك أحببى وحببى حبيب الله، وعدوك عدوى وعدوى عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدى» (٢)

ص: ٣٢٤

---

١- (٣) المستدرک على الصحيحین ٣ / ١٢١ و ١٢٨؛ كنز العمیال ١١ / ٦١٤، الحدیث ٣٢٩٧٣؛ تاریخ مدینه دمشق ٤٢ / ٣٠٧؛  
ینایع المودّه ٢ / ٣١٣، الحدیث ٩٠٠.

٢- (٤) تهذیب الکمال ١ / ٢٥٩؛ ینایع المودّه ٢ / ٢٧٨ و ٢٧٩؛ العمده: ٢٦٨، الحدیث ٤٢٤؛ كشف الیقین: ٣٠٢؛ بحار الأنوار  
٤٠ / ٨٣؛ المسترشد: ٢٨٦؛ کتاب الأربعین: ٤٥٩؛ وقد ورد هذا الحدیث بتفاوت یر فى: شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحدید ٩ /  
١٧١ وتاریخ بغداد ٤ / ٢٦١.

وقال:

«من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله».(١)

فالذى نريد التأكيد عليه فى هذا المطلب أنّ حكم الأئمة الأطهار حكم رسول الله وسائر الرسل والملائكة المقربين فى الجهاز الربوبى.

المطلب السادس: إنّ الأئمة قد وصلوا ببركة طاعتهم لله إلى القرب إلهى فكانوا عَيْنَ الله ويدَ الله ووجه الله عزّوجلّ .

فقد جاء فى ذيل الآيه المباركه:

«وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ٢

أنّ الإمام السجّاد عليه السلام قال:

نحن الوجه الذى يؤتى الله منه.(٢)

وعن أبى عبد الله الصادق عليه السلام فى قوله تعالى :

«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» ٤

«وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين دين الله ووجهه وعينه فى عباده، ولسانه الذى ينطق به، ويده على خلقه، ونحن وجه الله الذى يؤتى منه...».(٣)

ص: ٣٢٥

١- (١) تحف العقول: ٤٥٩؛ الإفصاح: ١٢٨؛ المناقب، ابن شهر آشوب ١٤/٣؛ الجمل: ٣٦؛ بحار الأنوار ٦٥٥/٣١، الحديث ١٩٩؛ المعيار والموازنه: ٢٢٤؛ الاستيعاب ١١٠١/٣؛ ينابيع المودّه ١٥٥/٢، الحديث ٤٣٤.

٢- (٣) تفسير القمى ٢ / ٣٤٥؛ بحار الأنوار ٤ / ٥.

٣- (٥) التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٥١، الحديث ٧؛ بحار الأنوار ٧ / ٤، الحديث ١٤ و ١٩٧ / ٢، الحديث ٢٣؛ تفسير الصافى ٤ /

١٠٨.

وعنه عليه السلام:

«نَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَهْلِكُ».(١)

وقد ورد في الأخبار أتيام حكومه عمر بن الخطاب، إِنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَفَعَ رَجُلًا عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ فِي حَالِ الطَّوَافِ.

فجاء الرجل يشكو علياً عليه السلام عند عمر.

فأخبره الإمام عليه السلام أنه كان ينظر إلى ما لا يحلّ له النظر إليه من النساء.

فقال عمر للرجل:

«رَأَيْتَكَ عَيْنُ اللَّهِ وَضُرِبَتْكَ يَدُ اللَّهِ».(٢)

بل وأكثر من ذلك، فقد جاء في الحديث القدسي:

«ما زال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أكون بصره الذي يبصر به وسمعه الذي يسمع به...».(٣)

وهذا الحديث منقول في كتب العامة أيضاً، وقد أورده. الحافظ النووي في شرحه على صحيح مسلم، وشرحه شرحاً جميلاً.(٤)

نعم، فكل إنسان يمكنه أن يصل وبيركه العبودية الحقّة إلى هذا المقام، لأنّ الحديث يقول: «العبد»، فلا يختصّ بالأئمة عليهم السلام، ولكننا لانعهد أنّ أحداً وصل إليه بعد رسول الله غيرهم.

ص: ٣٢٦

١- (١) بحار الأنوار ٤ / ٦، الحديث ١٢.

٢- (٢) راجع: المناقب، ابن شهر آشوب ٣ / ٦٤؛ بحار الأنوار ٣٩ / ٨٨ و ٣٤٠؛ ذخائر العقبى: ٨٢؛ فيض القدير ٤ / ٤٧٠؛ الرياض النضرة ٣ / ١٦٥؛ النهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٣٢؛ لسان العرب ١٣ / ٣٠٩.

٣- (٣) راجع: الصفحة ٦٨ من هذا الكتاب.

٤- (٤) وقد ذكرنا هذا المطلب في الجزء الاول من هذا الكتاب، الصفحة: ٣٥٧.

فلقد كان الأنبياء والأوصياء كلهم على هذا المنوال، لكن درجاتهم مختلفه وبعضهم أفضل من بعض، وليس في ذلك جبر أصلاً، لأن الإنسان إنما يتقرب بأفعاله هو، وإن الله تعالى يعينه ويتفضل عليه، فلو أنه سعى بمقدار خطوه نحو الله تعالى، فإن البارى سيتفضل عليه بأضعاف ذلك وليس ما ذكرناه فى الأئمه غلوا فيهم.

### حالات الأئمه المميزه

وإنما نقول بتقدم الأئمه على الأنبياء مطلقاً إلا للنبي الأكرم، لأن حالات الأئمه عليهم السلام، وفى كل العوالم، مميزه حقاً.

فهناك عالم ما قبل عالمنا هذا، وعالم ما بعد عالمنا هذا، وإن الله تعالى هو رب العالمين، فربوبيته عزوجل ثابتة لكل العوالم بدرجه متساويه.

وبناءً على ما جاء فى روايات الفريقين، فإن حالات أهل البيت عليهم السلام قبل هذا العالم، كانت بحيث إن أقرب الملائكه كانوا تلامذه عندهم عليهم السلام؛ أى إن الملائكه تعلمت فنون العبوديه منهم:

فعن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«إن الله عزوجل خلقنى وخلق علياً وفاطمه والحسن والحسين من نور، ثم عصير ذلك النور عصيره فخرج منه شيعتنا؛ فسبحنا فسبحوا، وقدسنا فقدسوا، وهللنا فهللوا، ومجدنا فمجدوا، وحمدنا فحمدوا.

ثم خلق السموات والأرضين وخلق الملائكه، فمكثت الملائكه مائه عام لا تعرف تشبيهاً ولا تقديساً؛ فسبحنا فسبحت شيعتنا فسبحت الملائكه، وقدسنا فقدست شيعتنا وقدست الملائكه - وكذلك البواقي - .

فَنَحْنُ الْمُؤَحَّدُونَ حَيْثُ لَمَّا مُوَحَّدَ غَيْرُنَا، وَحَقِيقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا اخْتَصَّصْنَا وَاخْتَصَّ شَيْعَتَنَا أَنْ يَنْزِلَنَا وَشَيْعَتَنَا فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ ، إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَانَا وَاضْطَفَى شَيْعَتَنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكُونَ أَجْسَامًا، وَدَعَانَا فَأَجَبْنَا فَغَفَرَ لَنَا وَلِشَيْعَتِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَسْتَغْفِرَهُ تَعَالَى» (١).

فأى مقام هذا الذى يجعل آدم عليه السلام ينال اللطف الإلهى ببركه شفاعه أهل البيت عليهم السلام ؟

إنَّ لأهل البيت عليهم السلام فى عالم ما قبل عالمنا هذا، خصوصيات أخرى كثيرة غير هذه.

ثم لَمَّا جاءوا إلى هذا العالم، حصلوا ببركه عبوديتهم وقربهم، على حالات مع الله جعلتهم يتصرفون بإذنه فى العالم وأهله بولايتهم التكوينية والتشريعية.

فتوسطهم للفيوضات الإلهية، وهدايتهم الخلائق، وحجيتهم المطلقة، كل ذلك ببركه عبوديتهم الفائقة لله.

وأما فى عالم ما بعد عالمنا هذا، فالأئمة عليهم السلام رجال الأعراف، وسيولون أمر الحوض الذى قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى حديث الثقلين الشريف:

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» (٢).

وأحاديث «الحوض» و«الكوثر» متواتره عند الفريقين، وقد ورد فى بعضها أن أكثر أصحاب النبى يذادون عن الحوض، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

ص: ٣٢٨

١- (١) المحتضر: ١١٣؛ كشف الغمّة ٢ / ٨٥؛ بحار الأنوار ٢٦ / ٣٤٣، الحديث ١٦.

٢- (٢) راجع: نفحات الأزهار ١ - ٣، للمؤلف.

«يا ربّ، أصحابي أصحابي».

فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

فيؤخذ بهم ذات الشمال.

فأقول: بُعداً وسُحقاً».(١)

وفي ذلك اليوم، يكون لواء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «لواء الحمد» وهو أكبر وأشرف وأعظم لواء في يوم القيامة، بيد أمير المؤمنين عليه السلام.(٢)

ثم تطوى مراحل ذلك اليوم حتّى يتعيّن مصير الأشخاص، فأصحاب يمين وأصحاب شمال.

ص: ٣٢٩

١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٩٣، الحديث ٣٣؛ بحار الأنوار ٢٨ / ١٩، الحديث ٢٦.

٢- (٢) روى عبد الله بن العباس في حديث لطيف عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أتاني جبرئيل وهو فرح مستبشر، فقلت له: حبيبي جبرئيل، مع ما أنت فيه من الفرح، ما منزله أخى وابن عمى على بن أبى طالب عند ربّه؟ فقال جبرئيل: يا محمّد! والذى بعثك بالنبوّه واصطفاك بالرساله، ما هبطت في وقتي هذا إلا لهذا. يا محمد! العلى الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول: محمّد نبي رحمتي، وعلى مقم حجتى، لا اعدّب من والاه وإن عصانى، ولا أرحم من عاداه وإن أطاعنى. قال ابن عباس: ثم قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إذا كان يوم القيامة أتاني جبرئيل عليه السّلام ويده لواء الحمد وهو سبعون شقّه، الشقّه منه أوسع من الشمس والقمر، فيدفعه إلى، فأخذه وأدفعه إلى على بن أبى طالب. فقال رجل: يا رسول الله! وكيف يطبق على عليه السّلام على حمل اللواء، وقد ذكرت أنّه سبعين شقّه، الشقّه منه أوسع من الشمس والقمر؟ فغضب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثم قال: يا رجل! إنّه إذا كان يوم القيامة أعطى الله علياً من القوّه مثل قوّه جبرئيل عليه السّلام، ومن الجمال مثل جمال يوسف عليه السّلام، ومن الحلم مثل حلم رضوان، ومن الصوت ما يدانى صوت داوود عليه السّلام، ولولا- أنّ داوود خطيب في الجنان، لأعطى على عليه السّلام مثل صوته، وإنّ علياً أول من يشرب من السلسيل والزنجيل، وإنّ لعلّى وشيعته من الله عزّوجلّ مقاماً يغبطهم به الأولون والآخرون. الأمالى، الشيخ الصدوق: ٧٥٦، الحديث ١٠١٩؛ روضه الواعظين: ١٠٩؛ بحار الأنوار ٨ / ٢ و ٣، الحديث ٢.



وروايات الفريقين في هذا المجال على ثلاث أنحاء:

١ - لا يدخل الجنة أحد حتى يأخذ بيده براءة من على بن أبي طالب عليه السلام. (١)

٢ - لا يدخل الجنة أحد حتى يكون له جواز من يد على بن أبي طالب عليه السلام. (٢)

٣ - لا يدخل الجنة أحد حتى يأخذ مكتوباً من على بن أبي طالب عليه السلام. (٣)

ونحن ذكرنا الألفاظ الثلاثة مع الإشارة إلى مصادرها، لنعلم أن هذا الحديث متواتر معنوي.

ومن جهة أخرى، فإنه ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

يا على، أنت قسيم الجنة والنار. (٤)

وفي تعبير آخر:

«أنت قسيم النار». (٥)

ص: ٣٣٠

١- (١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ١ / ٤٢٩؛ بشاره المصطفى: ٣٠٩؛ مائه منقبه: ٨٦ و ٨٥، المنقبه رقم ٥٢؛ بحار الأنوار ٢٧ / ١١٦، الحديث ٩٣ و ٨ / ٦٦، الحديث ٤ و ٣٩ / ٢١١ و ٢١٢، الحديث ٤؛ غايه المرام ٣ / ٩٨، الحديث ٩؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٢٧١ و ٢٧٢، الحديث ٦٣.

٢- (٢) الأمل، الشيخ الطوسي: ٢٩٠، الحديث ٥٦٤؛ بحار الأنوار ٨. ٦٨، الحديث ١١؛ كشف الغمّه ٢ / ٢٤؛ ينابيع المودّه ١ / ٣٣٨، الحديث ٢١ و ٢ / ١٦٢ و ١٦٣، الحديث ٤٥٩ و ٤٠٤، الحديث ٥٨؛ ذخائر العقبى: ٧١؛ ذكر أخبار إصبهان ١ / ٣٤٢؛ جواهر المطالب، ابن الدمشقي ١ / ١٠١، باب ١٧.

٣- (٣) المناقب، ابن شهر آشوب ٣ / ١٢٣؛ بحار الأنوار ٢٧ / ١١٧، الحديث ٩٦، أسد الغابه ٢ / ٣٥٨؛ الإصابه ٣ / ١٥٧، رقم ٣٥١٦؛ المناقب، الخوارزمي: ٣٤١، رقم ٣٦١؛ ينابيع المودّه ٢ / ٦٦، الحديث ٥٥ و ٤٦٠، الحديث ٢٧٨.

٤- (٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٩٢، الحديث ٣٠؛ الأمل، الشيخ الصدوق: ١٠١؛ بحار الأنوار ٣٧ / ٢٥٤، الحديث ١؛ كشف الغمّه ٣ / ١٠٣؛ ينابيع المودّه ١ / ٢٤٩، الحديث ١ و ٢٥١، الحديث ٥ و ٢ / ٤٠٤، الحديث ٥٧.

٥- (٥) الأمل، الشيخ الطوسي: ٥٥٣؛ تفسير القمّي ٢ / ٣٨٩؛ بحار الأنوار ٣٣ / ١٦٢، الحديث ٤٢٥؛ ينابيع المودّه ٢ / ٤٠٣.

أبعد كل هذه الأحاديث، يبقى مجالاً للتأمل والتشكيك في أن آية:

«إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» ١ لا تنافي ما جاء في الزياره الجامعه في قوله عليه السّلام: «وإيابُ الخَلقِ اليكم وحسابُهُم عليكم»؟

كلّا، فليس فقط لا تنافياها، وإنما هي عين الآيه الكريمه.

### المقام الخاص في يوم القيامة

وإليك بيانٌ مطلب حول النبي الأكرم والأئمه الأطهار عليهم السلام، ما أدري هل تنبه إليه أحد أو لا.

فإذا ما عقدت المحكمه في هذا العالم، يجلس الحاكم على كرسى القضاء، ويتقدم المدعى والمدعى عليه بين يديه؛ فيطلب الحاكم من المدعى إقامة البيّنه، فإن كان عنده شهود على دعواه، أقام البيّنه، والأحلف المدعى عليه، فيحكم الحاكم لصالحه أو لصالح المدعى عليه.

ففي هذا العالم، يكون الحاكم غير المدعى والمدعى عليه، ويكون الشاهد غيرهما وغير الحاكم.

ومن جهه أخرى، في هذا العالم، إذا كان لأحد الطرفين شفيّع، فإنّه سيأتى بالشفيع إلى الحاكم، والشفيع هنا غير الشاهد، والشاهد غير المدعى والمدعى عليه، وهما غير الحاكم.

ولكن، وبحكم الآيات والروايات، فإنّ محكمه يوم القيامة تختلف،

فالأئمة عليهم السلام هم الحكام وهم المدعون وهم الشهود وهم الشفعاء. (١)

ولو أردنا ذكر الأدلة على ما قلناه تفصيلاً، فإنّ البحث سيطول ويخرج عن سيره المقرّر.

فخلاصه الكلام هي إنّ رجوع الخلائق إلى الأئمة عليهم السلام، وتصدّي الأئمة لحساب الخلق في يوم القيامة، مآله إلى الله تعالى، وهذا المعنى مستفاد من الآيات والروايات.

وبيان أوضح، إنّ الآية المباركة «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» ٢ ظاهرة في رجوع الناس إلى الله تعالى، فلو كانت بصيغه المتكلم وحده، فهل إنّ الذات المقدّسه الربوبيّه تصدّي مباشره لأمر حساب الخلائق؟

لا، ليس الأمر كذلك قطعاً، ولم يقل به أحدٌ، لأنّ الله تعالى ليس جسماً، وفي أي من الامور، سواء قبل هذا العالم، أو في هذا العالم، أو بعد هذا العالم، وفي كلّ العوالم، لم يدع أحدٌ أنّ الله تعالى يتولى أمور الخلائق بنفسه مباشره.

إذن، لا بدّ أن يكون هناك شخص أو أشخاص في يوم القيامة موكلين من قبل الله تعالى للتصدّي لأمر حساب الخلائق.

فإذا ما كان الرزق ومعاش الناس موكولاً إلى ميكائيل، وإنّ قبض الأرواح موكول إلى عزرائيل، وقسم من الامور تتحقق على يد جبرائيل، فما المانع من أن يكون حساب الخلائق يوم القيامة بيد الأئمة عليهم السلام؟

ص: ٣٣٢

---

١- (١) بصائر الدرجات: ٨٣، الحديث ١١؛ الكافي ١ / ٢٥١، الحديث ٧؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٢١؛ بحار الأنوار ٢٢ / ٤٤١ و ٤٩ / ٢٨٣، الحديث ١؛ شواهد التنزيل ١ / ١١٩، الحديث ١٢٩؛ تفسير مجمع البيان ١ / ٤١٧.

وممّا مرّ، ثبت إنّ أفعال الأئمّه عليهم السّلام هي أفعال الله تعالى ، وقلنا إنّ هذا غير مختصّ بالأئمّه عليهم السّلام، بل هو ثابت لعموم الأنبياء والأوصياء المعصومين والملائكة المقربين، فالأئمّه مأمورون من ناحيه الحقّ جلّ وعلا وهم من جمله من أوكل إليهم إداره هذا الكون وشئون الآخره.

## وَفَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ

### إشاره

قال الراغب الإصفهاني في كلمه «فصل»:

«الفصل: إبانته أحد الشيئين من الآخر حتّى يكون بينهما فرجه... نحو قوله: «إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ» ١ أى اليوم يبيّن الحق من الباطل ويفصل بين الناس بالحكم... وفصل الخطاب ما فيه قطع الحكم وحكم فيصل ولسان مفصل...» (١).

فالفصل إذن، إبانته الحقّ من الباطل، والصدق عن الكذب، وتوضيح الحقائق عن غيرها وتمييز الصحيح من السقيم.

وكما مرّ بيانه فى شرح الفقره السابقه، فإنّ الله تعالى هو الذى جعل فصل الخطاب عند الأئمّه عليهم السّلام، والروايات الوارده فى ذلك، كثيره.

ففى روايه عن الإمام الصادق عليه السّلام، قال: قال أمير المؤمنين على عليه السّلام:

«والله، لقد أعطانى الله... فصل الخطاب» (٢).

ص: ٣٣٣

١- (٢) المفردات فى غريب القرآن: ٣٨١.

٢- (٣) بصائر الدرجات: ٢٢١، الحديث ٤؛ الخصال: ٤١٤، الحديث ٤؛ بحار الأنوار ٣٩ / ٣٣٦، الحديث ٥.

## فصل الخطاب في القرآن والأحاديث

ويمكن تصوّر عدّه معانٍ لفصل الخطاب، ولكنّ الأجدد مراجعهُ الآيات القرآن الكريم أوّلاً، لنرى مراده من «فصل الخطاب».

يقول تعالى :

«هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» ١

وجاء في آية ثانيه:

«إِنَّ يَوْمَ الْفَضْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ» ٢

ونقرأ في آية ثالثة:

«هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ» ٣

«يوم الفصل»، هو أحد أسماء القيامة، ولماذا صار يوم القيامة يوم الفصل؟

وما معنى «الفصل»؟

وبيد من يكون الفصل؟

جاء في القرآن الكريم، إنّ «الفصل»، في «يوم الفصل» هو بيد الله تعالى ، وهو الفاصل بين الخلق:

«إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» ٤

في هذا العالم، تختلف الامور كثيراً، ويختلط الحقّ بالباطل، وأمّا في يوم القيامة، فإن الحقائق تظهر ويتميز الحقّ من الباطل.

يقول تعالى فى الكتاب المجيد:

«لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ» ١

فمساعدته الأولاد، الأرحام، القبيله، لا- تنفع فى إذا أراد الله المؤاخذه فى يوم القيامة، والله تعالى هو الذى يفصل فى القضايا بينكم، ويميز الحق من الباطل.

وببإلى إنى رأيت خبراً جاء فيه أنه قد سئل الإمام عليه السلام عن سبب دوام حكمه الشيخين بدون مشاكل فى الظاهر، وأما عثمان فقد قُتل، وإن أمير المؤمنين عليه السلام ما أطاعته الأمة.

فأجاب الإمام عليه السلام بما حاصله:

أن الشيخين قد خلطوا بين الحق والباطل، أمّا عثمان، فكان باطلاً محضاً، وأما على، فكان حقاً محضاً، والناس لا يطيقون الحق المحض والباطل المحض.

### على الفاروق والميزان

وحيث إن اختبار الأمة الإسلاميه بدأ منذ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان على الله أن يجعل شاخصاً للحق بين الناس، فقد دلت الأحاديث المعتبره على أنه هو الإمام على، ومن هنا عبّر النبى الأكرم صلى الله عليه وآله عنه ب «الفاروق»، فقال فى حقه:

«هو فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل...»؛(١)

كما عبّر عنه ب «الميزان»، وجاء ذلك فى زيارته عليه السلام أيضاً:

ص: ٣٣٥

«... السلام على يعسوب الإيمان وميزان الأعمال...»<sup>(١)</sup>

وأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «على مع الحقِّ والحقِّ مع على»، فقد وصل إلى حدِّ التواتر.

إذن، ففي هذا العالم يشتهب الحقُّ بالباطل، وأما في عالم الآخرة، فإن القضايا تتمايز ولا تختلط.

وفى روايه لطيفه - يذكرها الشيخ الأنصارى رحمه الله فى كتاب الطهاره - إنَّ رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام أنه كان إذا ذهب إلى بيت الخلاء أطال الجلوس لاستماع صوت الغناء من دار جاره.

فقال له عليه السلام:

«لا تفعل.

فقال الرجل: والله، ما هو شئ آتية برجلى إنما هو سماع أسمع به بأذنى!

فقال له: أنت ما سمعت الله يقول: «إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُلاً»<sup>٢</sup>

قال: بلى والله، فكأنى لم أسمع هذه الآيه قط من كتاب الله من عجمى ولا من عربى، لا جرم إنى لا أعود إن شاء الله، وإنى أستغفر الله.

فقال له: قم فاغتسل وصل ما بدا لك، فإنك كنت مقيماً على أمر عظيم، ما كان أسوأ حالك لو متَّ على ذلك! أحمد الله وسله التوبه من كل ما يكره، إنه لا يكره إلَّا القبيح، والقبيح دعه لأهله، فإن لكل أهلاً.<sup>(٢)</sup>

ص: ٣٣٦

١- (١) بحار الأنوار ٩٧ / ٢٨٧ و ٣٣٠.

٢- (٣) كتاب الطهاره ٢ / ٣٣١؛ الكافي ٦ / ٤٣٢، الحديث ١٠؛ وسائل الشيعة ٣ / ٣٣١، الحديث ٣٧٩٥؛ بحار الأنوار ٦ / ٣٤، الحديث ٤٨؛ وجاء هذا الحديث بتفاوت يسير فى الكتب الروائيه الاخرى.

فهذا الرجل لم يقيم مجلس الطرب في داره، ولم يستأجر أحداً لفعل ذلك، وإنما كان يذهب لقضاء حاجته في بيت الخلاء، فيتأخر بضعه دقائق ليستمع إلى تلك الأصوات من بيت جاره.

وعن الفضيل قال: سألت الإمام الباقر عليه السلام عن النرد والشطرنج و...، فقال عليه السلام:

«إذا ميّز الله الحقّ من الباطل مع أيّهما يكون؟»

فقال فضيل، مع الباطل يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام:

«فما لك والباطل؟»<sup>(١)</sup>

ففي هذا المورد، إشتبهت آلات القمار على السائل، فسأل عن حكمها، فبيّن له الإمام عليه السلام هذه الكليّة الرائعة.

إذن، فأكثر ما عندنا في هذه الدنيا من مأكولات، مشروبات، ملبوسات، مساكن، وغيرها من مقتنياتنا وتصرفاتنا، تشوبها الشبهه، ولكننا نجرى عليها قاعده «اليد» و«الطهاره» و«الإستصحاب» والأدله والأصول الأخرى ونستمر في حياتنا.

وأما في عالم الآخرة، فليس الأمر كذلك، بل تتميز المشتبهات وتبين حقائقها.

ولكن، هل يقوم الله تعالى بذلك مباشرة؟

من الواضح أنّ الجواب: لا. بل يتم ذلك بيد أنبيائه وأوليائه وملائكته والمقربين إلى ساحه قدسه، فهم الذين يتصدّون لمثل هذه الممارسات.

ص: ٣٣٧

---

١- (١) وسائل الشيعة ١٧ / ٣٢٤، الحديث ٢٢٦٦٧؛ كتاب المكاسب ١ / ٢٧٤، مع تفاوت يسير.



كما أن الله أعطى نبيه داود عليه السلام ذلك في دار الدنيا، إذ قال:

«وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابَ» ١

وجاء في الروايات أن مولانا ولي العصر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، إذا ظهر واستقرت حكومته، سيحكم كما كان يحكم داود عليه السلام.

فعن أبان بن تغلب، سمعت الصادق عليه السلام يقول:

«لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجلٌ مني يحكم بحكم آل داود ولا يسأل بيته، يعطي كل نفس حُكْمَهَا».(١)

وعن أبي عبيده قال: قال الصادق عليه السلام:

«إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان، لا يسئل الناس بيته».(٢)

فالفرق بين رسول الله صلى الله عليه وآله وداود هو: إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يحكم بالبينات والأيمان، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال:

رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إنما أفضى بالبينات والأيمان وبعضكم ألحن بحججه من بعض، فأئما رجل قطع له من مال أخيه شيئاً فإنما قطعت له به قطعه من النار».(٣)

وأما داود، فلم يكن يطلب البيته.

وكذلك سيكون حكم الإمام المهدي عليه السلام.

ص: ٣٣٨

١- (٢) الكافي ١ / ٣٩٨، الحديث ٢؛ بحار الأنوار ٥٢ / ٣٢٠، الحديث ٢٢.

٢- (٣) الكافي ١ / ٢٧٩، الحديث ٣؛ بحار الأنوار ٥٢ / ٣٢٠، الحديث ٢٤.

٣- (٤) الكافي ٧ / ٤١٤، الحديث ١؛ وسائل الشيعة ٢٧ / ٢٣٢، الحديث ٣٣٦٦٣.

ومن هنا، فقد فسّرنا الحديث النبويّ :

«أفضل أعمال امتي إنتظار الفرج».(1)

من خلال طائفتين من الروايات:

الطائفة الاولى: تقول بأنّ ظهور الإمام المهدي، وقدرته وحكومته عليه السّلام، تكون بصوره فجائيه، ومن ذلك الروايه التاليه:

لما أنشد دعبل الخزاعي قصيدته بين يدي الإمام الرضا عليه السّلام، بكى الإمام ثم رأسه فقال:

يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم ؟

فقال دعبل: لا يا سيدي، لا أعلم إلّاما سمعته منكم بأنّ إماماً سيخرج ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كاملت ظلماً وجوراً.

قال عليه السّلام: يا دعبل، الإمام بعدي محمد إبنى وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره.

لو لم يبق من الدنيا إلّايوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وأما متى ؟ فإخبار عن الوقت.

ولقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي أنّ النبي صلّى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله، متى يخرج القائم من ذريّتك ؟

ص: ٣٣٩

---

١- (١) المناقب، إبن شهر آشوب ٣ / ٥٢٧؛ بحار الأنوار ٥٠ / ٣١٨، الحديث ١٤، وروى هذا الحديث في مصادر أهل السنّه عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله بهذه العبارة: «أفضل العباده إنتظار الفرج». راجع: سنن الترمذي ٥ / ٢٢٥؛ مجمع الزوائد ١٠ / ١٤٧؛ تحفه الأحوذى ١٠ / ١٧؛ المعجم الأوسط ٥ / ٢٣٠؛ المعجم الكبير ١٠ / ١٠١؛ الجامع الصغير ١ / ١٩٢، الحديث ١٢٨٣؛ كنز العمّال ٢ / ٧٩، الحديث ٣٢٢٥.

فقال: مثله مثل الساعه لا يجليها لوقتها إلهو ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغيره. (١)

وعليه، فما من يوم ولا ساعه إلا ويمكن أن تكون موعداً لظهوره عليه السلام. وهذا ما يجب علينا الاعتقاد به.

والطائفة الثانية، تقول: عندما يظهر الإمام عجل الله تعالى فرجه وسيطر على العالم كله، فإنه سيحكم بحكم داود عليه السلام، أى إن أحكامه مطابقيه للواقع.

فالسبب فى كون انتظار الفرج أفضل الأعمال هو أن المؤمن المنتظر يكون مواظباً ومراقباً لأعماله وسلوكه وتصرفاته وعباداته فى كل أيام حياته، لئلا يتحقق الظهور الفجائى فيحكم فيه الإمام عليه السلام بحسب واقعه المعاش، فيفتضح بين الناس.

وعلى أى حال، فإن داود عليه السلام كان عنده «فصل الخطاب» من الله فى هذا العالم، وفصل الخطاب هذا هو نفسه عند الأئمة عليهم السلام فى عالم الآخرة، فما الإشكال فى ذلك؟

ويشهد بذلك ما ورد فى أن علياً قسيم الجنة والنار، وأن أحداً لا يجوز الصراط ولا يدخل الجنة إلا إذا كان عنده جوازٌ وبراءة.

بل لقد كان عنده فصل الخطاب فى عالم الدنيا أيضاً، إذ حكم فى كثير من قضايا الناس على أساس الواقع والعلم الذى آتاه الله. وقد جمع بعضها فى كتب خاصه.

ص: ٣٤٠

---

١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٩٧، الحديث: ٣٥، بحار الأنوار ٤٩ / ٢٣٧ الحديث ٦.

وتوجد بين «لدى»، «عند»، «لُدُن»، «لُدُن»، فروق لغويّة وأدبيّة، فلكلّ واحد منها موضعه الخاص كما لا يخفى على من راجع كتاب معنى اللّيب. (١).

ويقول الراجب الإصفهاني في لفظ «عند»:

«لفظٌ موضوعٌ للقرب، فتارةً يستعمل في المكان، وتارةً في الاعتقاد نحو أن يقال: عندي كذا، وتارةً في الزلفى والمنزله». (٢).

ويقول في كلمه «لُدُن»:

«أخص من» عند «، لأنّه يدلّ على ابتداء نهايه ، نحو أقمت عنده من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، فيوضع لدن موضع نهايه الفعل». (٣).

إذن، فكلمه «لدى» قريبه من جهه المعنى إلى كلمه «عند» وكلمه «لدن» أخصّ منها. حيث يقول الراجب في كلمه «لدى»:

«لدى: لدى يقارب لدن، قال: «وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ» ٤».

وفي كلمه «الآيه» عدّه نقاط:

الاولى: إنّ الآيه بمعنى العلامه. يقول الراجب:

«والآيه هي العلامه الظاهره وحقيقته لكلّ شئ ظاهر هو ملازم لشئ لا يظهر ظهوره» (٤).

ص: ٣٤١

١- (١) معنى اللّيب ١ / ١٥٦ و ١٥٧.

٢- (٢) المفردات في غريب القرآن: ٣٤٩.

٣- (٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٤٩.

٤- (٤) المفردات في غريب القرآن: ٣٣.

فمن أراد أن يرى الله تعالى ، فليُنظر إلى آياته وعلاماته.

ولا يخفى أنَّ الرؤيه نوعان:

١ - الرؤيه بالبصر.

٢ - الرؤيه بالبصيره.

الثانيه: إِنَّ نَفْسَ الْأَتْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمُ آيَاتُ اللَّهِ.

الثالثه: يظهر أنَّ الله تعالى قد وضع الآيات عند الأئمه، فمعنى العبارة هو:

إِنَّكُمْ مَعَ كَوْنِكُمْ آيَاتُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ آيَاتِهِ كُلَّهَا عِنْدَكُمْ.

لا يقال: إِنَّ هَذَا يَنَافِي قَوْلَهُ تَعَالَى:

«قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» ١

وذلك، لاندفاع هذا التوهم بما ذكرناه بشرح: وإياب الخلق إليكم.

مضافاً إلى أنه يشهد بذلك:

إِنَّهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: «الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» ، يَقُولُ بِوُجُودِ الْآيَاتِ عِنْدَ الْأَتْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، حَيْثُ نَقَرْنَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

«وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ \* وَ مَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَ لَا تَخْطُطُهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابُ الْمُبْطِلُونَ \* بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ.» ٢.

ص: ٣٤٢

## مصاديق الآيات الإلهية

وما هي مصاديق آيات الله؟

ألف:

### القرآن المجيد

يبدو أنّ القرآن المجيد هو أعظم، أهمّ، وأكبر مصاديق «آيات الله» وإنّ أحداً غير الأئمّة عليهم السّلام لم يقف على أسرار وحقائق القرآن.

فالأئمّة عليهم السّلام يعرفون متشابهات القرآن أيضاً. يقول تعالى:

«مِنهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» ١.

وإنّ كانت «الواو» في قوله: «والراسخون في العلم» حرف عطفٍ - لا إستئناف - فسيكون «الراسخون في العلم» هم نفسهم «الذين أوتوا العلم».

ومنه يظهر، أن لا- منافاه بين الآيه المباركه «إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» والآيه المباركه «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ» والآيه «فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» ٢.

ب -

### المعاجز

والمصداق الآخر لآيات الله: معاجز الأنبياء، وهي موجوده عند الأئمّة عليهم السّلام.

ج -

### الكتب السماويه

والمصداق الثالث لآيات الله تعالى، الكتب السماويه لأنبياء الله ورسله، فإنّ علمها عند الأئمّة عليهم السّلام، أيضاً.

ص: ٣٤٣

وعن سلمه بن كهيل، قال: قال علي عليه السلام:

«لو استقامت لى الأئمة وثبتت لى الوساده لحكمت فى أهل التوراه بما أنزل الله فى التوراه، ولحكمت فى أهل الإنجيل بما أنزل الله فى الإنجيل، ولحكمت فى أهل الزبور بما أنزل الله فى الزبور، حتّى يزهر إلى الله، وإنى قد حكمت فى أهل القرآن بما أنزل الله». (١)

ويبدو أنّ نفس تلك الكتب عند الأئمة عليهم السلام أيضاً، وهى الآن عند الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه.

فعن ضريس الكناسى قال: كنت عند الإمام الصادق عليه السلام، وكان أبو بصير حاضراً، فقال الإمام عليه السلام:

«إنّ داود ورث الأنبياء، وإنّ سليمان ورث داود، وإنّ محمّداً ورث سليمان وما هناك، وإنّا ورثنا محمّداً، وإنّ عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى.

فقال له أبو بصير: إنّ هذا لهو العلم؟

فقال: يا أبا محمّد! ليس هذا هو العلم، إنّما هذا الأثر، إنّما العلم ما حدث بالليل والنهار يوماً بيوم وساعه بساعه». (٢)

وفى روايه أخرى، إنّ عصا موسى عليه السّلام وخاتم سليمان عليه السّلام، موجوده عند الإمام الحجّجّه عجل الله تعالى فرجه الشريف، أيضاً. (٣)

والسؤال هو: هل إنّ المراد هو الأجسام الخارجيه الماديّه لهذه الأشياء؟ أم أنّ

ص: ٣٤٤

---

١- (١) بصائر الدرجات: ١٥٤، الحديث ٦؛ بحار الأنوار ٢٦ / ١٨٣، الحديث ١١ بتفاوت يسير؛ ينابيع المودّه ١ / ٢٢١، الحديث ٤٠.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ١٥٥، الحديث ١؛ بحار الأنوار ٢٦ / ١٨٣، الحديث ١٢.

٣- (٣) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٢٢، الحديث ٣٠ و٣٢٤، الحديث ٣٧.

المراد هو آثارها وإعجازاتها؟ أم إن المراد كلا الأمرين معاً؟

لا مانع من الجمع، لأن الأنبياء السابقين كانت عندهم الآيات، كما هو ظاهر قوله تعالى في القرآن المجيد:

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» ١

وكل تلك الآيات موجوده عند الأئمة عليهم السلام، وقد فسّر قوله تعالى :

«فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» بتلك الذوات المقدسه.

وبالتأمل في سيره الأئمة وأخبارهم، نجد إنهم كانوا كذلك حقاً، فكلما سئلوا عن مسئلة أجابوا بأحسن ما يمكن إقناع السائل وباقي الناس به، فحتى اولئك الذين أرادوا - بزعمهم - إمتحان الإمام وإختباره، سمعوا جواباً شافياً وألقموا حجراً.

وقضيّه سؤال أبي حنيفة من الإمام الكاظم عليه السلام، في زمن طفولته، شاهد صدق لما نقول. (١)

### وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ

قالوا: إنّ العزيمة ما يقابل الرخصة، فالإفطار في السفر عزيمة، لا رخصه، أى إنّ الأمر بالإفطار في السفر، حكم حتمى فعليه أن يفطر، لا إنّه رخصه فيجوز له الإفطار والصيام.

ص: ٣٤٥



وجاء في اللغة في كلمه «عزم»:

«عزمت على كذا عزمًا... إذا أردت فعله وقطعت عليه». (١)

فلو أنه قال: «عزائمهم عندكم» لاستظهرنا أن المراد هو إحاطتهم عليهم السّلام بكلّ الأحكام الإلزاميه، وجميع المرادات الحتميه للبارى عزّوجلّ، سواءً في التكوينيّات أو في التشريعيّات، سابقاً وحاضراً ومستقبلاً.

ولكن العبارة جاءت بهذه الصياغة: «عزائمهم فيكم»، يعنى إرادته الله الحتميه في شأنكم.

والظاهر أن المراد هو إنّ كلّ ما ورد من الله في شأنكم من الأمر بالاعتداء بكم وطاعتكم، وأمثال ذلك، هي أوامر حتميه إلزاميه للناس، فهي تكليف للجميع ولا يجوز التمرد على امتثاله.

وبعبارة أخرى، إنّ الله تعالى نصبكم ليرجع الخلق إليكم في كلّ أمورهم وشؤونهم، الدينيّه والدنيويّه، وأن يأخذوا ذلك عنكم ولا يُرخص أحدٌ في الرجوع إلى غيركم.

**وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ**

فنور الله تعالى عند أهل البيت عليهم السّلام، وبيركه هذا النور، تمت الخلقه وتحققت الهدايه، ونزلت العلوم والمعارف و...

و«النور» بالمعنى الأخص، هو أحد ألقاب أو أسماء القرآن الكريم. كما جاء في قوله تعالى :

ص: ٣٤٤

١- (١) صحاح اللغة ٥ / ١٩٨٥.

«قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ» ١.

وفى آيه أخرى:

«فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» ٢.

والبرهان، أيضاً كذلك، ففي آيه من القرآن نقرأ:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا\* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» ٣.

فهذا القرآن، برهانٌ ونورٌ.

والنبي الأكرم والأئمة الأطهار عليهم السلام، برهانٌ ونورٌ كذلك للوصول إلى فضل الله ورحمته. فعن عبد الله بن سليمان قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله: «قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا».

قال: البرهان محمدٌ والنور عليّ.

قال: قلت له: صراطاً مستقيماً.

قال: الصراط المستقيم عليّ» (١).

ص: ٣٤٧

وأى رحمه تلك التى يقول عنها القرآن الكريم:

«وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» ١.

وهذا أمرٌ عظيمٌ حقاً! أى: إنَّ رحمه الله أفضل لكم من الدنيا بما فيها. (١)

فالقرآن، والنبى الأكرم وأهل البيت عليهم السلام، نورٌ، يهدون الناس ويوصلونهم إلى مثل هذه الرحمه الإلهيه.

ولكن ليس كلَّ الناس، وإنَّما أولئك الذين إعتقدوا وإعتصموا، حيث قال عزَّ و جلَّ :

«فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنْهُ» ٣.

وجاء فى بعض ألفاظ حديث الثقلين الشريف، إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله قال:

«إننى تارك فيكم الثقلين ما إن اعتصمتم بهما لن تضلوا بعدى». (٢)

ويقول تعالى فى القرآن المجيد:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» ٥.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال - كما فى روايه الفريقين - فى ذيل هذه الآيه:

ص: ٣٤٨

---

١- (٢) تفسير مجمع البيان ٩ / ٧٩؛ بحار الأنوار ٩ / ٢٧٥.

٢- (٤) راجع الصفحه: ١٦٦.

«نَحْنُ حَبْلُ اللَّهِ» (١).

فإذا ما كان هؤلاء الأطهار عليهم السّلام نوراً وهداياه وطريقاً لإيصال الناس إلى الرحمه الإلهيه، إهتدى الناس بهم إذا ما اعتقدوا واعتصموا وأطاعوهم.

ولا يخفى أنّ الله قد وعد المؤمنين المعتصمين بالكتاب والعترة بالإعانه على سلوك هذا الطريق للوصول إلى الغايه. يقول جلّ وعلا في القرآن:

«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» ٢

## وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ

### اشاره

وفي كتاب الكافي باب تحت عنوان «باب التفويض إلى الرسول والأئمّه عليهم السّلام في أمر الدين» (٢).

فالله سبحانه وتعالى فوّض أمره إلى النبي الأكرم والأئمّه الأطهار عليهم السّلام، والمراد من التفويض هنا هو الإذن، والمعنى: إنّ الله قد أذن للأئمّه الأطهار عليهم السّلام، بما أذن فيه لباقي الأنبياء والأولياء مع اختلاف مراتبهم ودرجاتهم.

وهذا الإذن، إذن في التكوينيات وإذن في التشريع أيضاً. فإنّ «أمره إليكم» فيه إطلاق وعموم. فلفظ «أمر» في هذه العبارة جنس، وإذا أضيف الجنس، أفاد العموم.

ص: ٣٤٩

١- (١) تفسير فرات الكوفي: ٩١، الحديث ٧٣؛ العمده: ٢٨٨، الحديث ٤٦٧؛ الصراط المستقيم ١ / ٢٨٦؛ بحار الأنوار ٢٤ / ٨٤، الحديث ٣؛ ومن مصادر العامّه: تفسير الثعلبي ٣ / ١٦٣؛ شواهد التنزيل ١ / ١٦٩، الحديث ١٧٨؛ ينابيع المودّه ١ / ٣٥٦؛ الحديث ١٠ و ٢ / ٣٦٨، الحديث ٥١.

٢- (٣) الكافي ١ / ٢٦٥.

ويتعلّق إذن الله للأئمة بالتصرف بأربعة جهات، وهي التي يعبر عنها بالإصطلاح الفقهي بـ «الولايات»، فلهم الولاية على التكوينية وعلى الأنفس والأموال وعلى الأحكام الشرعية وفي الأمور الشخصية. (١)

وهنا نتناول الولاية في الأحكام بشيء من التوضيح وإن تعرّضنا لذلك في الجزء الأول، ثم نبين الولاية التشريعية في فقره التالي «من والاكم فقد والى الله»، كما إننا نشرح الولاية التكوينية في محلّها المناسب إن شاء الله.

لقد طرح البحث عن ولاية الأئمة عليهم السلام على الأحكام الشرعية في الكتب الحديثية والفقهيّة والأصولية والرجاليّة. (٢)

أمّا في كتب الحديث، فقد عُقد في «أصول الكافي» باب في هذا الشأن وذكرت فيه روايات عديدة.

وفي «بصائر الدرجات» وفي ذيل بعض الآيات، نُقلت روايات في هذا الموضوع، وكذا رويت روايات في كتب التفسير تتناول هذه الولاية لهم عليهم السلام. (٣)

ص: ٣٥٠

١- (١) لقد كتب المؤلف كتاباً تحت عنوان «عموم ولاية المعصوم» في أربعة أبواب: الباب الأول: الولاية التكوينية، الباب الثاني: الولاية التشريعية، الباب الثالث: في الولاية في الأحكام، الباب الرابع: في الولاية في الأمور الشخصية.

٢- (٢) راجع: الحدائق الناضرة ١٢ / ٣٥٧؛ مصباح الفقيه ٢ / ٢٧٤؛ الوافية: ١٤٨؛ قوانين الأصول: ٤٠٧؛ نهاية الأفكار ٣ / ١٣٠؛ معجم رجال الحديث ٢ / ٢١.

٣- (٣) راجع: بصائر الدرجات: ٣٩٨ - ٤٠٧؛ الكافي ١ / ٢٦٥ - ٢٦٨، باب التفويض إلى رسول الله وإلى الأئمة عليهم السلام.

وأما في علم الأصول، ففي مسأله «الحقيقه الشرعيه» في كتاب «هدايه المسترشدين»<sup>(١)</sup> وفي مباحث الجمله الخبريه والإنشائيه.

وكذا في تقريرات بحث السيد البروجردى رحمه الله، وقد بحثنا نحن عنها أيضاً بشئ من التفصيل في كتاب «تحقيق الأصول»<sup>(٢)</sup>.

وطُرحَت في كتب الرجال لكبار العلماء كالوحيد البهبهاني وآخرين بمناسبه «الفرقه المفوضه»

وأشير إليها في الكتب الفقيهيه لبعض الأعظم مثل كتاب «جواهر الكلام» تأليف الشيخ محمد حسن النجفي<sup>(٣)</sup>.

ولا يخفى إنَّ هذه المسأله من المسائل الدقيقه جداً.

### من هو الشارع؟

نقول كثيراً في بحوثنا: إنَّ الشارع المقدس قال كذا وقال كذا، وإنه ورد من الشارع المقدس كذا وكذا، فمن المراد من الشارع؟

لا شك في أنَّ «الشارع» في الأصل هو الله تعالى . يقول القرآن الكريم:

«لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَ مِنْهَاجاً»<sup>٤</sup>.

كما لا شك في أنَّ النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مشرّع أيضاً، لأن القرآن الكريم يقول:

ص: ٣٥١

---

١- (١) هدايه المسترشدين ١ / ٤٠٩ - ٤١٠.

٢- (٢) تحقيق الأصول ٢ / ٥٩.

٣- (٣) جواهر الكلام ١٣ / ١٠٢ - ١٠٣ و ٤١ / ٢٩٤.

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ١.

وفى آيه أخرى قال تعالى :

«وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» ٢.

والآن، هل يصح أن نطلق عنوان «الشارع» على الأئمة عليهم السلام أم لا؟

ولهذا البحث ثمره علميه وإعتقاديّه.

فإن كانت الأوامر والنواهي الصادره عن الأئمة عليهم السلام هي أوامر ونواهي مولويّه، فإنه يصح حينئذٍ أن نصفهم ب «الشارع».

وأما إذا كان الإمام عليه السلام مُخبراً عن تلك الأحكام الصادره من الشارع الأقدس، كان حاله حال الفقيه، أو حال الراوى الذى ينقل كلام المعصوم، أو حال من يحكى الأحكام الشرعيّه ويعلمها للناس، ولم يصح حينئذٍ إطلاق عنوان «الشارع» عليه.

إذن، هل إن الأئمة عليهم السلام مخبرون و ناقلون فقط للأحكام الشرعيّه؟

إن مقتضى الأصل فى الأوامر والنواهي الصادره عن المولى، هو الحمل على المولويّه، يعنى إذا وصل من المولى أمرٌ مجردٌ عن أى قرينه، فإن العقلاء يحملون ذلك الأمر على المولويه لا الإرشاديّه. ومن هنا، فإن العبد لو خالف ولم يمتثل ذلك الأمر، فإنه سيلام ويؤاخذ من قبل العقلاء ولا يُعذر.

والآن، فلندرس الأدله على ذلك:

يقول تعالى فى كتابه الكريم فى شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: ٣٥٢

«مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» ١.

وجاء في الحديث:

«ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله» (١).

وعندنا دليل آخر من القرآن المجيد يقول:

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ٣.

وجاء في ذيل الآيه المباركه، بسند صحيح إنه عليه السلام قال:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهَ فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدَبَ قَالَ: «إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» ٤. ثم فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَالْأُمَّةِ لِيَسُوسَ عِبَادَةَ فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ:

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ...»

لقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَسَدِّدًا وَمُؤَيِّدًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَانَتْ تَصَرُّفَاتِهِ مَرَعِيَّةً مِنْ قَبْلِ اللَّهِ . يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِحْدَى خُطْبِهِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ حَوْلَ هَذَا الْأَمْرِ:

«فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ مَسَدِّدًا مَوْفِقًا مُؤَيِّدًا بِرُوحِ الْقُدُسِ ، لَا يَزُلُّ وَلَا يُخْطِئُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَسُوسُ بِهِ الْخَلْقَ فَتَأَدَّبَ بِأَدَابِ اللَّهِ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فَضَّلَ الصَّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ عَشْرَ رَكَعَاتٍ فَأَضَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الرَّكَعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ، وَإِلَى الْمَغْرَبِ رَكَعَهُ فَصَارَتْ عَدِيلُ الْفَرِيضَةِ لَا يَجُوزُ تَرْكُهَا إِلَّا فِي سَفَرٍ وَأَفْرَدَ الرَّكَعَةَ فِي الْمَغْرَبِ فَتَرَكَهَا

ص: ٣٥٣



قائمه في السفر والحضر، فأجاز الله عزوجل له ذلك فصارت الفريضة سبعة عشره ركعه»(١)

ونظير ذلك روايات عديده ذكرت في كتاب «الكافي».

وهذه المنزله ثابتة لرسول الله صلى الله عليه وآله، كما ثبت أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد تصرف في الأحكام الإلهية في عده مواطن وفي الأبواب المختلفه. فعن زراره قال: قال الإمام الباقر عليه السلام:

«وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دِيَةَ الْعَيْنِ وَدِيَةَ النَّفْسِ وَحَرَّمَ النَّبِيذَ وَكَلَّ مُسْكَرًا.

فقال له رجل: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله من غير أن يكون جاء فيه شيء؟

قال: نعم، ليعلم من يطع الرسول ممن يعصيه»(٢).

وعلى الإجمال، فإنه لا نقاش في كون الرسول صلى الله عليه وآله مشرعاً، وقد صرح المفسرون من كلا الفريقين بذلك في ذيل قوله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ» ٣

فإذا ما ثبت هذا المعنى لرسول الله صلى الله عليه وآله، فلنبحث عنه في خصوص الأئمة عليهم السلام:

ص: ٣٥٤

---

١- (١) الكافي ١ / ٢٦٦، الحديث ٤؛ بحار الأنوار ١٧ / ٤، الحديث ٣.

٢- (٢) ورد هذا الحديث بتفاوت يسير في: بصائر الدرجات: ٤٠١، الحديث ١٤؛ الكافي: ٢٦٧، الحديث ٧؛ وسائل الشيعة ٢٥ / ٣٥٤، الحديث ٢.

لقد جاء في مصادر كثيرة جداً وبأسانيد فاقت حدّ التواتر أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال:

«على منّي بمنزله هارون من موسى».(١)

وأيضاً ورد عنه صلى الله عليه وآله في روايات كثيرة أنه قال:

«لكلّ نبي وصي ووارث وإنّ عليّاً وصيّي ووارثي».(٢)

وكما إنّ أمر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله هو أمر الله وإن طاعته طاعه الله، فإن أمر أمير المؤمنين عليه السّلام هو بمنزله أمر رسول الله، حيث قال صَلَّى الله عليه وآله:

«من أطاع عليّاً فقد أطاعني».(٣)

وكلّ ذلك، إطلاقات وعمومات تُنزل الأئمّه الأطهار عليهم السّلام بمنزله رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في جميع منازل عدا النبوه.

ومن جهه أخرى، فإن عندنا روايات في خصوص الأئمّه عليهم السّلام صرح الشيخ المجلسي رحمه الله باستفاضتها:

ومنها روايه نظيره للروايه السابقه، ولكن جاء في ذيلها إنّّه قال:

ص: ٣٥٥

١- (١) راجع: الجزئين ١٧ و ١٨ من نفحات الأزهار.

٢- (٢) المناقب، ابن شهر آشوب ٢ / ٣٥؛ كشف الغمّه ١ / ١١٢؛ العمده: ٢٣٤؛ الطرائف: ٢٣؛ كتاب الأربعين: ٤٧؛ حليه الأبرار ٢ / ٤٤٥، الحديث ١٢؛ بحار الأنوار ٣٨ / ١٤٧، الحديث ١١٥؛ الكامل ٤ / ١٤؛ تاريخ مدينه دمشق ٤٢ / ٣٩٢، جاء في هذا المنبع: «إنّ لكلّ نبي وصيّاً ووارثاً وإنّ عليّاً وصيّي ووارثي»؛ المناقب، ابن المغازلي: ٢٠١، الحديث ٢٣٨؛ المناقب، الخوارزمي: ٨٥، الحديث ٧٤؛ ينابيع المودّه ١ / ٢٣٥، الحديث ٥؛ للتحقيق الأكثر في هذا المجال راجع: تشييد المراجعات ٤ / ٧٥ - ٩٤.

٣- (٣) تاريخ مدينه دمشق ٤٢ / ٢٧٠؛ المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٢١ و ١٢٨.

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ فَقَالَ: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» ١ ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ٢ وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» ٣؛

ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهَ فَوَّضَ إِلَىٰ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاتَّمَنَاهُ، فَسَلَّمْتُمْ وَجَعَدَ النَّاسُ...» (١).

## آراء العلماء

كان ذلك إشارة سريعه إلى الروايات الواردة في تفويض الأحكام الشرعيه إلى الأئمه المعصومين عليهم السلام.

وأما كلمات العلماء في هذا المضمار. فقد جاء في كلام الشيخ الوحيد البهبهاني:

«تفويض الأحكام والأفعال بأن يثبت ما رآه حسناً ويرد ما رآه قبيحاً فيجيز الله إثباته وردّه، مثل إطعام الجذّ السدس وإضافه الركعتين في الرباعيات والواحد في المغرب والنوافل أربعاً وثلاثين سنة وتحريم كل مسكر عند تحريم الخمر...» (٢)

«وقد حقّقنا في تعليقتنا على رجال الميرزا ضعف تضعيفات القميين، فإنّهم

ص: ٣٥٦

---

١- (٤) بصائر الدرجات: ٤٠٤، الحديث ٤؛ الكافي ١ / ٢٦٥، الحديث ١؛ بحار الأنوار ١٧ / ٣، الحديث ١.

٢- (٥) الفوائد الرجاليه: ٣٩ و ٤٠.

كانوا يعتقدون بسبب إجتهادهم إعتقادات من تعدى عنها نسبهه إلى الغلو، مثل نفى السهو عن النبي صلى الله عليه وآله أو إلى التفويض، مثل تفويض بعض الأحكام إليه صلى الله عليه وآله».(١)

ويقول صاحب «الحدائق الناضرة» في بحث منزوات البئر:

«واحتمل بعض محققى المحدثين من المتأخرين كون هذا الاختلاف من باب تفويض الخصوصيات لهم عليهم السلام، لتضمن كثير من الأخبار أن خصوصيات كثير من الأحكام مفوضه إليهم عليهم السلام، كما كانت مفوضه إليه صلى الله عليه وآله».(٢)

ويقول المحدث والفقير الكبير السيد شبر:

«والأخبار بهذا المضمون كثيرة، رواها المحدثون فى كتبهم كالكلينى فى الكافى، والصفار فى البصائر وغيرهما. وحاصلها أن الله سبحانه فوض أحكام الشريعة إلى نبيه بعد أن أئده وإجتباه وسدده وأكمل له محامده وأبلغه إلى غاية الكمال، والتفويض بهذا المعنى غير التفويض الذى أجمعت الفرقة المحقة على بطلانه».(٣)

وأما الشيخ صاحب «جواهر الكلام» فقد بين المطب بشكل واضح وصريح قال:

«بل فى المسالك: روى العامه والخاصه: أن النبي صلى الله عليه وآله كان يضرب الشارب بالأيدى والنعال ولم يقدره بعدد، فلما كان فى زمن عمر استشار

ص: ٣٥٧

١- (١) حاشيه مجمع الفائده والبرهان: ٧٠٠؛ راجع: التعليقه على منهج المقال: ٤٣.

٢- (٢) الحدائق الناضرة ١ / ٣٦٥.

٣- (٣) مصابيح الأنوار فى حلّ مشكلات الأخبار ١ / ٣٦٩.

أمير المؤمنين عليه السّلام في حدّه، فأشار عليه بأن يضرب ثمانين، معللاً له بأنّه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى ... وكانّ التقدير المزبور عن أمير المؤمنين عليه السّلام من التفويض الجائز لهم».(١)

ويقول المجلسي الأوّل:

«كما يظهر من الأخبار الكثيره الوارده في التفويض إلى النبي والأئمّه عليهم السّلام».(٢)

كما إنّ كلام المجلسي الثاني في هذا المجال، دقيق جداً، وكلامه ميزانٌ في أكثر الأمور. يقول في هذا المضمّار:

«وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتّى الجمادات من السماويات والأرضيات، كشقّ القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصى وأمثالها ممّا لا يحصى، وفوّض أمورها إليهم من التحليل والتحرّيم والعطاء والمنع وإن كان ظاهرها تفويض تدبيرها إليهم» فهم يحلّون ما يشاؤون «ظاهره تفويض الأحكام، كما سيأتي تحقيقه».(٣)

وعلى الجملة، فإنّ الأدلّه في هذا الشأن أكثر بكثير ممّا ذكرناه، لكننا قد اكتفينا بذكر بعض الأدلّه العامّه والمطلقه والخاصّه، والاستشهاد ببعض كلمات الأعلام.

مضافاً إلى ذلك، فإنّه لا شك في إنّ الأئمّه عليهم السّلام فيهم جهتان:

١ - العلم بملاكات الأحكام.

٢ - العصمه.

ص: ٣٥٨

١- (١) جواهر الكلام ٤١ / ٤٥٧.

٢- (٢) روضه المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه ٥ / ٤٨٠.

٣- (٣) بحار الأنوار ٢٥ / ٣٤١ و٣٤٢.

فلا يُستبعد أن يأذن الله تعالى لهؤلاء الأطهار عليهم السلام بالتصرّف بأحكامه، والتي هي سلسله إعتباراتٍ .

## أتباع أهل البيت أتباع الله تعالى

مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ

إنّ هذه الفقرة يمكن أن تكون نتيجةً للقرات السابقة، كما يمكن أن تكون مستقلة في معناها وغير متعلقه بما مضى .

فإذا نظرنا إلى ما تقدم من أن «إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم»، كان ذلك إنّ من والاكم فقد والى الله ودخل في رحمته وإستحق مغفرته وكان من أهل النجاه والفلاح يوم الآخرة، وهذا مقام رفيع ومعنى عالٍ .

وهذه الجملة من الزياره الجامعه، دليلٌ آخر على عصمه الأئمه عليهم الصلاه والسلام.

## معنى الولاء

وللراغب الإصفهاني بيان لطيف في مصطلح «الولاء». يقول:

«الولاء والتوالى أن يحصل شيان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبه ومن حيث الدين ومن حيث الصداقه والنصره والإعتقاد».(1)

ويعتبر في مفهوم «الولاء» انعدام الفاصل بين الشئين، إلّا ما ليس غريباً

ص: ٣٥٩

عنهما، فيجب أن يكون المتواليان أو أكثر بنحو يُعَدَّان واحداً، لعدم وجود إختلاف بينهما.

أى إنّه إذا كان شخص تابعاً وتالياً لشخص فى آرائه، وملازماً له فى عقيدته، فستكون بينهما مساواه، فلا بدّ - إذن - أن لا يكون بينهما إختلاف فى الأمور الاعتقاديّه ولو بمقدار رأس الإبره.

وكذا فى الأمور العمليّه والأخلاقيّه والصفات النفسانيّه. فيقال: «فلانٌ تالى تلو فلان» وبعباره أخرى: «فلانٌ نسخهُ طبق الأصل من فلان».

وعلى هذا، إذا كان لأى إنسان مثل هذا الحال مع الأئمّه عليهم السلام، فى العقيدته والعباده والعبوديّه والصفات والسلوك، فسيكون كذلك حتماً مع الله تعالى ، وذلك لأنّ كلّ هذه العقائد الحقّه، الواجبات، المحرّمات، الآداب والسنن، الفضائل والصفات الحسنه هى من الله تعالى ، وإنّ الأئمّه عليهم السلام مؤدّبون من قبل الله تعالى بها.

### نكته مهمه

وهنا نوذُ الإشاره إلى نقطه مهمه، فى اللغه - وكذا فى العرف والإستعمال، وإن كُنّا فى غفلهٍ عن ذلك كثيراً - تكون المعاداه مقابله للموالاه، ويكون البغض فى مقابل الحبّ ، فالمفهوم المقابل للولاء هو العداه، وليس البغض.

يقول الراغب الإصفهاني:

«البغض: نفار النفس عن الشئ الذى ترغب عنه، وهو ضدّ الحبّ ، فإنّ الحبّ انجذاب النفس إلى الشئ الذى ترغب فيه».(١)

ص: ٣٦٠

وبناءً على هذا، فإن ما يقابل «من والاكم» هو «من عاداكم»، أى فمن لم يتابعكم فهو معادٍ لكم، وإذا سار أحدٌ فى غير طريقكم ونهج غير نهجكم، فقد سار فى غير طريق الله ونهج غير المنهج الذى أراده الله تعالى، سواء كان مبغضاً لكم أو لم يكن وكان مخالفاً لكم فقط.

وعليه، يكون معنى هذه الفقرة: من سار على طريقكم وأطاعكم وأتبعكم فى الاصول والفروع وسائر الامور، فقد أطاع الله وسار فى طريقه، ومن لم يتبعكم ولم يسر فى طريقكم، فقد سار فى طريق الشيطان، وسيأتى مزيد بيان لهذا المعنى إن شاء الله.

إذن، فهناك من لا يسير فى خط أهل البيت عليهم السلام، وفى نفس الوقت يعاديهم، ولذا يقول عليه السلام:

«مَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ».

ثم يقول بعد ذلك:

«وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ».

فظهر إن العداة غير البغض، والبغض غير العداة، والشاهد على ذلك عطف أحدهما على الآخر الظاهر فى المغايرة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

«إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالبُغْضَاءَ» ١

وفى:

«وَالَّذِينَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالبُغْضَاءَ» ٢

ص: ٣٦١



## طريقان أساسيان

ومن هنا يظهر أن هناك طريقين لثالث لهما:

١ - طريق الله.

٢ - طريق الشيطان.

## طريق الله

إنَّ سالكي طريق الله هم الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار عليهم السّلام وأتباعهم، وكلّ واحد منهم له نصيب - بقدر وسعه ومرتبته - في هداية الخلق وفي التأثير الإيجابي على سالكي هذا الطريق.

إذن، فكلُّ من يسير في طريق النبي وآله فهو في طريق الله تعالى، ولا طريق في مقابله إلّا طريق الشيطان؛ فلا وجود لطريق ثالث، ولا يمكن التشريك بين الطريقين، لأنهما متقابلان متضادّان، والجمع بين الضدّين محال.

فإنّما أن يختار الإنسان طريق ولايه الله وأوليائه، أو يكون مع الشيطان وأوليائه، ولا ثالث لهما.

## طريق الشيطان

وإنَّ سالكي طريق الشيطان وأوليائه هم الكفّار والمنافقون. يقول تعالى في كتابه المجيد:

«إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» ١

ص: ٣٦٢

ويقول فى آيه أخرى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» ١

فإذا ما اتَّخذ الإنسان المؤمن، اليهود والنصارى أولياء، فقد خرج عن زمرة أهل الإيمان، ودخل فى زمرة اليهود والنصارى.

فلا يصح أن يقول أحد: أنا فى طريق الإيمان ولكنى أحبُّ أولئك السائرين فى طريق الشيطان. فإنَّ مثل هذا الإنسان، بحبِّه لهم يكون من زمرتهم، وخروجه عن الإيمان لا يضرُّ الله، فلو أشرك من فى الأرض جميعاً فلن يضرَّوا الله تعالى وأوليائه شيئاً.

ومع هذا البيان القرآنى الواضح، من يستطيع أن يدعى بأنَّ أهل البيت عليهم السَّلام، ليسوا فى طريق الله تعالى؟

ومن يدعى بأنَّهم ليسوا هداه البشريه إلى الله عزَّوجلَّ؟

فإذا لم يطع الإنسان ولم يتابع أهل البيت عليهم السَّلام، فسيكون من غيرهم لا منهم. يقول القرآن الكريم:

«الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ» ٢

فمن كان موالياً للمنافقين، فسيكون منهم، فلا يجوز له أن يدعى الإيمان.

وإذا كان الإنسان فى زمرة أولياء الله وفى ولايته، لم يكن للشيطان عليه سلطان، لأنَّ الله تعالى يقول:

ص: ٣٦٣

فعلى الإنسان أن يحدّد موقفه، ويحاسب نفسه، ليكون على وعى من أنه فى أى زمره يكون، فإنّ الإدّعاءات المجرّده لا تكفى ولا تغنى، فبعض الناس يدّعون بأنّهم يحبّون أهل البيت عليهم السّلام، ولكنّهم فى نفس الوقت يميلون إلى فلان وفلان ويتبعون فى الأعمال العباديّة والأحكام الشرعيّة مذهب فلان أو فلان!!

إنّ هذا من المحالات، فلا يقبل من شخص أن يدّعى حبّ الله وأوليائه، وفى نفس الوقت يحبّ أو يتبع فلاناً أيضاً.

فهذا غير مسموح به، فإنّما الله وإمّا الشيطان، ولا يخرج الأمر عن أحد هذين الطريقين، وكما ميّز القرآن الكريم بينهما، وفصلهما عن بعضهما فصلاً تامّاً.

إذن، فكلّ من قال بولايتكم يا أهل البيت، أى بأولويّتكم ووجوب طاعتكم ومتابعتكم، فهو مطيع لله تعالى، لأنّ الله عزّ وجلّ هو الذى أعطاكم هذا المقام ببركه العبودية والعبادة والطاعة.

ثم نقرأ: «ومن عاداكم فقد عادى الله»، فمن سلك غير طريقكم، وأضمر لكم العداوة، فقد عادى الله تعالى فى حقيقته الأمر.

والحاصل: إنّ المخالفين للأئمة عليهم السّلام على قسمين:

١ - من يخالفهم ولا ينصب العداوة لهم.

٢ - من يخالفهم ويناصبهم العداوة.

ويُعبر عن القسم الثانى بالنواصب، وحكمهم الشرعى فى الفقه يختلف عن القسم الأول.

إذن، فمن أراد أن يكون مطيعاً لله تعالى ، عليه أن يقبل ولايه أهل البيت عليهم السّلام، وإلّا دخل في عداد المخالفين لهم، ومن اختار غير طريق الله تعالى ، فإنّ مصيره واضح ومعروف، وهو الطرد من رحمه الله تعالى .

هذا، وإنّ مفتاح الوصول إلى المنازل المعنويّة والرقى إلى أعلاها هو المحبّه.

ولذا، فإنّ على أعداء أهل البيت عليهم السّلام، أولاً أن يتركوا العدا، فإذا زال العدا جاء دور الحبّ ، وإذا وجد الحبّ تحقق الاتّباع، فمثلهم مثل الجاهل بالجهل المركّب الذي عليه أولاً أن يعرف أنّه جاهل لكي ينتقل إلى الجهل البسيط، ثمّ بعد ذلك يخرج من جهله ويدخل إلى عالم النور؛ فكذلك أعداء أهل البيت عليهم السّلام، فإذا ما زال العدا واستقر حبّ أهل البيت في قلوبهم، فإنّهم سيرتقون في درجات سلّم الطاعة.

ومن ثمّ ، فإنّ من لم يكن في قلبه عدا لأهل البيت عليهم السّلام، فإنّه سيصل إلى موالاتهم بوقت أقصر من غيره.

## ولايه الأئمّه على الأموال والأنفس

### إشاره

ويعبّر عن هذه الولايه ب «الولايه التشريعيّه»، حيث إنّ أهل العصمه لهم حقّ التصرف في الأموال والأنفس، وعلى الجميع الإطاعه فيما يفرضه عليهم مقام عصمه الأئمّه في أموالهم وأنفسهم.

وهذا ممّا اتّفق عليه علماونا في الفقه والكلام والحديث، وقد تعرّض له الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله في كتاب «المكاسب» وتبعه على ذلك جملة من أعلام الشيعه.

يقول الميرزا النائيني في هذا المجال:

«الولاية الشرعية الإلهية الثابتة لهم من الله سبحانه وتعالى في عالم التشريع، بمعنى وجوب إتباعهم في كل شيء، وإتباعهم أولى بالناس شرعاً في كل شيء من أنفسهم وأموالهم»<sup>(١)</sup>.

ويقول السيد الخوئي رحمه الله:

«الجهة الثانية في ولايتهم التشريعية؛ بمعنى كونهم ولياً في التصرف على أموال الناس وأنفسهم مستقلاً، فالظاهر أيضاً لا خلاف في ولايتهم على هذا النحو، وكونهم أولى بالتصرف في أموال الناس ورقابهم، بتطبيق زوجاتهم وبيع أموالهم وغير ذلك من التصرفات»<sup>(٢)</sup>.

وعلى الجملة، فإن الله سبحانه قد منح المعصوم الإذن بالتصرف في الأموال والأنفس إذناً عاماً، فكانت له هذه الصلاحيه العامه، لا إنه يستأذن في كل واحد من الموارد إذناً خاصاً به إذا ما أراد التصرف، وسندكر في هذا المضممار أقوال كبار علماء السنه أيضاً.

ويقول الشيخ الأنصاري بعد ذلك:

«المستفاد من الأدله الأربعة بعد التتبع والتأمل: إن للإمام سلطنه مطلقه على الرعيه من قبل الله تعالى ، وإن تصرفهم نافذ على الرعيه ماضٍ مطلقاً»<sup>(٣)</sup>.

ثم يستعرض الشيخ جمله من الأدله في الباب، ويقول في خصوص الإجماع:

ص: ٣٦٦

١- (١) كتاب المكاسب ٢ / ٣٣٢.

٢- (٢) مصباح الفقاهه ٣ / ٢٨٣ و ٢٨٤.

٣- (٣) كتاب المكاسب ٣ / ٥٤٨.

«وأما الإجماع فغير خفى».(١)

وهنا نبين بنحو الإجمال لا التفصيل بعض أدله الولاية التشريعية للأئمة الأطهار عليهم السلام.

## الدليل الأول:

### إشاره

إنّ أوّل دليل على الولاية التشريعيه قوله تعالى :

«النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» ٢.

فالمؤمنون، أنفسهم وأموالهم تحت سيطره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فهو أولى بها منهم.

وثمره هذا الحكم الشرعى تظهر فيما لو أراد الإنسان شيئاً وأراد الرسول شيئاً مغايراً له.

## أقوال مفسرى العامه

يقول «الواحدى»، وهو من كبار مفسرى العامه، فى ذيل قوله تعالى :

«النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» «أى إذا حكم عليهم بشئ فقد نفذ حكمه ووجبت طاعته عليهم.

قال ابن عباس: إذا دعاهم النبي إلى شئ ودعتهم أنفسهم إلى شئ، كانت طاعه النبي أولى بهم من طاعه أنفسهم».(٢)

ص: ٣٦٧

١- (١) كتاب المكاسب ٣ / ٥٤٨.

٢- (٣) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٣ / ٤٥٩.

وعليه، فإنَّ إرادته الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عليه وآله مقدَّمه على إرادته الإنسان في كلِّ شيء.

ويقول «البغوى» في ذيل قوله تعالى :

«الَّنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» «يعنى من بعضهم ببعض في نفوذ حُكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم».

ثم ينقل البغوى بعد ذلك كلام ابن عباس، وكلاماً آخر، ثم ينقل حديثاً عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عليه وآله أنه قال:

«ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، إقرأوا إن شئتم: «الَّنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» فأَيُّما مؤمنٍ مات وترك مالاً فليرثه عَصَبَتُهُ من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه».(١)

ويقول الزمخشري:

صلى الله عليه وسلم «الَّنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ» في كلِّ شيءٍ من أمور الدين والدنيا «مِنْ أَنفُسِهِمْ» ، ولهذا أطلق ولم يقتيد، فيجب عليهم أن يكون أحبَّ إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها».(٢)

ومما ينبغي الالتفات إليه، هو أننا أحياناً نستشهد بكلام علماء أهل السنَّة لرفع الإستبعاد فقط، وليبيان حال الفرد الشيعي إذا ما أنكر ذلك بعد قبول المخالفين مثل هذه المطالب.

وللقاضي البيضاوي أيضاً نفس الرأي في هذا المقام. حيث يقول:

ص: ٣٤٨

١- (١) تفسير البغوى ٣ / ٥٠٧.

٢- (٢) تفسير الكشّاف ٣ / ٢٥١.

«الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» في الأمور كلها... فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها». (١)

وتطرق النسفي في تفسيره لهذا الموضوع أيضاً وقال:

«الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» أي أحق بهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، فعليهم أن يبذلوها دونه ويجعلوها فدائه». (٢)

وهذا المعنى ذكره أيضاً «نظام الدين النيشابوري» من مفسري العامه المشهورين. قال:

«والمعقول فيه أنه رأس الناس ورئيسهم، فدفع حاجته والاعتناء بشأنه أهم ...

ويعلم من إطلاق الآية أنه أولى بهم من أنفسهم في كل شيء من أمور الدنيا والدين». (٣)

وها هو الخطيب «الشربيني» في تفسيره «السراج المنير» ينقل حديثاً في هذا المعنى بعد أن يفسر الآية، ثم يذكر عله أولويه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في التصرف ويقول:

«وإنما كان صلى الله عليه وآله أولى بهم من أنفسهم، لأنه لا يدعوهم إلا إلى العقل والحكمه». (٤)

إذن، فمثل هذه الولاية ثابتة لرسول الله صلى الله عليه وآله باعتراف علماء أهل السنه أيضاً، ولكن عندما يقع البحث في معنى حديث الغدير المسبوق بالإشارة إلى الآية المذكورة فإن كلامهم يتغير.

ص: ٣٦٩

١- (١) تفسير البيضاوي ٤ / ٣٦٤.

٢- (٢) تفسير النسفي ٣ / ٢٩٧.

٣- (٣) تفسير غرائب القرآن ٢١ / ٧٧ - ٧٨، نقلاً عن: نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار ٩ / ٥٤.

٤- (٤) السراج المنير في تفسير القرآن الكريم ٣ / ٢٢١.



فقد ورد أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

«أَلَسْتُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ؟»

قالوا: بلى.

قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه». (١)

هذا، وإذا بحث عن حديث الغدير وأوضحت دلالاته بالتفصيل، ظهر وجه ارتباط الآية المباركة «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ...» بالأئمة عليهم السلام.

### الدليل الثاني:

من القرآن الكريم على الولاية التشريعية، آية الولاية، حيث يقول تعالى:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ٢

وقد بُدئت الآية الكريمة بأداء الحصر «إنما» وأنَّ الولاية ليست إلَّا لله وللرسول و... .

وهذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، بسبب تصدقه على السائل في حال الركوع.

ونزول هذه الآية في حقه في هذه الواقعة الخاصّة، مورد إ اتفاق علماء

ص: ٣٧٠

---

١- (١) ورد حديث الغدير في أكثر مصادر الشيعة وأهل السنّة، منها: كمال الدين: ٣٣٧؛ الطرائف: ١٤٩، الحديث ٢٥٥؛ بحار الأنوار ٣٧ / ١٢٣، الحديث ١٧؛ مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٣٧٢؛ فضائل الصحابة ٢ / ٦١٠، الحديث ١٠٤٢؛ مجمع الزوائد ٩ / ١٠٥؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٢٠٩؛ كنز العمال ١٣ / ١٥٨، الحديث ٣٦٤٧٨؛ المعيار والموازنه: ٣٢؛ المعجم الكبير ٤ / ١٩٤؛ تاريخ بغداد ٣ / ١٠. راجع: ٦ - ٩ نفحات الأزهار.

الشيعة والسنة على السواء، بنحو جعل بعض كبار علماء السنة يقرّون بالإجماع على ذلك.

وعلماء الشيعة ومحدّثوهم أيضاً يروون استدلال أهل البيت بهذه الآية على الولاية التشريعيّة للمعصوم. ففي كتاب «الكافي»، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في قول الله عزّ وجلّ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»:

(إنّما) يعنى أولى بكم، أى أحقّ بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم.

«اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» يعنى علياً وأولاده والأئمّة عليهم السلام إلى يوم القيامة.

ثم وصفهم الله عزّ وجلّ فقال: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

وكان أمير المؤمنين عليه السلام فى صلاة الظهر وقد صلّى ركعتين وهو راعع وعليه حلّه قيمتها ألف دينار، وكان النبى صلى الله عليه وآله كساه إياها، وكان النجاشى أهداها له، فجاء سائل فقال: السلام عليك يا ولى الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم! تصدّق على مسكين، فطرح الحلّه إليه وأوماً بيده إليه أن يحملها.

فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه الآية، وصيّر نعمه أولاده بنعمته، فكلّ من بلغ من أولاده مبلغ الإمامه يكون بهذه النعمه مثله فيتصدّقون وهم راععون.

والسائل الذى سأل أمير المؤمنين عليه السلام من الملائكه، والذين يسألون الأئمّه من أولاده يكونون من الملائكه. (١)

وفى ما تصدّق به أمير المؤمنين عليه السلام قولان.

ص: ٣٧١

---

١- (١) الكافي ١ / ٢٨٨ و ٢٨٩، الحديث ٣، وسائل الشيعة ٩ / ٤٧٧ و ٤٧٨، الحديث ١.

والقول المشهور هو أنه عليه السلام تصدق بخاتمه، وفي هذه الرواية إنه تصدق بحلّه أهداها النجاشي للنبي.

ولكنّ المهم في الأمر - ولعلّ في روايات أهل السنّه أيضاً قرينه عليه - هو إنّ هذا السائل كان من الملائكه، ولكنّ نزول هذا الملك بهذه الصوره إلى الأرض لابدّ أن يكون بإذن من الله تعالى، فماذا يعنى ذلك؟ وما هي مداليل مثل هذه الواقعه؟

وفي روايه أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام، قال:

«أمر الله عزوجلّ رسوله بولايه على وأنزل عليه: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» وفرض ولايه أولى الأمر فلم يدروا ما هي، فأمر الله محمداً صلى الله عليه وآله أن يفسر لهم الولايه كما فسر لهم الصلاه والزكاه والصوم والحجّ.

فلمّا أتاه ذلك من الله، ضاق بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه، فضاقت صدره وراجع ربه عزوجلّ، فأوحى الله عزوجلّ إليه «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ».

فصيّدع بأمر الله تعالى ذكره، فقام بولايه على عليه السلام يوم غدير خم فنادى: الصلاه جامعهم، وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب».(١)

ونقل هذه الروايه كلُّ من على بن إبراهيم القمي، والعياشي،

ص: ٣٧٢

والشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشيخ الطبرسي، رحمهم الله، بأسنادهم. (١)

وقد ذكرت قضيته نزول آية الولاية في كتب أهل السنّة أيضاً، ففي «شرح المواقف» للسيد الجرجاني، وشرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني، وكتبهم الكلامية المعتمدة، الإقرار الواضح بقيام الإجماع من المفسرين على أنّ هذه الآية الشريفه نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. (٢)

ولذا، فإنّ الشيخ الطوسي رحمه الله يقول:

«أقوى ما يدلُّ على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام وولايته، آية الولاية». (٣)

وعلى أيّ حال، فإن هذه الآية من الآيات القويّة الدالّة على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام وولايته العامّة.

وقد نُقل خبرُ نزولها عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن المقداد، وأبي ذر الغفّاري، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وجمع من كبار الصحابة. (٤)

### الدليل الثالث:

#### إشاره

وثالث آية يُستدل بها على الولاية التشريعيّة هي قوله تعالى :

ص: ٣٧٣

١- (١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ١ / ١٥٠، الحديث ٨٥؛ دعائم الإسلام ١ / ١٥؛ تفسير العياشي ١ / ٣٢٧، الحديث ١٣٧؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٨٦، الحديث ١٩٣، روضه الواعظين: ١٠٢، الإحتجاج ١ / ٧٣، بحار الأنوار ٣٥ / ١٨٣، الحديث ١.

٢- (٢) شرح المواقف ٨ / ٣٦٠؛ شرح المقاصد ٢ / ٢٨٨.

٣- (٣) تفسير التبيان ٣ / ٥٥٩.

٤- (٤) للتحقيق أكثر في هذا المجال راجع: «آية الولاية» للمؤلف.

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ١.

وقد استدللّ أعلامنا كالشيخ الأنصارى رحمه الله فى «المكاسب»<sup>(١)</sup> وآخرين بهذه الآيه المباركه على الإمامه والولاية المطلقه للمعصوم.

وفى هذا المجال، روى الكلينى فى «الكافى» عن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، قال:

«قلت له: حدّثنى عمّا بُنيت عليه دعائم الإسلام، إذا أنا أخذت بها زكى عملى ولم يضرّنى جهل ما جهلت بعده.

فقال: شهاده أن لا- إله إلا- الله، وأن محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وحقّ فى الأموال الزكاه، والولاية التى أمر الله عزّوجلّ بها ولاية آل محمّد عليهم السلام، فإن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:

«من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليه»، قال الله عزّوجلّ «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ٣.

فكان على عليه السّلام ثم صار من بعده الحسن ثم من بعده الحسين ثم من بعده على بن الحسين ثم من بعده محمّد بن على عليهم السلام، ثم هكذا يكون الأمر، إنّ الأرض لا تصلح إلّا بإمام، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليه،

ص: ٣٧٤

---

١- (٢) كتاب المكاسب: ٣/٥٤٦ و ٥٤٧، جاء فى هذا الكتاب: " فنقول: مقتضى الأصل عدم ثبوت الولاية لأحد بشى من الوجوه المذكوره خرجنا عن هذا الأصل فى خصوص النبى والأئمّه صلوات الله عليهم بالأدله الأربعة. وبالجملة، فالمستفاد من الأدله الأربعة بعد التسبع والتأميل: إنّ للإمام عليه السّلام سلطنه مطلقه على الرعيه من قبل الله تعالى؟ وإنّ تصرّفهم على الرعيه ماض مطلقاً.

وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا - قال: وأهوى بيده إلى صدره - يقول حينئذ: لقد كنت على أمر حسن» (١).

وفى روايه أخرى، يقول الراوى: قلت للإمام الصادق عليه السلام:

«قولنا فى الأوصياء أن طاعتهم مفترضه».

فقال عليه السلام:

«نعم، هم الذين قال الله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ، وهم الذين قال الله عز وجل: «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا»» (٢).

وعن بريدة قال: قرأ الإمام الباقر عليه السلام قوله تعالى :

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ  
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا».

ثم قال:

«كيف يأمر بطاعتهم ويرخص فى منازعتهم ؟ إنما ذلك للمأمورين الذين قيل لهم «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ»» (٣).

وفى روايه أخرى قال الراوى:

«سمعتُ علياً عليه السلام يقول وأتاه رجل فقال له: ما أدنى ما يكون به العبدُ

ص: ٣٧٥

١- (١) الكافي ٢ / ٢١، الحديث ٩؛ ينابيع المودّة ١ / ٣٥٠ و ٣٥١، الحديث ٥.

٢- (٢) الكافي ١ / ١٨٧، الحديث ٧؛ الفصول المهمّة ١ / ٣٨٢، الحديث ٥١١.

مؤمناً وأدنى ما يكون به العبدُ كافراً وأدنى ما يكون به العبد ضالاً؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

قد سألت فافهم الجواب... وأدنى ما يكون به العبد ضالاً أن لا يعرف حجّه الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده الذي أمر الله عزّوجلّ بطاعته وفرض ولايته.

ففى هذه الروايه النورانيه، ثلاث مصطلحات ينبغى الالتفات إليها، «حجّه الله»، «شاهد الله» و«من أمر الله بطاعته».

ثم يقول الراوى:

«قلت يا أمير المؤمنين! صفهم لى.

قال: الذين قرنهم الله عزّوجلّ بنفسه ونبّيه، فقال: «يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ و أطيعوا الرّسولَ و أُولى الأمرِ منكم». ١.

قلت يا أمير المؤمنين! جعلنى الله فداك، أوضح لى!

فقال: الذين قال رسول الله صلّى الله عليه وآله فى آخر خطبته يوم قبضه الله عزّوجلّ إليه: إننى قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدى ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فإن اللطيف الخبير قد عهد إلى أنّهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض كهاتين - وجمع بين مسبّحيه - ولا أقول كهاتين - وجمع بين المسبّحه والوسطى - فتسبق إحداهما الأخرى، فتمسكوا بهما لا تزلوا ولا تضلّوا ولا تقدّموهم فتضلّوا». (١)

ص: ٣٧٤

---

١- (٢) الكافي ٢ / ٤١٤ و ٤١٥، الحديث ١؛ ينابيع المودّه ١ / ٣٤٩ و ٣٥٠، الحديث ٤.

واللطيف في هذه الروايه هو إنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام يستدلُّ - بعد آيه «أولى الأمر» - بحديث الثقلين أيضاً.

وفي هذا المجال، وردت روايات كثيره نقلها الكليني في «الكافي» والشيخ الصدوق، والنعمانى في غيبته، والمفيد، والشيخ الطوسى رحمهم الله تعالى .

ففى هذه الآيه المباركه - مضافاً إلى إنَّ الله تعالى قرن أولى الأمر به وبرسوله وجعل الولاية للثلاثة - أمر بطاعتهم بنحو مطلق.

متى ما أمر الله تعالى بالطَّاعه المطلقه، فلا بدَّ من العصمه لأنه من دون العصمه يستحيل الأمر بالطَّاعه المطلقه.

وخير شاهد على هذا الموضوع، الأوامر الوارده فى القرآن والسَّنه لإحترام الوالدين، فإنَّها لم ترد على نحو الإطلاق، وإنَّما قيدت ببعض القيود. قال تعالى فى كتابه المجيد:

«وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» ١.

وبناءً على هذا، فإن من المحال أن يأمر عزَّوجلَّ بطَّاعه شخص بنحو مطلق، من دون أن يكون ذلك الشخص معصوماً.

ولو أمر بإطاعه غير المعصوم بنحو مطلق لزم التناقض وهو محال، لجواز أن يأمر بارتكاب محرّم كشرب الخمر، فيكون مقتضى وجوب إطاعته مطلقاً الارتكاب، ويكون مقتضى دليل حرمة عدم الإرتكاب، وهذا هو التناقض.

وهذا المطلب واضح لا غموض فيه، ومن ثمَّ، فإنَّ «الفخر الرازى» أقرَّ بدلاله الآيه على العصمه لأولى الأمر.



ومن هم أولوا الأمر؟

فهل يمكن إدعاء العصمه لأبي بكر؟

لا، فحتى ابن تيميه يصرّح بعدم عصمه أبي بكر وعمر وعثمان ومعاويه و... .

فلا مفرّ - إذن - من القول بأنّ المراد من «أولى الأمر» هو الأئمه الأطهار عليهم السّلام.

ولكنّ المخالفين يأبون الاعتراف بهذا، مكابره منهم، فيدّعون بأن المقصود من «أولى الأمر» هو الأئمه الإسلاميه كلّها(١) لقول النبيّ صلّى الله عليه وآله:

«لا تجتمع أمتي على الضلالة».(٢)

ثم يشير الفخر الرازي إلى رأى الشيعة في هذا الموضوع ويقول في مقام الردّ عليهم:

«وأما حمل الآيه على الأئمه المعصومين على ما تقولهُ الروافض، ففي غايه البعد. لوجه: أحدها ما ذكرناه من أنّ طاعتهم مشروطه بمعرفتهم وقدره الوصول إليهم، فلو أوجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليف ما لا يطاق».(٣)

بالله عليكم، هل من أحد لا يعرف على بن أبي طالب عليه السّلام مع كلّ ذلك التصريح من رسول الله صلّى الله عليه وآله في حقه؛ ليكون ذلك عذراً لعدم طاعته؟

من من الأئمه عليهم السّلام كان مجهولاً عند أهل السنّه ولم يتمكنوا من معرفته ليكون الأمر بطاعتهم أمراً بغير المقدور؟

ص: ٣٧٨

١- (١) راجع: تفسير الرازي ١٠ / ١٤٤.

٢- (٢) تفسير الرازي ١٤ / ١٩. وهو ضعيفٌ بجميع طرقه كما نصّ عليه غير واحد منهم.

٣- (٣) تفسير الرازي ١٠ / ١٤٦.

وأين أنتم من حديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليته» (١).

ومن خلال ما ذكرناه، ثبت قرآنيًا أنَّ للأئمة عليهم السلام الولاية التشريعية.

وأما الروايات، فهي متواتره في هذا المعنى، ولا حاجة للبحث في أسانيدھا بعد التواتر وإتفاق الفريقين علیھا:

### الولاية التشريعية في حديث الولاية

وأول حديث يثبت الولاية التشريعية، هو حديث الغدير الشريف، وقد مرَّ بيانه.

والحديث الثاني في الباب، هو حديث الولاية، وقد جاء فيه إنَّ كلَّ ما يفعله على عليه السلام هو بأمر الله تعالى وليس من عنده، وإنَّ أفعاله مرضيَّة من قبل الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله.

وقد صرَّح كبار محدثي أهل السنَّة في القرون الماضية، كإبن أبي شيبة، والطبري صاحب التفسير، والحاكم النيشابوري، وإبن عبد البر، والمزني، وجلال الدين السيوطي وغيرهم، بصحة هذا الحديث، بل صرَّحوا بثبوتة عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله على وجه اليقين. (٢).

### حديث الولاية بروايه أحمد

وأخرج أحمد بن حنبل هذا الحديث بسنده فقال:

«عن عبد الله بن بريده عن أبيه قال: بعث رسول الله صلَّى الله عليه وآله بعثين

ص: ٣٧٩

١- (١) حديث مشهور اتَّفَق على روايته الخاصَّة والعامَّة.

٢- (٢) مسند أحمد بن حنبل ٥ / ٣٥٦؛ مجمع الزوائد ٩ / ١٢٨؛ تحفه الأحوذى ٥ / ٢٩٣ و ٢٩٤ و ١٠ / ١٤٦ و ١٤٧؛ تاريخ مدینه دمشق ٤٢ / ١٨٩ و ١٩٠؛ تهذيب الكمال ٥ / ٣٥٠.

إلى اليمن على أحدهما على بن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد فقال:

إذا التقيتم فعلى على الناس، فإن افرقتما فكل واحد منكما على جنده.

فلقينا بنى زبيده من أهل اليمن فاقتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتله وسبينا الذريه، فاصطفى على امرأه من السبى لنفسه.

قال بريده: فكتب معى خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره بذلك.

فلما أتيت النبى صلى الله عليه وآله دفعت الكتاب، فقرأ عليه، فرأيت الغضب فى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله. فقلت: يا رسول الله! هذا مكان العائد، بعثتنى مع رجلٍ وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا- تقع فى على، فإنه منى وأنا منه، وهو وليكم بعدى وأنه منى وأنا منه وهو وليكم بعدى»؛(١)

### حديث الولاية بروايه الترمذى

وأخرجه الترمذى أيضاً بسنده عن عمران بن حصين:

«قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً واستعمل عليهم على ابن أبى طالب فمضى فى السريه، فأصاب جاريه فأنكروا عليه. وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: إن لقينا رسول الله أخبرناه بما صنع على.

وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدأوا برسول الله صلى الله عليه وآله فسلموا عليه ثم إنصرفوا إلى رحالهم.

ص: ٣٨٠

فلما قدمت السريه سلموا على النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله، فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله ! ألم تر إلى بنى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟

فأعرض عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته.

فأعرض عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله.

ثم قام إليه الثالث، فقال مثل مقالته.

فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا.

فأقبل إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله والغضب يعرف في وجهه فقال:

ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن علياً منى وأنا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدى». (١)

### حديث الولاية بروايه الطبرى

وأخرجه الطبرى و صححه عن عمران بن حصين:

«بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله سريه واستعمل عليهم علياً، فغنموا فصنع علي شيئاً أنكره - وفى لفظ: فأخذ علي من الغنيمه جاريه - فتعاقد أربعة من الجيش إذا قدموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله أن يعلموه، وكانوا إذا قدموا من سفر بدؤا برسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله، فسلموا عليه ونظروا إليه، ثم ينصرفون إلى رحالهم.

فلما قدمت السريه سلموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله فقام أحد الأربعة، فقال: يا رسول الله ! ألم تر أن علياً قد أخذ من الغنيمه جاريه؟

ص: ٣٨١

فأعرض عنه...

فأقبل إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَعْرِفُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: مَا تَرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ؟ عَلِيٌّ مَنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ وَعَلِيٌّ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي» (١).

### حديث الولاية بروايه الطبراني

وأخرج الطبراني في المعجم الأوسط:

«بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَحْدَهُ وَجَمَعَهُمَا فَقَالَ: إِذَا اجْتَمَعْتُمَا فَعَلَيْكُمْ عَلِيٌّ.

قال: فأخذ يميناً ويساراً، فدخل علي فأبعد فأصاب سبياً فأخذ جاريه من السبي.

قال بريده: وكنت من أشد الناس بغضاً لعلي، فأتى رجل خالد بن الوليد، فذكر أنه قد أخذ جاريه من الخمس. فقال: ما هذا؟

ثم جاء آخر ثم جاء آخر ثم تتابعت الأخبار علي ذلك.

فدعاني خالد، فقال: يا بريده! قد عرفت الذي صنع فانطلق بكتابي هذا إلى رسول الله.

فكتب إليه، فانطلقت بكتابه حتى دخلت علي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَخَذَ الْكِتَابَ بِشِمَالِهِ، وَكَانَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، فَقَالَ: وَكُنْتُ إِذَا تَكَلَّمْتُ طَأْطَأْتُ رَأْسِي حَتَّى أَفْرَغَ مِنْ حَاجَتِي، فَطَأْطَأْتُ رَأْسِي فَتَكَلَّمْتُ فَوَقَعَتْ فِي عَلِيٍّ حَتَّى فَرَعْتُ، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

ص: ٣٨٢

١- (١) كنز العمال ١٣ / ١٤٢، الحديث ٣٦٤٤٤، نقلاً عن ابن أبي شيبة والطبري.

غضب غضباً لم أره غضب مثله إلّا يوم قريظته والنضير، فنظر إلى فقال: يا بريده ! أحبّ عليّاً، فإنّما يفعل ما يؤمر به.

قال: ففقت وما من الناس أحد أحبّ إلى منه».(١)

والخلاصه أنّ النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله قال في مثل هذه الظروف:

«إنّ عليّاً منى وأنا منه وهو وليكم من بعدى»

وكلمه «بعدى» موجوده في غالب ألفاظ الحديث، وهي إمّا رتبته وإمّا زمانيه.

ويُرجّح السيد الخوئي رحمه الله البعدية الرتبته في الحديث.(٢) أى: إنّ رتبته عليه السّلام تأتي بعد رتبته النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله.

وفي هذه الصّوره يكون لأمير المؤمنين عليه السّلام الولاية حتّى في زمن النبي، ولكنّها في رتبته بعد رتبته النبي صلّى الله عليه وآله.

وإن كان المراد هو البعدية الزمانيه، فتكون ولاية أمير المؤمنين عليه السّلام بعد وفاه رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وعلى كلّ حال، فإنّ هذا الحديث يُبيّن ثلاثة امور:

١ - الولاية التشريعيه.

٢ - إنّ ما يفعله أمير المؤمنين عليه السّلام هو بأمر الله تعالى .

٣ - إنّ الاعتراض عليه وانتقاد أفعاله يسخط رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وجاء في بعض ألفاظ هذا الحديث: إنّ النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله قال لبريده لَمّا وقع في عليّ:

ص: ٣٨٣

١- (١) المعجم الأوسط ٥ / ١١٧.

٢- (٢) مصباح الفقاهه ٢ / ٢٨٥.

«أنا فقت يا بُریده بعدی؟» (١)

ومن هنا، فإنَّ بُریده جدّد بیعته لرسول الله صلّى الله علیه وآله وقال:

لقد عادت علیاً، ولكنی ومنذ الساعه ما من الناس أحدٌ أحبّ إلى منه.

ولا شكّ فی أنّ هذه القصّه تُفید ولايه أمير المؤمنين علی علیه السلام، علی الأموال والأنفس علی وجه العموم والإطلاق.

هذا، ولا بدّ من التنبيه علی أنّا لانوافق علی اقرب الإمام من أيّ أمرأه ما دامت الزهراء الطاهره علی قيد الحياه.

### الولاية التشريعيّه فی حديث وهب

والحديث الثالث الدالّ علی الولاية التشريعيّه هو ما أخرجه عن وهب بن حمزه.

قال: صحبت علياً إلى مكة، فرأيت منه بعض ما أكره، فقلت: لئن رجعت لأشكوئك إلى رسول الله صلّى الله علیه وآله.

فلما قدمت، لقيت رسول الله صلّى الله علیه وآله فقلت: رأيت من علي كذا وكذا.

فقال: لا تقل هذا، فهو أولى الناس بكم بعدى»؛ (٢)

ونحن نستدل بهذا الحديث علی الولاية التشريعيّه لأمر المؤمنين عليه السلام، علی نحو ما تقدم فی الحديث السابق، لأنّ كلمه «بعدى» تعطى نفس المعنى الوارد فی ذاك الحديث.

وقد روى هذا الحديث جمعٌ من محدثي أهل السنّه الكبار: كالطبراني، وأبي نعيم الإصفهاني، وابن منده، وابن الأثير وغيرهم.

ص: ٣٨٤

١- (١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ١ / ٥٤٢، الحديث ٣٣١.

٢- (٢) المعجم الكبير ٢٢ / ١٣٥؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ١٩٩؛ أسد الغابه ٥ / ٩٤؛ مجمع الزوائد ٩ / ١٠٩؛ كنز العمال ١١ /

٦١٢، الحديث ٣٢٩٦١؛ فيض القدير ٤ / ٤٧٠ و ٤٧١.

وجاء في حديث آخر في هذا الباب، نقلته صحاح أهل السنّة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«فأنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله عزّوجلّ، فأئتيكم ترك ديناً أو ضيعه فادعوني فأنا وليّهم» (١).

ومحلّ الشاهد هنا يظهر من كلمات علماء أهل السنّة في شرح هذا الحديث.

لقد روى أحد هؤلاء العلماء الكبار، هذا الحديث من صحيح البخارى، صحيح مسلم، النسائي و... ثم ذكر فوائد مستخرجه منه فقال:

«الثالثة: يترتب على كونه عليه الصّلاه والسلام أولى بهم من أنفسهم أنه يجب عليهم إثارة طاعته على شهوات أنفسهم وإن شقّ ذلك عليهم، وأن يحبّوه أكثر من محبتهم لأنفسهم.

إستنبط أصحابنا الشافعيّيه من هذه الآية الكريمة أنّ له عليه الصّلاه والسلام أن يأخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج عليه الصّلاه والسلام إليهما، وعلى صاحبهما البذل، ويفدى مهجته بمهجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وأنه لو قصده عليه الصّلاه والسلام ظالمٌ لزم من حضره أن يبذل نفسه دونه» (٢).

ص: ٣٨٥

- 
- ١- (١) صحيح مسلم ٥ / ٦٢ و ٩ / ٦٢؛ مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٣١٨؛ السنن الكبرى ٦ / ٢٠١؛ كنز العمال ١١ / ١٢، الحديث ٣٠٤١٠؛ المصنّف ٨ / ٢٩١، الحديث ١٥٢٦١؛ السنن الكبرى، النسائي ٤ / ٧٦، الحديث ٦٣٥٤.
- ٢- (٢) ارشاد السارى في شرح البخارى ٤ / ٢٢١؛ راجع: نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار ٩ / ٦٣.



ويقول العيني في شرحه على «صحيح البخارى» بعد هذا الحديث:

«فمن هذا الكلام يظهر أنّ الآيه المباركه: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...» إلى آخرها، دالّه على أولويته بالمؤمنين من أنفسهم بجميع شئونهم وأنّ عليهم الإمتثال المطلق». (١)

وللشراح الآخرين كلمات في هذا المضمار، ولكننا نكتفى بهذا المقدار من نقل كلماتهم. (٢)

### حَبُّ أُمَّه أَهْلِ الْبَيْتِ حَبُّ اللَّهِ وَبِغْضِهِمْ بَغْضُهُ

وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ

وكما ذكرنا سابقاً، فإنّ المحبّه وسيله للطاعه، والبغض مقدمه للمخالفه. ولقد وصل الأئمه عليهم السّلام إلى مقام حتى كانت محبتهم محبّه الله تعالى، وبغضهم بغض الله تعالى.

وفى هذا المجال، وردت روايات كثيره فى كتب الشيعة والسنة.

فعن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال:

«سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: أنا سيّد ولد آدم وأنت يا على والأئمه من بعدك سادات أمّتى، من أحبنا فقد أحبّ الله ومن أبغضنا فقد أبغض الله، ومن والانا فقد والى الله، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن أطاعنا فقد أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله». (٣)

ص: ٣٨٦

١- (١) راجع: عمده القارى فى شرح البخارى ١٢ / ٢٣٥؛ نفحات الأزهار فى خلاصه عبقات الأنوار ١٦ / ٢٣٠.

٢- (٢) راجع: نفحات الأزهار فى خلاصه عبقات الأنوار ١٦ / ٣٢٦ - ٣٣٩.

٣- (٣) بحار الأنوار ٢٧ / ٨٨.

والروايات الواردة في حبّ أهل البيت عليهم السلام، يصعب عدّها.

و«الحُبُّ» الصّادق يأتي بالطاعة والمتابعه دائماً.

ومن هنا، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله - وخاصّه مع علمه بما سيقع بعده عليهم - أمر بحبّهم ونهى عن بغضهم، وأكّد على ذلك في مواطن كثيره.

وقد قلنا مراراً: بأنّ مثل هذه الأوامر تساوى العصمه، بل تتعدّى ذلك بكثير، ومن هنا جاء في المأثور مخاطباً لله تعالى:

«لا فرق بينك وبينهم إلا إنّهم عبادك وخلقك»

### المعتصمون بالأنّمة عليهم السلام

وهذا ما نقوله:

وَمَنْ إِعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ إِعْتَصَمَ بِاللّهِ

يقول الراغب الإصفهاني في كلمه «عصم»:

«العصم: الإمساك، والاعتصام الاستمساك».(١)

فمن تمسك بأهل البيت عليهم السّلام فقد تمسك بالله تعالى . وهذه الجملة أيضاً تدل على عصمتهم، بل تدل على أكثر من ذلك، والشواهد على ذلك كثيره؛ يقول تعالى في كتابه:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا».(٢)

قال الإمام عليه السّلام قال: «نحن حبل الله».(٣)

ص: ٣٨٧

١- (١) المفردات في غريب القرآن: ٣٣٦.

٢- (٢) راجع الصفحه ٣٤٩ من هذا الكتاب.

وفى الحديث المتواتر قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا: كِتَابُ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي».(١)

والحمد لله رب العالمين

ص: ٣٨٨

---

١- (١) راجع: نفحات الأزهار فى خلاصه عبقات الأنوار: الأجزاء ١ - ٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

